رسـالة المرأة العربيـة

بقلم احمد امين بك

مراقب الثقافة العامة بوزارة المعارف المصرية

واستاذ الادب العربي بجامعة فؤاد الاول

✯



شك[1] ان رسالة المرأة جليلة الخطر فلا تصلح نهضة لامة مـا لم تعتمد في اساسها على المرأة لا لانها تكون نصف الامة فقط ولكن لانها هي التي تربي الامة كلها .

واذا كانت النساء تكثر في مؤتمراتها ودعواتها من ذكر حقوقها والمطالبة بها فليسمحن لنا ان نكثر من ذكر واجباتهن فخير ما يمهد لهن كسب حقوقهن عنايتهن باداء واجبهن .

وواجب المرأة العربية ورسالتهـا اشق واصعب من واجب مثيلاتها في الممالك الاوربية المتمدنة اذ عدد المتعلمات المثقفات في بلاد العرب قليل جداً اذا قيس بعددهن عامة ولا تنظروا الى عدد قليل مثقف في المدن، فهؤلاء لا يمثلن المرأة انما الذي يمثلها النساء الفلاحات في القرى والارياف .

ان المرأة العربية التي تقدمت هي المرأة التي دخلت المدارس وتعلمت تعلماً ثانوياً او عالياً ولكن كم عدد هؤلاء بجانب السواد الاعظم من النساء اللاتي لا زلن على حالهن منذ القرون الوسطى بل منذ التاريخ القديم . .

ان الذي يمثل مصر – مثلاً – ليس خريجات الجامعة ولكن نساء دهشور وبو صير ونجع حمادي وشلشمون وليس الذي يمثل مصر شوارع الاهرام «بفللها» الجميلة ولكن اكواخ الفلاحين بجاموسها وبقرها والذي يمثل المرأة حقاً ليست ملابسها الجميلة خارج البيت ومظاهرها الانيقة في المجتمعات ولكن الذي يمثلها حقاً هو معيشتها داخل بيتها .

فعلى هذا الاساس نرى اننا لم نتقدم كثيراً في رجالنا ولا نسائنا فلا تزال الجمهرة من الرجـال اميين النساء اكثر من ذلك ولا يزال نحو هذا العدد لا يجد الماء النظيف الذي يشربه والمسكن النظيف الذي يسكنه والنور الصالح الذي يستنير به – ولقد دخلت في قرية في سويسرة بيتاً لبقر فلاح فرأيته على اتم ما يكون من النظافة مضاء بالكهرباء غطيت ارضه بالخشب لينام عليه البقر وعملت فيه مجار كقنوات يجري فيها مـا يخرج منه فقلت متى يكون لفلاحينا وعمالنا وفقرائنا بيوت كبيوت البقر السويسري .

لست يائساً ، فالنهضة الاوربية ليست الا بنت ثلاثة قرون والنهضة النسائية في اوربا ليست الا وليدة قرن ونصف فقد كانت المرأة في اوربا تعد سلعة من السلع وفي بعض الاماكن كان لزوجها الحق في بيعها – وكان خير ما ينظر فيه الى المرأة ان ينظر اليها كما ينظر الى الطفل يدلل ويضحك منه ولا يعتمد عليه .

وتاريخ المرأة في العالم يكاد يكون قصة قصيرة واحدة في الضعف والتحول والارتقاء فليست اوربا عجباً من العجب او انها خلقت من طبيعة غير طبيعتنا يستحيل علينا بلوغ شأوها فلدينا من الاستعداد الطبيعي والبيئة الطبيعية وموارد الثروة ما يمكننا من ان نبلغ مبلغهم في رجالنا ونسائنا لو حفزنا الهمة وبذلنـا الجهد وضاعفنا السير الى الامام في ثبات وحزم .

مرت الاسرة الاوربية بالدور الذي مررنا به وهو نظام الاسرة الابوية الاستبدادية التي كان فيها الاب السيد الاعظم الآمر الناهي المتصرف الوحيد في البيت وشؤونه والمرأة ليس لها حق بجانب حقوقه، بيده المال وبيده الادارة وتخليق المرأة والاطفال بالاخلاق التي يراها ، ثم تغيرت الظروف الاجتماعية فتغير مركز المرأة ويرجع هذا التغير الى امور اهمها التطور الاقتصادي فانهدم النظام الاقطاعي وتقدمت الصناعات . والنظام الاقطاعي والمعيشة الزراعية تساعد

(1) محاضرة القيت في قاعة جامعة فؤاد الاول واذيعت منها في الراديو .

كثيراً على تثبيت سلطة الآباء فلما انهدم النظام الاقطاعي ورقيت الصناعات ضعفت سلطة الآباء، ومنها انتشار الثقافة بين افراد الشعوب وخصوصاً نوع الثقافة الذي يشعر بحقوق الانسان ويوحي برفع نير العبودية فكان من نتيجة هذا ان رأت المرأة نفسها انساناً لها حقوق الانسان وعليها واجباته: من حقها ان تتعلم ومن حقها ان تكون شريكة الرجل في البيت لا خادمته ومن ذلك الحين اتجهت الاسرة الى طلب المساواة وتحقيقها شيئاً فشيئاً حتى كاد الرجل هو الذي يطلب المساواة — وجاءت الحرب الماضية فساهمت المرأة الاوروبية في تحمل اعبائها فنالت بعد الحرب كثيراً من مطالبها



مقدار الثقافة، ولست أبرئ الرجال من هذا العيب فشأنهم في مصر كذلك: فيلسوف ومن لا يعرف ان يكتب اسمه

والامر الثاني الذي يؤخذ على حركة التقدم النسائي شعورهن بالحقوق اكثر من شعورهن بالواجبات وبالمظهر اكثر من الحقيقة فليس السفور معناه كشف الوجه وغشيان دور السينما والتمثيل بمقدار ما معناه الا يكون هناك فارق في العقلية وفي الجد في الحياة بين الرجل والمرأة فاذا جالست المرأة الرجل فالند للند، واذا القي العبء على المرأة بوفاة زوجها او عائلها استطاعت ان تعمل وتكافح في الحياة، وقد يكون المثل الصادق للسفور الحق ما قامت به النساء المصريات في مكافحة الملاريا وجمعية مكافحة السل والمتبرعات للتمريض ونحو ذلك. على انه مما يبشر بالخير ما نرى من تطور طبيعي نحو شعور المرأة بمسؤوليتها ونأتي اذن الى النقطة الجوهرية وهي مسؤولية المرأة او رسالتها.

اول رسالة المرأة عنايتها بالاسرة، والاسرة تقوم بوظائف عديدة اقتصادية وسياسية ودينية ولكن اهم عمل لها انها مربي للطفل ففي الاسرة يأكل الطفل ويلبس ويسكن ويحافظ عليه من الاحداث ويتعلم دروس الحياة الاولى التي تلازمه طول حياته وما الحياة خارج المنزل، في المدرسة او المصنع او المتجر او الجامعة او في الحياة العامة بعد ان يمارسها، الا نتيجة للبذرة الاولى التي بذرتها الام في البيت، فالام في البيت ترسم في ذهن الطفل رسماً ثابتاً المثل الذي سيتبعه في حياته، فان عدلت الحياة العامة فيه ففي العرض لا في الجوهر.

فالاصلاح الحقيقي للامة اصلاح المرأة، اصلاح الام فالالماني والفرنسي والانجليزي والروسي ليس طابعه كما نرى الا بامه. واكثر العيوب التي نراها في الامة ترجع في الحقيقة الى البيت، فخصامنا في الشارع وفي المدرسة وفي المجتمعات صورة لخصام الاب والام في البيت، وعدم ضبط العواطف في المعاملة صورة لعدم ضبط عواطف الاب والام في البيت، والكذب في الخارج من الكذب في الداخل، وجبن الابن من جبن الام، والانانية المفرطة في الخارج من دروس الانانية في البيت، وهكذا وهكذا، كثرة وفيات الاطفال وكثرة امراضهم راجع الى البيت، الى الام.

ومنها دخول الجامعات الذي لم يتم في بعض جامعات انجلترا الا سنة ١٩٤٥ وها هي في هذه الحرب تقدمت خطوات في المشاركة فيها فلا بد ان تتقدم خطوات بعد الحرب في الكسب.

هذه هي قصة المرأة الاوروبية وهي بعينها قصة المرأة العربية وان كان جزء كبير من التقدم نشأ من العدوى اكثر من نشوئه من التطور الطبيعي للحياة الاجتماعية العربية.

ومما لا شك فيه ان تقدم المرأة في العشرين سنة الاخيرة كان تقدماً عظيماً فاذكر انه في سنة ١٩٢٦ حين عينت مدرساً في كلية الآداب لم ار مصرية واحدة تستمع لدرسي الا بنات المرحوم الدكتور علي ابراهيم رامز وكانت أهون المانية فتساءلت هل اعيش حتى ارى مصرية تحضر دروسي في الجامعة، وكان الامر أسرع مما كنت أتوقع فالفتيات المصريات يملأن الكليات ويسابقن الشبان في ميدان العلم.

ولكن يؤخذ على حركة التقدم هذه امران: الاول انها تكاد تكون حياة محصورة في المدن لم تنتقل الى المدن الاخرى والارياف ولذلك لا نستطيع ان نقول ان الحركة النسائية شاملة بل وجد عندنا طبقتان متميزتان جداً احداهما في السماء والاخرى في الارض وليس كذلك الشأن في الامم الراقية. فهناك تقارب في التفاهم بين نساء الشعب ومقدار لا بد منه في الثقافة لكلهن اما الشأن في الشرق وخاصة في مصر فنظام الطبقات واضح جداً: متعلمة جداً او جاهلة جداً ولا قدر من الثقافة اجباري عام فمثلها مثل الغني جداً بجانب الفقير جداً والقصر الشاهق بجانب الكوخ الحقير. ولا تكون الحركة النسائية صادقة حتى تكون عامة وان اختلف

في مصر الآن نحو ستة ملايين من الاطفال بين سن ١٥،١ وهذه السن عادة تكون ثلث السكان فتصوروا حالهم اذا كان كثير من اسرهم مصابين بالجهل والفقر والمرض، كيف تكون حالتهم العقلية والخلقية والجسمية، وتصوروهم وقد صلحت حال اسرهم في الثقافة والقدرة المالية والصحة الجسمية، كيف يصبح هؤلاء الاطفال نواة جيل جديد خير الف مرة من جيلنا — اكثر هؤلاء الملايين الستة يعيشون في بيوت الفلاحين القذرة الفقيرة التعيسة وسط آباء وامهات جهلة يرضعونهم مع اللبن الامراض والجهل والتخريف ثم ليس في الامة من يأخذ بيدهم او يلتفت لحالهم وجزء كبير من ميزانية الدولة يصرف فيما يعد ترفاً بالنسبة لهذه الحال وجزء كبير من مجهود المصلحين والعاملين انما يذهب الى العدد القليل من الامة وهو طبقة الارستقراطية فالادب الذي ننشئه والجرائد والمجلات التي نحررها ونحو ذلك كله للطبقة الارستقراطية مالياً او علمياً. والسواد الاعظم من الامة متروك وشأنه للفقر والجهل والمرض فلم يعمل شيء يذكر لهذه الملايين الستة الذين هم عماد الامة في جيلها الآتي

فلو وجهت الجمعيات النسائية جهدها الى هذه الناحية لاتت بالخير الكثير، هي من غير شك لا تستطيع ان تقوم باصلاح اطفال الفلاحين والصناع وحدها ولكنها تستطيع مطالبة الرجال والحكومة بالعمل على مكافحة الامية ورفع مستوى المعيشة وصوتهن مسموع ما دام الرجال لا يصرخون من سوء هذه الحال

بل انهن يستطعن المساهمة في العمل — متى اسست الجمعيات لرعاية الاطفال — بالتطوع لتعليم الاطفال وبارشاد الامهات الجاهلات في البيوت كيف يحافظن على صحة الطفل ويرعينه.

وأذكر اني قرأت مرة عن امرأة سوداء في اميركا استطاعت ان تغير حالة السود بانشاء جمعية من بني جنسها كانت هي وجمعيتها تتنقل في قرى السود فيدخلن القرى يعلمن اهلها كيف ترعى الصحة وكيف ينظف المسكن وكيف يرتب ويقمن بالعمل في بيت من البيوت ليكون نموذجاً فهذا موضع للافراخ وهذا موضع لكذا وهذا موضع يمكن ان تنشأ فيه حديقة للمنزل ويزرعنها فعلا حتى اذا وضعن النموذج للقرية انتقلن الى غيرها وهكذا.

هذا مثل من امثلة السفور الحقيقي للعمل الحقيقي، ان الرجال لصوت النساء اسمع، والاصلاح على يدهن اسهل فمتى اتجهن الى هذه الجهة من الاصلاح خجل الرجال من انفسهم وضاعفوا جهودهم ولبت الحكومة طلبهن اكثر مما تلبي طلبهم

أليس من العار علينا ان اغلب فلاحينا وهم السواد الاعظم لا يجدون ماء صالحاً للشرب ولا الغذاء الضروري للقوت ولا الكساء الضروري الملبس في بلاد غنية كبلادنا. وفي هذا الوسط ينشأ الاطفال في الاسر ومع هذا كله نفكر في توسيع شارع في القاهرة او غرس اشجار على جانبي الطريق فيكون مثلنا مثل من عضه الجوع ومعه قرش فاشترى به وردة.

ما اقسى حالة الاطفال البائسين ممن يموت عائلهم ولا يترك لهم شيئاً وممن وقعوا في اسر اسر فقيرة وممن اصيبوا بأب مجرم او ام غير صالحة او ممن هدمت الاسرة عليهم بسبب الطلاق فاين هي الحكومة او الجمعيات التي ترعاهم وقد يكون من بينهم المجرم الذي يخسر الامة خسارة لا تقدر باجرام وقد يكون منهم النابغة الذي قد يسدي الى الامة من الخير ما لا يقدر

ليس امر هؤلاء مما يصح ان يترك، فعلى الحكومات ان تضع لهم من النظم والمال ما يكفل لهم العيشة الصالحة.

الامر الثاني من «رسالة المرأة» المساهمة في الخدمة الاجتماعية والمرأة في هذا الباب تستطيع — بما منحتها الطبيعة من قوة في العاطفة وفضيلة الشفقة والرحمة والعطف واصغاء الناس لهن اكثر مما يصغون للرجال — ان ينجحن فيه اكثر مما ينجح الرجال.

واهم ابواب الخدمة الاجتماعية ثلاثة: مكافحة الفقر ومكافحة الجهل ومكافحة المرض.

والفقر في مصر عدو خطير يصيب اكثر افراد الشعب، في كل قرية افراد معدودون هم الذين يستطيعون ان يعيشوا بدخلهم والباقون لا يجدون ما يأكلون وما يلبسون ولا يغرنكم القصور الضخمة والبيوت الكبيرة فهي كالشعرة البيضاء في الفرس السوداء وبعض البلاد فقرها طبيعي لقلة ما تنتج وسوء البيئة الطبيعية حولها ولكن في مصر، ولله الحمد، ليس فقرها من طبيعتها ولكن من سوء توزيع ثروتها من ناحية ومن عدم الاستغلال الجيد من ناحية اخرى ومن عدم صلاحية السكان لكسب العيش من ناحية ثالثة.

وفقر الشعب هو العقبة في كل اصلاح تعليمي او اجتماعي او سياسي واذا زال الفقر في امة صلحت وتقدمت في جميع النواحي بل ان المرضين الخطيرين في المجتمع وهما الجهل والاجرام كثيراً ما يكون سببهما الفقر، واسباب الفقر هي اسباب انحطاط الانسانية والفقر قد يكون سببه من الفقير نفسه لضعف كفايته العقلية والفنية والجسمية وقد يكون سببه من الخارج أعني سوء الحالة الاقتصادية في البلاد، ولا أطيل في هذا فالموضوع طويل معقد اوسعه العلماء بحثاً.

ولكن موضوعنا ماذا تستطيع المرأة ان تعمل في هذا الباب — من قديم والفقر يعالج بالاحسان وفكرة الاحسان مبنية على اساس ان القادر يعين غير القادر ومن رزقه الله بسطة في المال يعين من حرمه منه، وهذا هو الشائع الى الآن يرى الرجل فقيراً مسكيناً او امرأة مسكينا فيخرج من جيبه قرشاً وينتهي الامر ولكن هذه النظرة الى الاحسان تغيرت ، واهم تغيرها من ناحيتين ، ناحية ان المسألة لم تعد مسألة احسان والفقير ليس فقيراً بالقدَر والغني ليس غنياً بالقدر ولكنه سوء النظام الاجتماعي ، والفقير ليس يطلب احساناً ولكنه يطلب حقاً له على الامة وعلى الحكومة ، هو يطلب ان يضمن له معيشة هي اقل ما يطلب لانسان ، له الحق ان تكفل له الحكومة مستوى من المعيشة لا ينزل عنه في مأكله وملبسه ومسكنه ومشربه، هو العيش الضروري الذي لا يصح ان يعيش اقل منه ، فاذا لم تفعل الامة والحكومة ذلك فقد اغتصبته حقه لا انها منعت عنه الاحسان — ولا بد ان تكونوا قد سمعتم بمشروع بيفردج وغيره من المشروعات مما أسس على هذه النظرة ومن اهم وسائل تحقيق ذلك الضرائب التصاعدية .

ومع هذا فالناحية الاخرى لم تنعدم وهي ناحية الاحسان ، ولكنه الاحسان المنظم لا الاحسان الفردي ، وقد قطعت الامم الحية شوطاً كبيراً في تنظيم الاحسان واهمه نظام «همبرج» الذي وضع للفقراء والعاطلين ومقتضاه تنظيم مكتب رئيسي في كل مدينة للنظر في شؤون الفقراء وتقسيم المدينة الى اقسام وتعيين مشرف او مشرفة على الفقراء في كل قسم وظيفته درس اسباب الفقر في كل اسرة واعانة العاطلين على ايجاد عمل لهم وانشاء مدارس صناعية لاولاد الفقراء ومستشفيات لمرضاهم ومن اراد الاحسان فليحسن الى هذه الجمعيات لا الى الافراد الخ وقد عمم هذا النظام في اوربا كلها وادخل عليه تعديلات كثيرة واهم ما عني به هذا النظام العناية باولاد الفقراء اكثر مما عني بالفقراء الكبار لان في اصلاحهم القضاء على الداء من اساسه .

والمرأة العربية تستطيع ان تساهم في هذا الاحسان فتنظمه وتقوم عليه وقد قامت « فعلا » بقسط لا بأس به في هذا الباب فدعت المرأة الى التبرعات للمشروعات الخيرية الكثيرة ، وساهمت في الاحسان تبرعاً وجمعاً ، ولكني الاحظ انها اجادت في تنظيم الدعوة الى التبرعات اكثر مما اجادت في تنظيم الانفاق ، وحبذا لو انشئت جمعية نسائية نموذجية تشرف على فقراء حي من الاحياء البلدية تكون مهمتها معالجة الفقر والبؤس حتى اذا جربت ونجحت عممت في انحاء القطر .

اما نصيب المرأة في مكافحة الجهل فلا يزال قليلا وشأنهن في ذلك شأن الرجال، وقد وضعت الحكومة المصرية مشروعاً لمكافحة الامية لم ينفذ بعد وهو تحت نظر وزارة الشؤون الاجتماعية ونرجو — عند البدء في تنفيذه — ان تساهم المرأة المتعلمة فيه بنصيب كبير فماذا يمنعهـا ان تتطوع لتعليم بنات الفقراء وبنات الشارع ويتفق كل ثلاثة او اكثر على فتح مكتب لتعليم الاميات ويطلبن من وزارة الشؤون اعداد المكان لهن وامدادهن بكل وسائل التعليم وادواته فيكون لهن فضل كبير في مكافحة الامية .

ثم هن يستطعن تأليف جمعيات تجوب البلاد وتلقي المحاضرات في الشؤون النسائية وهذا — من غير شك — يكون عملا واسع الاثر لو قامت وزارة الشؤون الاجتماعية بتوزيع الراديو على القرى . الى غير ذلك من اعمال ثقافية في استطاعتهن القيام بها لحتى الان لم نجد مجلة نسائية تخاطب المرأة المصرية فيما يفيدها

اما الناحية الثالثة وهي مكافحة المرض فانا — من غير شك — نرحب بما قامت به المرأة المصرية في مكافحة الملاريا ومكافحة السل والتمريض في المستشفيات ولكن لا يزال المجال امامهن فسيحاً في هذا الباب وخصوصاً من ناحية مرضى الاطفال الذين لا يستطيع آباؤهم القيام بنفقات أمراضهم .

وليس من الحق اعتذارهن بقلة المال فكما ان من واجبهن جمع المال من طريق التبرعات كذلك من واجبهن مطالبة الحكومة بانشاء ما يرين انشاءه لمصلحة الامة . بقيت مسألة اخيرة في رسالة المرأة — وهي انها الرسول الذي بعثته العناية الالهية لنشر السعادة في المجتمع . وفي الحق ان ما لا يقل عن تسعين في المئة من سعادة الامة يرجع الى المرأة — وقد زرت اوروبا مرتين زيارتين قصيرتين فتساءلت بعدهما ما الفرق بين الشرق والغرب فكان الجواب كلمة واحدة « المرأة »

تستطيع المرأة ان تكون سعادة الاسرة وسعادة المجتمعات وبلسماً لجراح الامة واداة فعالة في بناء نهضتها .

المرأة هي مبعث حياة الامة فاذا قصرت فهي مبعث شقائها هي مبعث الاصلاح السياسي والاجتماعي ، هي روح الفن ، هي التي تستطيع ان تجعل الرجال رجالاً ، وان تجعل الاطفال ابناء الله لا ابناء الشيطان

اتعلم المرأة لم خلقها الله ؟ انما خلقها لتخلق من الرجال عظماء.

القاهرة — احمد امين

رثاء عـــذراء

بقلم خليل تقي الدين

ماتت بداء الصدر في مصح بحنس في لبنان فتاة لم تتجاوز السبعة عشر ربيعاً ، هي وحيدة والدين تاعسين كان الله في عونها ! وفي مساء اليوم الذي دفناها فيه ، بعد ان نفضت يدي من تراب العذراء لذت بقلمي واوراقي فاذا تحت عيني هذه السطور.

(خ . ت)

كنت اراك تذوبين ، ناحلة كالفراشة ، بيضاء كزهرة الياسمين ، وارى كيانك كله ينحصر في عينين واسعتين ، زرقاوين ، كزرقة البحر في بعض الشطئان من سواحل لبنان .

وكالبحر كان صدرك الناهد يرتفع وينخفض ، في تنفس متعب ، متقطع ، لا يلبث ان يحول الى سعال مبحوح ، كأنه همس الجن في ليالي الشتاء ، او حفيف جناحي بوم ، يبشر سكان القبور بقادم جديد .

ونظراتك الى منديلك الحريري ، وقد عادت به يداك من على ثغرك مبتلاً ! ان انسى تلك النظرات ولو عشت الف عام .

كنت تعرفين ان كل نوبة سعال تستل من صدرك قطعة من روحك ، وقطرات من دم قلبك ، فتحدقين الى المنديل لتري اي اثر عليه ، وتتبيني مقدار ما ذهب من الروح وما بقي !

كنت في سريرك تنتظرين الطارق الاكبر ، وتعلمين انه آت في ساعة لا ريب فيها ، وتحسين انه قادم اليك بخطى واسعة تزداد سرعة واتساعاً يوماً عن يوم ، فكنت تحرصين على زينتك كل الحرص ، كأنك تريدين ان تزفي الى عريسك الاحدب المخيف ، وتهيئه نفسك ، وانت في اجمل حللك واروع زينتك .

ورأسك ذو الغدائر الشقراء ، كنت في ساعات وحدتك الطويلة ، تتسلين به والمرآة في يدك ، فكم مرة دخل عوادك عليك فرأوا جدائلك مسدلة على جنبيك كأنها شموع عسلية ملقاة ، قبل الاوان ، الى جانب جسدك المسجى ، تنتظر ان تنطفىء شعلة الحياة فيه لترتفع شعلة النور فيها ! وكم مرة صففت شعرك وجعلت منه تاجاً لرأسك ورحت تقولين ، اما ساخرة واما جادة : الصحة تاج على رؤوس الاصحاء ، فهاكم تاجي !

ويالله من بياض وجهك واشعاعه ! واتساع عينيك وعمقها ! ونحول يديك ، واستطالة انامله ، كأنها انامل فنان ، ارعشها طول العزف على الكمان فتمطت تستريح !

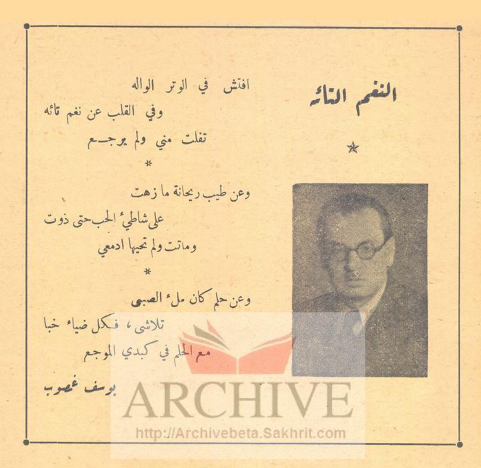
وجسدك البض الرائع التكوين ، كيف اصبح شفافاً ! كنت انظر اليك فيخيل الي انني اراك من خلاله تسبحين في عوالم اخرى وقد استحلت روحاً مرفرفة ماخرة في بعيد الاجواء .

كنت في بعض الهنيهات ، تغمضين عينيك ، وتقولين ، في تمتمة الشفتين ، كأنك روح مستحضرة على يدي جبار : لست خائفة من الموت . ولكنني احب الحياة ! لكن الموت كان يريد ان يأخذك ، متمهلاً ليطيل فيك لذة التملك ، ونشوة الاستمتاع .

وانت ، انت ، بعيدة عن فكرة التملك غريبة عن معنى الاستمتاع ، ايتها العذراء ابنة السبعة عشر ربيعاً التي لم تضم الى صدرها الا دميتها الصغيرة ولم تتقلب في حياتها الا على سرير حديدي ابيض في غرفة موحشة من غرف هذا المصح الشامخ المعلق على هضبة من هضبات لبنان .

هذا المصح ! دنيا من اليأس والامل ! محطة قائمة عند حدود الحياة والموت . وفي كل يوم يجتاز الحدود مسافر جديد .

وهؤلاء المرضى من حواليك ، هؤلاء الرجال في ميعة الشباب ، مقوسو الظهور ، ملتمعو العيون ، رقاق الشفاه ، وهاته النسوة المخلفات وراءهن دنيا من اللذات والاحلام ، المطبقات عيونهن على مشاهد لم تنته في عالم الوهم وان انتهت في عالم الحقيقة ، هؤلاء المجتازون حدود الحياة وقد استطالت اعناقهم ، ودقت ، وعلت اكتافهم ، وبرزت ، كنت ، عندما اتخطاهم في طريقي الى غرفتك ، يخجلني فيض الصحة في جسدي ، وتألقها في وجهي وعيني ، واراهم يلتهمونني التهاماً ، وتكاد تتلاشى عظامهم البارزة فاحس برودة تسري في مفاصلي ، واولي منهم هارباً اليك ، فاراك هادئة تبتسمين وتنتظرين .



النغم التائه

*

افتش في الوتر الواله
وفي القلب عن نغم تائه
تفلت مني ولم يرجـع

*

وعن طيب ريحانة ما زهت
على شاطئ الحب حتى ذوت
وماتت ولم تحيها ادمعي

*

وعن حلم كان ملء الصبى
تلاشى، فكل ضياء خبا
مع الحلم في كبدي الموجع

يوسف غصوب

اقول للبائسين من بني الانسان . اقول للفقراء ، والمعوزين ، والجائعين ، اقول للعشاق الخائبين ، وللحزانى الذين لا يتعزون : اذا شئتم ان تنسوا همومكم واحزانكم ، وان يعاودكم الامل في حياة تحسبونها قاتمة سوداء ، فتخطوا احد هذه الابواب التي يجثم وراءها المرضى ، وادخلوا احدى هذه الدور التي يتلوى على اسرتها المصابون . انكم اذن لسعداء لانكم تنسون !

*

وانت يا شهيدة الصدر ، ويا عذراء السبعة عشر ربيعاً !

يوم حملناك الى بحنس ، في سيارة كبيرة احكمنا رفع زجاجها مخافة ان يؤذيك الهواء ، رأيتك تبتسمين ، وانت غارقة في ملابس الصوف ، من رأسك الى قدميك .

وكنت بعد في اول مرحلة من مراحل تلك السفرة . ويومها ادركنا انها سفرة ستطول الى ما لا نهاية له في الزمان والابعاد .

وامس رأيتك على فراش الموت كذلك تبتسمين أكانت ابتسامتك هذه كابتسامتك تلك ، أتراك ما تزالين في بدء الرحلة ، ام اصبحت في نهايتها ، ام هي مرحلة جديدة ، في سلسلة لا تنتهي؟ أترى كان افترار شفتيك ، في كلتا الرحلتين ، دليل راحة من عناء ماض ، ام بشير امل في غد جميل ؟ من يخبرني فاعطيه نصف عمري!

*

ورآني الناس في شوارع بيروت ، اطوف كالمجنون باحثاً عن زنابق بيضاء ، ثم اقف على مخزن الازهار في باب ادريس ، فتروح البائعة تعرض علي ما عندها من ورود حمراء ، وصفراء ، فـلا البث ان انفجر صائحاً : اريدها زنابق بيضاء ايتها البائعة البلهاء! لان التي ماتت هنـاك ، حيث تقبل السماء عنق الجبل الابيض ، عذراء اطهر من ثلج صنين ، وانقى من ينابيع لبنان !

خليل تقي الدين

عاشقة الحمار

●

بقلم الدكتور نقولا فياض

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

●



للرسام « كراي » صورة تمثل تيتيانا ملكة الحور وقد استولى عليها الغرام بفعل شراب سحري فهامت بأنسان له رأس حمار . فترى في زاوية من الغاب خلعت عليها اشعة الفجر الاولى برداً من الاسرار تيتيانا ذات الشعر الاشقر المجدول والجمال الساحر مضطجعة على فراش من العشب والازهار في حلة بيضاء مرصعة بالذهب واللجين ، ومن فوقها رأس حمار له جسم انسان تحجبه الاغصان عن العيون . وهي تحاول ان تضع في عنق الحمار عقداً من الورود نزعته من جيدها ولا تزال ماسكة به باناملها العاجية . اما الحيوان فكان ينظر اليها بعين الابله الحائر واما هي فكانت عيناها تشعان بالعبادة الصامتة ، وعلى فمها ابتسامة ثمول وفي وجهها لمعان التجلي . ومن حول الصورة يميناً وشمالاً وجوه بشرية بين الاوراق تتأمل في هذيان هذه العاشقة ساخرة بها او مشفقة عليها .

وقد نظم شكسبير في هذا الموضوع رواية تمثيلية سماها « حلم ليلة في منتصف الصيف » . كان شكسبير فيلسوفاً واسع الخيال بعيد التصور ، وقد قرأ في صغره قصصاً خيالية منها قصة « بوك » وبوك هذا من سلالة الالهة ، قزم شرير كثير الخطر يتعمد الاذى والسخرية ويتقمص صوراً مختلفة فيصهل حيناً كالمهرة المدلة ليخدع الجواد السمين المغذى بالفول ، او يختبىء في الكأس لتصطدم به شفتا العجوز عندما تشرب ، او يتلبس الكرسي حتى اذا ما ارادت الشيخة التي تقص القصص الجلوس عليها انزاح من تحتها فتقع . ومنها قصة الفارس هيون الذي لقي في طريقه وهو يجتاز غابة مسحورة « او برون » الملك الساحر ، ومنهـا ، ومنها الى آخر ما هنالك .

كل هذه القصص والحكايات أثرت في مخيلة شكسبير فنظم روايته هذه وجعل مشاهدها وسط غابة بالقرب من اثينا ولم يكن بالمستصعب على شكسبير ايجاد الغابة على المسرح لانه كان لا يأبه بمظاهر الملعب ، وحسبه ان يضع ورقة مكتوباً عليها : غابة بالقرب من اثينا ليفهم النظارة انه كذلك . والدليل انه في هذه الرواية عينها تمثل رواية اخرى اكراماً للدوق تيزه ، واحتفاء بزواجه من المترجلة هيبوليت ، فيطلب احد الممثلين اقامة حائط فاصل في الغرفة فيشير عليه آخر ان يكون هو الحائط او الجدار على شرط ان يطلي وجهه بالجير او الجص ، وان يفتح انامله ليخلق نافذة يدخل منها مع شعاع القمر حديث العاشقين .

وفي هذه الغابة الآهلة بالجن والعامرة بالاحلام يتلاقى الحبان هرميا وليزاندر ، ودمتريوس الذي يهوى هرميا وهيلانة التي تهوى دمتريوس .

وهكذا نصل الى القسم الاخير من الرواية وهو مشهد الغابة حيث يتخاصم اوبرون وتيتيانا من اجل فتى هندي جميل يريد كل منهما ان يتخذه في خدمته . فيغضب اوبرون ويطلب « بوك » ان يجلب له نباتاً سحرياً وهي زهرة كانت فيما مضى بيضاء كاللبن فسقط يوماً عليها سهم من كنانة كوبيدون فعادت حمراء كالدم . فاذا وضع عصير هذه الزهرة على عيني انسان اصبح عاشقاً الى درجة الجنون اول كائن يقع نظره عليه . واراد اوبرون ان يعصر منها في اجفان تيتيانا وهي نائمة حتى اذا ما فتحت عينيها فأول من تراه اسداً او ثوراً او دباً او قرداً تهيم به هياماً شديداً وتنسى الغلام الهندي . وفي الوقت عينه الذي يغيظ به تيتيانا وينتقم منها يسعد هيلانة فيحبها دمتريوس ولذلك يكلف بوك ان يعصر منها ايضاً في اجفان العاشق النائم فتفوز هيلانة بمبتغاها اذ تكون اول من يحبيه عند يقظته .

كانت تيتيانا نائمة في مكان من الغاب تعبق فيه روائح الزعتر والبنفسج وكان الممثلون قد اعدوا ما يلزم لتمثيل روايتهم اكراماً للدوق تيزه فمر بهم « بوك » وخطر له ان يختار لعمليته السحرية احقر هؤلاء الممثلين واسمه « بوتوم » فالبسه رأس حمار بينما كان يمثل دوره ويغني واذا بتيتيانا تستيقظ على صوته المزعج وتقول بلطف : اي ملك من السماء يوقظني من رقادي ويبعث النشوة في فؤادي . ثم يقع نظرها عليه فتقول : ا كمل اكمل ايها الكائن اللطيف انشودتك . لقد عشقت اذناي صوتك وعيناي صورتك



فانا اسيرة حبك. تعال معي . اني سأصغ تحت امرتك كلما عندي من الساحرات فتذهب الى اعماق البحار لتجلب لك اللاكي وتهدهدك عند المنام بهيجة الاحلام. اي زهرة الحمص وخيط العنكبوت وفراشة الحقل، وحبة الخردل، يا صاحباتي طأطئن الرأس اجلالا لهذا النبيل. واقفزن من حوله في نزهة واطعمنه من المشمش والعنب والتين الاخضر والتوت القاني. اسرقن عسل النحل. واقطعن سيقانها المدهونة بالشمع واجعلن منها مصابيح واشعلنها على لهيب اعين الدود اللامعة لتنير محبوبي في منامه وعند قيامه واجعلن من اجنحة الفراش الفضية ستاراً يقي مقلتيه شعاع القمر ..

ولنعد الى العاشقين لزاندر وهرميا والى دمتريوس الذي يهوى هرميا وهيلانة التي تهوى دمتريوس فقد اخطأ بوك الهدف وعصر الزهرة في اجفان ليزاندر بدلا من دمتريوس فلما فتح عينيه ابصر هيلانة فهام بها وانطلق ليدو وراءها وهي تظنه يسخر بها لما تعرفه من تعلقه بهرميا. وراحت هذه اي هرميا تفتش عن ليزاندر فلا ترى في طريقها الا دمتريوس الذي يلاحقها فحسبته قد قتل حبيبها وكادت تكون فتنة بين الاربعة لولا تدخل اوبرون الساحر ورده الامور الى مجاريها.

مغزى هذا كله ان الحب ليس الا وهماً كما قال اللورد بيرون فاذا وقع الواحد منا في حبائل سحره تنكرت حقيقة الاشمار لعينيه فرأى الجمال في الاحمق والمهذار وشاقه تقبيل الحمار.

وهذا الرجل الحمار في رواية شكسبير موجود في الحقيقة ولا حاجة الى التغلغل في غابات اثينا لنشهد امثال تنيانا.

وجملة القول ان الناس العوبة في يد الاوهام، وهي التي تدير حركاتهم وتصرف اذواقهم وتسيطر على اميالهم. وما نراه في حياة الاجتماع من خدعة النظر والاهواء، وتقلب الميزان في الحكم على الاشخاص والاشياء، نجده في عالم الادب والسياسة على السواء.

فالوهم خمرة الحكيم،
بل زهرة الساحر
كم يعبد من اجلها زعيم
وكم يعشق من شاعر ...

نقولا فياض

مصطلح عربي للمفكرين

بقلم لويس ماسينيون

عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية والمجمع العلمي العربي بدمشق



تمنيت ان الفت نظر مفكري صفوة الادب العربي من منابع انبجاسها العنفواني الى الاتجاهات المؤدية لتأسيس مصطلح عربي للمفكرين.

قد تشعبت الاصطلاحات الثقافية في تاريخ العروبة من اصلين:

اولا — وهذا قسم التأثيرات على الظاهر — استعمال آلات علمية مادية او عقلية اتت من بلاد اجنبية مع ضرورة تفسير الاستعمال بالاختصار والدقة — ومن هذا الاصل الاول كثرت المعربات الغريبة معقدة الشكل في المنثور والوزن في المنظوم، ومع غزارة صورها كانت سريعة الزوال والفساد — مع لزومية التجدد تكرارا على الدوام وامتناع اعادتها بعد زوالها (من يحيي اصطلاحات الرازي في الطب مع علو شأنه الفلسفي؟)

ثانياً — وهذا قسم الانفعالات في الباطن — اجتهاد المفكرين في تبيين النفوذ الثقافي على بعض احوال النفوس والقلوب في الامة. وهذا المصطلح الثاني مبني على ما صححنا مع استخدام عبارات عربية سليمة مستمرين مع الترقي منذ ابتدأ في تأليفات المحاسبي والحكيم الترمذي وابي طالب المكي وقد انضم المصطلح الفلسفي في كتاب الاشارات لابن سينا والمصطلح الاشعري في كتاب احياء علوم الدين للغزالي الذي ما زالت شوكته ولا فقدت عبرته الى الان عند من يلقي السمع وهو شهيد لانه ترجمان حال لا قهرمان قال.

وقد فاز بالاصلين والمنبعين كاتبان عظيمان وهما ابو حيان التوحيدي وابو حامد الغزالي والثاني عندي افضل مرشد في تعيير الاصطلاحات بالمعيار الادبي وله النقطة المركزية في الادب العربي الفكري مثلما اشيشرو (Cicero) في الادب اللاتيني الفكري. فلمناظر الغزالي افق اوسع. ورغبة المتفحص في تدقيق الفروق اعتدلت عنده (اكثر منها عند ابي حيان) على حسب تمرينه بالفقه وممارسته الافتاء.

على عتبة الغـــــــد

بقلم عبد العزيز احمد

مدير كلية فاروق الاول ببيروت

المنتدب من وزارة المعارف المصرية

☆

يعتبر ميثاق جامعة الدول العربية فاتحة عهد جديد يبشر بالخير ويبعث على كثير من الرجاء جعل ابناء العرب يتطلعون الى غـد مشرق ومستقبل سعيد في ظل هذا التعاون الوثيق والتضامن المتين.

واذا كان العالم كله قـد اهتم لغده واخذ في الاستعداد له والنظر في الوسائل التي تكفل للشعوب الرفاهـة والرخاء ، فلا عجب ان رأينا كتاب الشرق العربي ومفكريه يدلون بآرائهم وآمالهم في غدهم بدافع من وطنيتهم واخلاصهم غير متأثرين بعامل خارجي الا بالقدر الذي يعين على تحقيق المصلحة الوطنية.

وجدير بنا ، ونحن نستقبل عهداً ظفرنا فيه باجتماع الكلمة ولم الشمل وتوحيد الجهود ، ان نقف قليلا على عتبة الغد لتنظيم البيت وتدعيم اساسه وتوطيد اركانه ، وان نفكر في شبابنا العربي فهم عدتنا لذلك الغد وعلى قدر ما نبذل من نشاط ونرسم من خطط ونهيء من وسائل لاعدادهم وتوجيههم ، نقدم لوطننا شباباً يعتز بهم ورجالاً يعتمد عليهم.

فتنشئة الجيل الجديـد تنشئة قوية دين واجب الأداء. ان قصرنا في الوفاء به اهملنا في واجبنا الوطني ومـا من عربي مخلص يرضى ان يوصف بهذا الوصف او يقبـل ان يتهم بالقصور او التقصير. ولن يكون ما نريـد الا اذا سلحناهم بسلاح قوي من العلم والمعرفة والخبرة العملية بالحياة وحطنـاهم بسياج متـين من الاخلاق القوية والشعور الوطني الصـادق والغيرة القومية والاخوة العربية الصحيحة ...

فهل أدينا واجبنا كاملاً نحو الشباب ؟ وهل اعددناهم اعداداً صحيحاً لمواجهة المستقبل الحافل بالمفاجاءات ؟

الرأي عنـدي ، انا لم ننهض بالواجب على الوجه الاكمل حتى اليوم وان خيل الينا والى الشباب انفسهم انهم قـد اعدوا خير اعداد وسلحوا لغدهم باقوى سلاح.

خيل الينا ذلك لان نعدل ونحور في المناهج ، ولانا نعلمهم في المدارس والجامعات ، ويتخرج كل عام افواج ظفروا بارقى الدرجات الجامعية فاصبحوا اطباء او مهندسين او قانونيين او من رجـال الدين الهـداة المرشدين .. أعني اصبحوا (اخصائيين) فغدوا مسؤولين. قـد نقنع بهذا ونطمئن ، وقد يبتهج به الشباب ويغتبطون له ومن حقهم ان يسروا وان يأملوا في مستقبل سعيد ، وكذلك نرجو لهم تحقق الامل وبلوغ القصد.



على ان الواجب يفرض علينـا الا ندع للغرور الى انفسهم سبيلاً فلا ينبغي ان نخدع انفسنا والشباب معنـا بانهم وقد انتهوا من حياة الطلب وودعوا الدراسة قد نهضوا بواجبهم كاملاً وصاروا اهلاً لاداء الرسـالة وحمل المشعل والسير في الطليعة فانهم ما زادوا على ان اتموا مرحلة تمهد لهم ليستأنفوا اخرى اشق هي الجهـاد الحق والنجاح فيها هو الفوز المبين. ورحم الله الاستاذ الامـام الشيخ محمد عبده فقد وقف مرة

يخطب في الشباب المنتهين وقد اجتمعوا لتسلم شهاداتهم ، فلم يتملق غرورهم ولم ير انهم اصبحوا علماء . وانما هنأهم بنجاحهم في هذه المرحلة وذكرهم بانهم قد بدءوا يتعلمون منذ اليوم وان الطريق اخذت تتضح امامهم على وعورتها ومشقتها .

وقد صدق الشيخ فما كانت هذه المرحلة الا تلقينا فاعداداً فتوجيهاً . . .

وكذلك نريد لشبابنا اعداداً عربياً صميماً وتوجيهاً وطنياً قوياً يهيئهم لغدهم المرتجى ويرشحهم لاداء الرسالة التي ندبوا لها على اكمل وجه .

ولن نصل الى غايتنا بهذه الطرق التعليمية التي نسير عليها وهذه المناهج التي تخضع لها فانها جسم بلا روح ونحن نريد ان تشيع فيها الحياة وتزخر بالقوة وتتمتع بالمرونة والانبساط ، لا يحدها شيء ولا يعوقها عائق

فنرى عملا يبدأ في المدرسة ويستمر في الجامعة ليتجه اتجاهه القويم خارج هذه الجدران وفي غير هذه الحدود

نطمع للشباب في ثقافة عميقة واسعة متشعبة الاطراف متعددة النواحي قد امتدت جذورها وتغلغلت في جميع اقطار الارض ، تتغذى من الماضي قريبه وبعيده ، وتستنشق هواءها من كل الاجواء لا يقيدها شيء في هذا الافق الرحيب

وبذلك نقضي على هذه النزعات المختلفة والعصبيات الضيقة فلا نسمع بشيء اسمه اصدقاء الثقافة الفينيقية او ثقافة البحر الابيض او انصار الثقافة الانجلوسكسونية او اللاتينية او . . الى غيرها من هذه الاسماء والاخلاط العجيبة التي تشعرنا بالفرقة والانقسام وكأن لوناً بعينه من الثقافة هو الامل المرجو والغاية المبتغاة . . . !!

اترى في هذا ما يساعد على لم شمل جماعة المثقفين من ابناء الامة العربية ؟ لا اعتقد . . .

فنحن في حاجة شديدة الى التجانس الفكري والتقارب العقلي بين ابناء العرب لا يضعف منه تخصص في مادة او ينتقص من قوته تفوق في فن من الفنون .

فان التباعد الفكري والتنافر الفني (ان صح هذا التعبير) بين الاخصائيين من اشد الامور خطراً على كيان الامة ومقومات نهضتها بما يحدثه من تباين وانقسام بين المثقفين هو اشنع من الانقسام الذي ينشأ عن الجهل وضعف الادراك بين طبقات الامة من زراع وصناع وعمال وغيرهم .

واذا كانت الحكومة المصرية (مثلاً) قد ادركت اثر اختلاف العقلية وتفاوت مدارك العامة فعملت على اذاعة ما يسمى الثقافة الشعبية ، وندبت جماعة من ذوي الاختصاص لتبسيط المعلومات وتيسيرها حتى تصبح سهلة التلقي غير عسيرة الهضم ، وجعلتها شاملة للكثير من شؤون الحياة التي ينبغي ان يعرفها رجل الشارع (كما يقولون) وكلها ينتهي الى غاية واحدة هي اعداد الشعب بطبقاته المختلفة ، لفهم حقوقه وادراك واجباته واشعاره بوجوده كانسان . . وحتى تصل به الى مستوى من الادراك العقلي يقارب بين طبقاته فلا يشعر فريق انه يعيش غريباً في بيئته او غير منسجم مع محيطه .

واذا بلغ الاهتمام بالعوام واشباههم هذا الحد أفلا يكون من الواجب الحرص على اضعاف هذا التفاوت وتقريب المسافة بين طبقات المثقفين ؟ أليسوا في حاجة الى تقارب وجهات النظر في كثير من المسائل فلا يكون هناك تباعد شديد في الميول او اختلاف كبير في الآراء او تعارض في الاتجاه نتيجة اختلاف العقلية التي اثر فيها نوع معين من العلم او انحرف بها لون خاص من الثقافة الفنية ؟

أليس من الواجب ان يكون بين هذه الجماعات المثقفة ثقافة فنية ممتازة (هي ما يسمى التخصص) قدر مشترك من الروابط الفكرية والثقافية يصل ما انقطع ويضم الشتيت المتفرق ، فيكون الاتجاه الفكري واحداً (في غير مادة التخصص) والعقلية متقاربة الا ما كان من تفاوت طبيعي لا بد للانسان فيه .

ولا يتحقق هذا الا بحسن التوجيه وعمق التثقيف وصدق العمل . . .

فواجبنا الاول نحو الشباب هو ارشادهم — في دور الطلب — الى ادراك قيم الاشياء ادراكاً صحيحاً واعانتهم على تصور حقائقها بدلاً من العناية بحشو اذهانهم بالمعلومات وتلقينهم اخلاطاً مضطربة من المعرفة ، وتعويدهم الاعتماد على النفس والشعور بالتبعة شعوراً صادقاً وتقدير الواجب تقديراً صحيحاً وفهم معنى القومية فهماً دقيقاً ومعرفة مقومات النهضة حق المعرفة ، وان يؤمنوا بحق الوطن فهو عزيز عليهم قوي بهم ، وان يشتد حرصهم على ان يكونوا سادة في بيتهم ، يعتزون بعشيرتهم ويتقوون بجيرانهم ، متى اتفقت المشاعر والتقت الآمال وخلصت النيات وصدق العزم .

عند ذلك لا يعمل احدهم الا بوحي من ضميره وتوجيه من عقله وفيض من شعوره الحي واطمئنان الى التآزر القوي والتضامن

الصحيح الذي يوحي به الحب العميق والعاطفة المشتركة .

فاذا وفقنا الى ان نبلغ بالشباب ما اردنا له من اعداد وتوجيه امكن ان يستقبل المرحلة الثانية التي نطمع له فيها وندعوه الى خوض غمارها الى جانب ما يحرص عليه من تخصص .

تلك هي القراءة المتصلة وتحصيل المعرفة في غير انقطاع فان التوقف لحظة مضيعة لا يرضى عنها من يفهم قيمة الحياة الصحيحة ويحرص عليها ... وينبغي ان تكون متنوعة العناصر تشمل كل شيء فما اكثر ما يجب ان نعرف عن العالم وما نفيده من نتائج القرائح وثمرات العقول .

فينبغي ان ينصرف الطبيب في لحظة من اللحظات عن طبه والمهندس عن فنه والاديب عن شعره ونثره ، فلا يفكر احدهم في تخصصه ولا يفتن به او يذوب فيه ، بل ينساه فترة قصيرة من الزمن لينظر في غيره من العلوم والفنون والآثار الادبية التي تعين على فهم دقائق الكون وحقائق الوجود وتفهم النفس الانسانية واهوائها ونزواتها .

ولن يضيع سدى ذلك الوقت الذي يصرف فيما يثقف العقل ويهذب النفس .

وما اشد حاجة الطبيب او المهندس مثلاً الى ان يكون اديباً او متأدباً ليكون له حس مرهف وذوق راق وعواطف نامية ثم قدرة بارعة على التعبير الصحيح والابانة الواضحة عن المعاني الدقيقة

وليس الاديب بمستغن عن الاتصال بمختلف العلوم والفنون ، ولا اقول على نحو من التخصص ، وانما بالقدر الذي يؤهله المشاركة في كل حديث والمساهمة في كل موضوع مساهمة العارف لما يقول الواعي لما يسمع ، ولن يكون اديباً حقاً الا اذا عرف الواناً شتى من المعارف ليحدد فكرته ويقوم عقله فتغزر مادته ويستقيم منطقه ويفهم الحياة على وجهها .

والتخصص في علم او فن على الرغم من جلال فائدته خطر اشد الخطر ان حصرناه في حدوده الضيقة ولم نفكر الى جانبه في وسائل لرفع القيم الانسانية والنهوض بالعقل والرقي بالشعور والسعي الى تقارب العواطف والميول بين ابناء الوطن الواحد ..

فما اقوى الدوافع التي تدعونا الى الحرص على هذا التقارب العقلي القوي والتمازج بين طبقات المثقفين لبناء قوميتنا على اساس متين .

هذا وان اعتزاز المرء بنفسه وشعوره بشخصيته يفرض عليه ان يكثر من مطالعته وبنوعها فهي عنوان شخصيتنا ومدعاة لاحترامنا وكم من رجال تقتحمهم العين فاذا استمعت اليهم ملكوا عليك لبك وظفروا باعجابك .

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصفه ونصف فؤاده فلم تبق الا صورة اللحم والدم

فالواجب الشخصي والوطني يدعو ملحاً الى التزود من الثقافة العامة باوفر نصيب بعد ان يسرت للشباب كل اسباب المعرفة ، ودفعت اليهم دفعاً وهم يصدفون عنها حيناً لضيق الوقت وآناً لمشاغل الحياة او غيرها من المعاذير وما هي الا تعللات نربأ بانفسنا عن ان نتعلل بها وهم ان قصروا في ذلك تنكروا للماضي المجيد وضاعوا في حاضرهم ، فافلت منهم الزمام في المستقبل .

ولنرجع قليلا الى الماضي ولنستعرض التاريخ الحافل باكرم الامثلة لاعظم الرجال في عصر العربية الزاهر بل في كل العصور ، فكم من رجال تثقفوا بثقافة عصرهم فكان اطلاعهم فوق كل اطلاع وانتاجهم بين ايدينا يعجز عنه الكثير من الرجال مع اشتغالهم بشئون الحياة وقلة وسائل المعرفة فكانوا يسعون اليها حثيثاً ويبحثون عنها مجدين .

لقد كانوا مجاهدين ابراراً فرضوا انفسهم على الزمن فخضع لهم واحسنوا استغلال وقتهم فكانوا مثلاً صالحاً في الاولين وقدوة طيبة للاخرين .

وما بي من حاجة الى ذكر الاسماء فهي اكثر من ان تحصى وما اغزر ما تركوا من مؤلفات وآثار هي دائرة معارف عصرهم وكل طلب القوت وسعى اليه ولم يشغله عن طلب العلم والحرص عليه (انظر : ابن التلميذ الطبيب – عدد آذار) .

كذلك لست في حاجة الى ضرب الامثال بالمعاصرين الشرقيين والغربيين الذين عرفوا لانفسهم كرامتها فعنوا بالاطلاع الواسع والثقافة العميقة ولم يصرفهم تخصصهم عن السعي وراء الرقي العقلي والكمال الانساني .

وهل هناك غاية اسمى من هذه التي يدركها الرجل المثقف الذي ظفر بالغذاء الجيد لعقله وقلبه وشعوره بفيض من العلم والمعرفة ووافر من نبل العاطفة ، وسمو الوجدان فلا يكون آلة تنطق بل عقلاً يفكر وقلباً يشعر وروحاً محلقاً ، يسمو على ما عداه ، وبذلك تجتمع له كل مقومات الشخصية التي تفرض نفسها وتعرف كيف تدرك الغرض دون التواء وتواجه الصعاب بشجاعة قلب وقوة عقيدة وثقة بالنفس لا تحد .

ان هذا المثل جدير بقيادة امة رشيدة الى الحياة الحرة الكريمة ... الى المجد .

عبد العزيز احمد

قصتنا بين الامس والغد

بقلم رشاد المغربي دارغوث

يوم اقيمت في « راديو الشرق » حفلة تأبين للشاعر الفقيد رشيد نخله ، صاحب النشيد الوطني اللبناني، القى السيد روجه شامبار خطاباً يستوقف المطالع المقطع التالي منه :

« كان للاداب الغربية » أسوأ تأثير في نهضة الادب الشرقي سواء في الادب التركي والادب العربي . عندما انشأت مدارس الشباب في استنبول وبيروت والقاهرة ، عواصم تلك الاقطار التي اطلعت كثيراً من الكتاب اللامعين الموهوبين ، كان هؤلاء في اكثر الاحيان يعمدون ، في سبيل تحطيم التقاليد التي كان الفكر سجينها ، الى اتخاذ نماذج غربية ينسجون على منوالها في ادبهم ، وهم لا يشعرون انهم انما كانوا يحلون محل الاطار الذي يريدون تحطيمه اطاراً اجمد واصلب . وكتب للادب التركي الفني خاصة ان يكون اشد مصاباً في هذا التقليد الاعمى . كانوا ينشئون انواعاً من الادب جديدة ، وكان الروائيون ينسجون على منوال زولا اوبورجه ، والقصاصون على منوال موباسان ، والشعراء على منوال كونت دي ليل او مالارمه . فنشأ من ذلك حتماً اضعاف للفكر جعل التآليف — وان تكن احياناً قيمة من الوجهة الادبية — فارغة لا توحي شيئاً الى جمهور غريب عنها .

وصاحب هذا الكلام اديب فرنسي ، خريج السوربون في الدروس الشرقية ، تابع زمناً طويلاً تطور الحركات الثقافية في الشرق ، ودرس مميزاتها .

وقبل ذلك بستة اسابيع كنت نشرت المقطع التالي :

« الاقتباس ممكن ، بل انه شيء طبيعي يحدث كلما احتكت شخصيتان او مدنيتان . والاعجاب طبيعي ايضاً اذا صدر عن الضعيف برسم القوي . ولكن ان تذوب شخصيتنا فتنعدم في شخصية امة اخرى ، وادبنا فيصبح عربي الكلمات فرنسي الاسلوب والمقاييس مثلاً ، او انكليزي التعابير والموازين ، فامر لا يحمده لنا حتى الذين نأخذ عنهم ونهتدي بهم فنحن يعجبنا في القصة الفرنسية طابعها الفرنسي ، وفي الرواية الروسية مسحتها الروسية . فكيف يريدنا هؤلاء المتأدبون حملة الادب بمقاييسه وموازينه — على ان نزعم لانفسنا نشوء القصة في ادبنا المعاصر اذا كانت غير ذات طابع خاص، تسبغه عليها بيئتنا ، ومزاجنا وعقليتنا ، وظروف حياتنا الخاصة ، طابع يميز قصتنا من كل قصة ؟ .

ليس هذا ما اود ان انوه به الان ، كلا ! ولا تلك الثورة التي

شعلها قولي في جهة معينة ، فجاء كلام (الفرنجي) على الاثر يحمل الهدوء والطمأنينة الى اعصابهم ونفوسهم . كلا ايضاً ! فالكلام عند بعض الناس يزاز بثقل صاحبه ، والحقيقة تصطبغ بلون قائلها ، لانهم مجددون متحررون . بعكسنا نحن الذين نأخذ الحكمة ممن وجدناها عنده ، سواء كان في واحة او في جزيرة ، فوق رمال البيد او وراء مياه البحار ، في الشرق او في الغرب ، لان الحكمة ضالة المؤمن .

ولكننا على كل حال نقف من تلك الحكمة موقفنا من كل غذاء : نتفحصه ، ونتلمسه ، ونستروحه ، ثم نعده وفاقاً لما تستسيغه اذواقنا وتهضمه معدنا ، كيما يمكننا تمثله فيما بعد ، وتحويله الى قطرات من دمنا ، وألياف من لحمنا ، وخيوط من اعصابنا .

هذا مذهبنا في الادب ، والقصة منه ، وفي الفنون — والموسيقى في طليعتها . فكما نحن لا نشبع (جنون) الآلة والانسان معاً ، في صخب (الجاز) وهستيرية انغامه ، كذلك نحن لا نتذوق — ولا نتأثر بجل هذا النتاج الذي غمر المكتبة العربية ، في السنوات الاخيرة ، مكتوباً بلغة عربية ، وروح لا تمت الى البيئة والمزاج بسبب متين .

واذكر انني حينما اصدرت رواية — خطيئة الشيخ — وجد فيها بعض المتأدبين (فتحاً جديداً في عالم القصة) ، ووجد فيها غيرهم جريمة تستحق (الحرم) . وحسب آخر : « ان المؤلف قد ابدع في امكنة ابداعاً لا يحطه في المنزلة عن كبار الروائيين العالميين » .

فبأية مقاييس استهدى هؤلاء السادة ، وعلى اية موازين اعتمدوا ؟

اننا في هذا الشرق في دور ترجرج ، لا بد ان يتمخض عن استقرار . وكما ان البلبلة السياسية قد وجدت ، في ميثاق جامعة الدول العربية ، اتجاهها المركز ، فكذلك ستجد الفوضى الادبية ، في ظلال الكرامة الوطنية والوعي القومي ، سبيلها الى الحياة المتزنة ، فالخلود .

ولعل كفاية الاديب المحترف — بعد تخصصه — من الناحية المادية — وهو ما دعونا اليه بكلمتين : ادفع نكتب — مما يعجل في تقريب ذلك اليوم ، يوم تضم الادباء جامعة تعاونية ، لها ميثاقها ورسالتها ، تجعل من مجموعهم كتلة لها وزنها ، وتمكن لنتاجهم من ان يشق سبيله الى النفوس ، وتحول دون هذا السباق مع الموت في ما تخرجه المطابع في الصباح ، كيما يستقر عند المساء في ايدٍ تبيعه اكياساً للصر ، او وقوداً للحرق .

ويقيني ان قصتنا في ربع القرن المقبل ستتسم بطابع الشخصية الذي اعوزها حتى الان ، الا في النادر القليل . فانك لن تجد قاصاً كالذي وصفه السيد شامبار ينسخ موباسان او تولستوي ، ولا كيبلنغ او دستويفسكي . كما لن تقع على امرأة عند احدهم ، من نسائنا في القرن التاسع عشر مثلاً ، تحمل خيبتها — كما كانت تفعل ابنة باريس تماماً — الى صخرة الانتحار او نهر السين ... فتدفن في الماء عاطفتها المكبوتة ، او تغسل شهوات اطلقت لها العنان .

لا ! لن يكون عندنا مثل هذا القصص المسيخ ، ولا تلك القصص المبتذلة التي يمكن تلخيص كل واحدة منها بثلاث كلمات : امرأة ، حب ، خيانة او وفاء . او انثى لذاذات ، مرض او موت .

ان حياتنا ارحب آفاقاً من حياة هؤلاء الذين ما برحوا يعيشون في بعض جزر المحيط الهادىء ، وفي بعض الزوايا من كل قارة ، في جو يضطرم بالعطر ، ويستنيم للنشوة ، ويسدر للاحلام .

وستقود طبيعة هذه الحياة نفسها من يعاني حرفة الادب الى نوع منه ، يصطبغ بالواقعية التي اتسمت بها سياسة الدول العربية الخارجية مؤخراً ، واقعية لا تنحط الى درك الصحافة اليومية ، ولكنها تدين بمبدأ التوجيه اساساً تقوم عليه رسالة الاديب ، سواء استهدف نفسه وخباياها ، او الناس واشياءهم .

وهكذا تبدو لنا الخصائص التي نود ان تتميز بها قصتنا : انها خصائصنا اذا تحدثنا دون تكلف ، ومميزاتنا اذا وصفنا دون تصنع ، وطابعنا اذا فكرنا دون تملق ، وسمتنا اذا سرنا دون التواء ، وسماؤنا اذا سفرنا كل حجاب .

وعندئذ ينقل العالم نتاجنا الى لغاته — كما نفعل نحن بالروائع من نتاجه — فيجد القصتنا في نفسه مثل ما نجد لقصته في نفوسنا : لذة الجديد يتذوقه برغبة المرء في كل جديد .

وعندئذ لا تندمج شخصيتنا الادبية في غوغاء القافلة العالمية ، لان لها مركزاً محفوظاً ... في الطليعة ، في الصور ، كما كان من قبل ، يوم احترمنا انفسنا ، ولغتنا ، وخصائصنا هنا ؛ فاحترمنا الناس هناك ، في كل مكان .

رشاد المغربي دارغوث





امرأة

☆

كم ليلة حمراء خلتُ ظلامها ... يدَ ماردٍ سلّتْ خضيب حسامِ

وكأنّ كل سحابةٍ في أفقهـا ... شبح الخطيئة فوق عرضٍ دام

وكأن انجمها نوافـذ حانةٍ ... شرب الدخان بها بريق الجام

وكأن انوار المدينـة تحتها ... سرُجُ الغواية في طريق حرام

همد الهواء بهـا فجهد حراكه ... هبوات نارٍ في نفيث قتـام

وكأنما اختنق الفضاء فكل ما ... فيه صريع ، او وشيك حمـام

ألفيتني جسداً تسارق روحـه ... قُبلٌ عواصف ضرّجت بأثام

أجتاحها وأضج من لذعاتهـا ... فكأنهـا بدمي نقيع سمـام

وعلى يدي مسحورةٍ مخمورةٍ ... ألتـذ كالمقرور حرّ ضرام

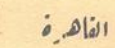
متضائل الافكار مهدور القوى ... متزايـل الاهواء والاحـلام

هي مَن ترى؟ هي هنّ! هنّ جواذبي بأنيق ثوب او رشيق قوام

الشاردات العائدات مع الضحى ... الطاردات وراء كلّ ظـلام

هنّ اللواتي ان صحوت فانني ... منهن طالبُ مهربٍ وسلام

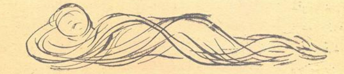
أخمدت فوق شفاههنّ شبيبتي ... وذبحت بين عيونهن غرامي !!



القاهرة

علي محمود طه





نهضة العرب

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

تمر على الامم اطوار مختلفة، تتقدم وتقف او تتأخر ،وتعلو وتسفل ، وتسعد وتشقى ، ولكنها لا تموت ما أمدها تاريخ فياض ، وحفزتها مقاصد عظيمة ، ودفع عنها اليأس وشق لها طريقها ، اليقين والعزم والجهاد والدأب ..

وآية يقظة الامة بعد غفلتها ونهوضها بعد قعودها ، ان تنظر الى احوالها وتتعرف وجهتها ، وتتبين بين الامم مكانتها ، وتخط للحياة خطتها ، وتقايس ماضيها وحاضرها . تنظر هذه النظرات ، فلا ترضى حالها ولا تسكن الى سيرتها ، ولا تغتبط بما عندها ، ولا تقنع بما يسر لها ، وحينئذ تقلق وتضطرب وتمحص كل ما لها من علم وادب وخلق ونظام ، وقوانين وسنن لتميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد ، والقوي من الضعيف والملائم وغير الملائم ، فتستبدل الامة بالرضا سخطاً وبالقناعة طموحاً وبالسكون حركة وتمضي ناقدة مغيرة ، مصلحة ، الى ان تستقيم على الطريق وتواتيها الخطة الرشيدة فلا يقف سيرها شيء ، ولا يصدها عن غايتها شيء .

وهي في هذا كله تجمع كلمتها وتلم شعثها ، وتستخرج كل ما لديها من وسائل ، وتستمد تاريخها وتستوحي ادبها ، وتستنجد عقلها وعلمها . ثم تبني لنفسها بعلمها وفنها ويدها ، على تاريخها ، لمستقبلها . ترى الابتكار فيما تفعل ، والاستقلال فيما تأتي وتذر ، والثقة باعمالها والايقان بنجاحها . وتأبى ان تكون لغيرها صدى ، ولسواها ظلاً ، وان يبتكر الناس وتقلد ، ويؤموا وتتبع ويتقدموا وتتخلف . ثم لا يحملها الاعجاب بما فعلت ، والغرور بما نالت ، على ان تبغي وتجور ، او تغلو في ترف او لهو ، او تنسى الخلق الكريم ، والسيرة العادلة ، او تغفل نصيب النفس من المطالب الروحية السامية .

*

والامة العربية اليوم تفعل ما تفعل الامم الناهضة اليقظى ، تجمع شملها وتصلح شأنها ، وتأخذ للحوادث اهبتها ، وتعد للتاريخ عدته وللمجد تكاليفه ، وتسعى لتنال مكانتها بين الامم ، وقد واتاها من اسباب الحياة ، ووسائل التقدم ، ومن ذخائر التاريخ ما يكفل لها السيرة الرشيدة ، والغاية المجيدة ان شاء الله .

تنظر في حاضرها فترى اقطاراً واسعة متواصلة ، فيها من السهول والجبال ، والبحار والانهار ، ومن الزروع والثمار ، ومن ذخائر الارض ، ما يكفل لمن عمل وجدّ الغنى والرفاهية ، وما يضمن العيشة الراضية لمن اعمل عقله ويده لاخراج خيرات الارض واثارة كنوزها .

وقد اوتيت مكاناً وسطاً في الامكنة ، وجواً معتدلاً في الاجواء ، ومنحت من كل شيء ...

وتنظر الامة العربية الى تاريخها فتزهى بتاريخ اضاءت به الارض حقاً وعدلاً ، ورجفت به جلالا وهيبة . وما يزال الزمان يعيه ، والاجيال ترويه ، حجة لمن يحتج وفخراً لمن يفخر .

فاذا فخرت الامم بفتحها وقوتها وسلطانها ، فما عرف التاريخ القديم امة كالعرب طوت الارض شرقاً وغرباً في سنين قليلة ، وجمعت المشرق والغرب لسلطانها ، في حقبة قصيرة ، وسيرت كلمتها الى نهر سيحون ونهر اللوار في زمن وجيز . ولم يكن هذا فتح الجبارين ولا سلطان المستكبرين ، ولكنه كان رحمة شاملة وعدلاً محيطاً ، ودعوة الى الاخوة الصادقة ، لا تفرق بين الاوطان ولا تميز بين الالوان ، ولا تعرف البشر الا سواسية في الحق ، اكرمهم احسنهم قولا وعملاً .

وان فخرت الامم بما عمرت على الارض وشادت فالتاريخ يشهد ان العرب ملكوا الاقطار فزادوها عمراناً ، ولم يقصروا في تعمير واصلاح ، ولا يزال التاريخ يحدث بما شقوا من انهار وانشأوا من قرى ومدن ، وبما غرسوا وزرعوا وصنعوا ، ولا تزال اسبانيا تنتفع بما ترك العرب من انهار وجسور ، وجنات وعيون . ولا تزال آثارهم قائمة تتحدى غير الزمان وتطاول بطش





نهضة العرب

بريشة مصطفى فروخ

الحدثان ، وهؤلاء بنو امية ، وهم اقدم الدول العربية واقربها عهداً بالبداوة ، لا تزال آثارهم في الشام والاندلس، بل لا تزال قصورهم في البادية ، تحدّث عن كلف العربي بالتعمير والتشييد ومسارعته الى الاخذ بوسائل الحضارة والانتفاع بهـا . فمن جادل بالهوى جادلته هذه الاثار بالحق ، ومن احتج بالظن احتجت بالحقائق المشهودة التي لا ريب فيهـا . وانظر الى الاثار من بعدهم فهي ملء الارض والزمان .

واما الآداب فالامة العربية تدل بادب لا يعرف التاريخ مثله سعة مكان وطول زمان ، فقد سلم لها ، على رغم الزمان ، أدب الفته العصور المتطاولة منذ عهد الجاهلية ، ونشأته الاقطار المتباعدة بين الهند والاندلس، وفيه من الجمال والجلال ، وفيه من العواطف الكريمة والخلق النبيل ، وفيه من الحماسة والحمية والعزة والاباء ما عد الامة بعُدَدها المستقبل الماجد العظيـم . وفيه من صُوَر الحادثات وغير الواقعـات ، ما يبصّر بقوانين الحيـاة وسنن الزمـان . وفيه من مفاخر الآباء ، ومآثر الاسلاف ما يسمو بالنفوس الى المعالي ، ويرفعها عن الدنايا وما يعصمها ان تذل في عراك الخطوب او تهون على تقلب الزمان .

ولست في حاجة الى ان احصي من الشعراء والكتاب واذكر من الكتب والاثار .

واما العلوم فقد ألف حكم العرب بين الامم وجمعها على حضارة واحدة فتعاونت العقول على العلم ، فاخرجت في ضروب المعارف البشرية كل ما لم يسبقوا اليه ، ابتكر العرب من علوم اللغة ما لم تعرفه امة ، وأنشأوا من علوم الدين والفقه ما بقي على الازمان، شاهداً بسعة العقل وحسن الاستنباط ، وما عرف التاريخ امة اخرجت من الشرائع والفت من كتبها مثلما الف العرب واخرجوا . ثم اخذوا علوم الامم فزادوا عليها ونقدوها ، وانتفعوا بها وحفظوها حتى ادوا الامانة الى الاجيـال من بعدُ كاملة غير منقوصة فاتصل تاريخ المعـارف البشرية وبنى المتأخرون على علم المتقدمين .

وكم ذهب الزمان بآثارهم ، وعدت الحوادث على كتبهم ولا تزال بقية الاحداث من هذه الكتب ، تلقى الباحثين بالعجب والحيرة والدهشة ، فما الظن بعلم هذا بقيته ، وما الظن بحضارة هذه بعض آثارها . . .

لا ندعي للعرب ما ليس لهم ، ولا نقول انهم فوق الامم كلها، فانا نريد ان نؤسس نهضتنا على الحق والانصاف والقصد ، لا نذهب مذاهب الامم المتغالية ، كما كان تاريخنا ، من قبل ، قائماً على الحق والانصاف ، والاعتراف للامم بمآثرها واعطاء كل ذي حق حقه . . « ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعيثوا في الارض مفسدين . »

وانما نريد ان ندفع هـذه الامة الكريمة اباطيل المفترين واكاذيب الكاذبين الذين يحاولون ان يزلزلوا في نفوس ابنائهـا الايمان بتاريخهم ، والثقة بمستقبلهم .

فللعرب من الارض والعدد ، ولهم من الصفات الخلقية والخُلقية ، ولهم من التاريخ مـا يكفل لهم على هذه الارض عيشة راضية مجيدة ، وما يضمن لهم بين الناس مكانة عزيزة وما يعدّ التاريخ عنهم بالعمل الصالح لخيرهم وخير الناس كلهم . قد اجتمعت لهم الاسباب وتهيأت الوسائل ودار الزمان وسنحت الفرص فليس الا السير والعمل والجد ، والدأب والتعـاون ، والتآلف فاذا الآتي اعظم من الماضي حضارة ، واحسن على وجه الارض آثاراً ، واوفر في العلوم والصناعات حظاً .

لقد استدار الزمـان ، وآن للعرب ان ينالوا مكانتهم وان يؤدوا للتـاريخ قسطهم وان يفوا للحضـارة بدينهم ، وللحضارة دَين على كل قادر على المساهمة فيها . ان دين العرب على التاريخ عظيم وان ما ينتظره التاريخ منهم عظيم فليطالبوا التاريخ بحقهم وليؤدوا للتاريخ حقه .

ان دعوة العرب اليوم دعوة الى التعاون والتآلف فيما بينهم ، ودعوة لان يعملوا لانفسهم ، ثم للبشر كله . انهـا دعوة مودة ووئام فيما بينهم ودعوة سلام وخير للناس جميعاً . لا يعتدون ولا يقبلون العدوان ، ولا يظلمون ولا يحتملون الظـلم . ان في فطرة العربي الحرية فهو يأبى ان يُستعبد ويأبى ان يستعبد النـاس ، حر يحب الاحرار ويود الحرية للناس جميعاً .

الا ان الفرص سانحة ، والزمـان ضنين بالفرص ، والفرص سريع مرورها . فليحذر قومنا ان يناموا والخطوب يقظى ، او يزلزلوا والزمـان يجد ، او يقفوا والفلك يدور ، او يبطئوا والحادثات تسرع .

ان تكاليف المجد ثقيلة ، ومطالبه بعيدة ، ولكن في ضمان العزائم والجد والدأب والصبر والتعاون الاضطلاع بالاعباء الثقيلة ونيل المطالب البعيدة فتقدموا الى العمل ، بقلوب ملؤهـا الرجاء والامل ورؤوس ملؤهـا الحكمة والروية ، وأيد ملؤها النشاط والقوة ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون والله معكم .

القاهرة — عبد الوهاب عزام

زجيع صدى

حجر الزاوية المقدس

مهداة الى الياس زخريا

« قد انقطع نغم العزلة والانكماش ، لاننا ادركنا ان الجزيرة معنى واحد عظيم ، في لفظ واحد عظيم ، طلعت على الدنيا بابناء جعلوا القمة موطئاً لاقدامهم ، لا مرمى لأبصارهم » .

هنامنبعث النور ، لا المشاورات الجوابة .

هذه هي الصخرة التي يرسو عليها حجر الزاوية المقدس ، لا المواثيق المكتوبة .

المشاورات الجوابة رهينة مهابّ الرياح . والمواثيق المكتوبة صيغ تنفتق عن تأويل وتفسير .

وارادة الامة اقتناع ، ذاهب جذره في صميمها ، يتغذى بكبريائها وجهادها ومحصول تجاريبها . وحس الامة ينبوع متصلة اصوله في غلغلة بعيدة ، تنبثق ولا تؤول ، وتفيض ولا ترن فيضها بميزان ، ولا تكيله بمكيال .

والامة التي طالما غمغمت انغاماً جشاء في وحشة العزلة وضلة العيش المضيع ، ترحم الجو اليوم بانغام تتلاقى ، فترغم العالم على الاصغاء ، وتتجاوب ، فتتلفت الامم نحو امة تقوم ، وفي قومتها معنى من قومة لها سلفت ، فملأت الدنيا تشييداً وانجاباً ، وفاضت على الدنيا خيراً ونوراً .

ما كان اهوننا على الامم شتيتاً مذرواً !

انما على هذا يرسو حجر الزاوية .

وانه لسلاحنا ، ونحن نناضل للقضاء على آخر نأمة للانكماش والعزلة .

وانه لحجتنا الناصعة ، ونحن نقارع حجج روّاد التفكك وحماة الشتات

وانه لمنطقنا الثبت ، وبياننا المعرب ، بازاء صخب الدعاية المجلوبة ، وعجمة المذاهب الدخيلة .

وانه لايماننا ، والاحداث ترجرجنا ، وتبلو تماسكنا .

وانه لزادنا ، ما طالت المراحل .

وانه لالى البنيان الشاهق الموطد ، وان اريد لنا حصاةً حصاة .

منذ عدنا الى الكتب الصفراء نستبين تاريخ القباب الزرقاء ، وضعنا ايدينا على منسرب النور الى مصدر العزة من قبل ، والى مصدر العزة اليوم والى مصدر العزة من بعد ، – الى العروبة المنبثقة من وهج الرمال حتى تبترد على هذه الشواطىء الضاحكة عند السفوح الخضر .

اننا منذ نسينا ، او أنسينا ، اصولنا ، لم نفعل غير الاستكانة والتضاؤل ونحن اذ نعود فنتعرف هذه الاصول ، نغلي حمية ، ونتترى لنشق هذا الاهاب المسكين الذي لبسناه ، ونخرج منه في اهابنا الاصيل مجدداً قشيباً معلماً بخطوط تمتّ بنسب الى عهدنا الاغر في الزمن الذي مضى .

ومع ذلك فدعاة التفكك والشتات ترمي بالرجعية هذا التلفت الى التاريخ والاعتصام بالاصول ؛ فكأنما الشجرة بقوة الرجعية تغلغل جذورها في الارض ، وهي ترسل فروعها في اتجاه السماء وفي اتجاه الافق . وكأنما النهر يظل نهراً اذا انبتّ ما بين ينبوعه ومجراه .

ودعـاة التفكك والشتات تلقي الرعب والذعر في اقليم اقليم ، حتى غدونا وسوء الظن موحي ذكائنا ، وبرهان الزكن وبعد النظر فينـا . وحتى غدا بعضنا في نظر بعض ذا ناب ومخلب ، لا يرى فيه غير الفريسة ينقض عليها عند السانحة الاولى .

لا خوف بعد الان من هذه البقايا القاعدة عن نبل الطلب ، بعد ان مشت المواكب في جلال الايمان وصدق العزيمة ، وقد عينت هدفها وأحكمت التسديد . لا خوف عليها ونفيرها وطلائعها ومركز قوتها شباب . شباب عليم – حاشا البقايا القـاعدة عن نبل الطلب – ان لا حرية ولا سيادة ، ولا خصب ، ولا ابداع ، ولا تشييد ، الا باتساع النطاق يطوق هذه الامة في اطار واحد تتفاعل فيه قواها ومواهبها ، وتهبها المنعة والايد والممكنات . شباب يكره الصغر ، ويزدري الشح ، ويتمرد على الفقر ، ويضيق بالافق يحزم عنقه ويهيض جناحيه . فهو مقتحم الافق الى الانطلاق ، الى الكبر ، الى الثروة ، الى الغزارة والوفرة والانجاب .

الا ، حمداً لما استترفنا مع مطامع ، وما ابتلانا من اضطهاد ، ومـا اثخننا من جراح ، حتى تلمس الاخ اخاه ، يلوذ بكثرته من قلة ، وبقوته من ضعف ، ويمنعته من مهانة الحمي المستباح .

من الكرم ان نصفح ، ولكن من الغباء ان ننسى ، وان لا ننتفع بما ابتلينا .

ما فاتنا اننا نحمل في دمائنا جراثيم المرض ، واننا نطوي نفوسنا على حجارة القبور التي تتحين الفرص لوأد نهضتنا وهي وليد ، وان بين الجماهير التي تهدي اليه الذهب واللبان والمر « من يخفي في اردانه الاداة لاغتيال هذا الوليد الحبيب .

ولكن هذا الغليان سيقتل الجراثيم ، وهذه السواعـد ستحيل الحجارة تحت مطارقها هباء . والاداة الكمين في الاردان للفتك والاغتيال سترتد على نحور حامليها . انهم سيختنقون بسمهم ، وسينتحرون بمداهم ، يوم يعشيهم النور ، وتفوتهم القوافل ، وتحملق في وجوههم الحقيقة القاسية – انهم انكروا امتهم التي انشأتهم فتخلوا عنهـا ، وانكرتهم الامم التي استخدمتهم فتخلت عنهم .

ليت شعري ! كيف يثبتون ويتماسكون وهم ضئيلون في هذا الجلال خافتون في هذا التجاوب ، شحيحون في هذا الفيض ، خفيضو الجباه في هذا الاعتزاز ، متبلدون في هذا التحسس ، مضيعون في هـذا التلاقي ، دخلاء في هذه الاصالة ؟

« أيغوصون على اللؤلؤ في بحار غير بحارنا ؟ »

عفوك ! لقـد اكبرت من مطالبهم ، فليسوا بطلبة لآلىء بالغوص والاقدام . لقد عزّ الغوص والاقدام على من يصفق للمجاهدين والمنتصرين فاذا دللته على مكمن القوة فيه أشاح وتمسكن . لقد استساغوا الاستجداء والانتحال ، وقصروا عن الاصـالة والاستنباط ، فاقاموا على الشواطيء يهزجون لكل غواص مقحام . وهالهم اللج ، فغمسوا رؤوس الانامل في زبد الامواج ثم راحوا يحدثون عما كابدوا من اهوال اليمّ .

ألا ، ليتهم كانوا غواصين !

« لقد انقطع نغم العزلة والانكماش ، منذ ادركنا ان الجزيرة معنى واحد عظيم في لفظ واحد عظيم ، طلعت على الدنيا بابناء جعلوا القمة موطئاً لاقدامهم ، لا مرمى لابصارهم »

ذاك ان الدورة عادت بنا الى مطلع النور . فالتقينا في النور . وعرفنا انفسنا في النور . ونحن في النور . سنعيش عهدنا هذا الجديد المصيب . وليس بين القوى قوة تملك ان ترد الدولاب الى الوراء في دورانه المحتوم . ارادت الامة . فلنضع حجر الزاوية المقدس على هذه الصخرة ارادة الامة .

دمشق — عفيفه صعب

مشكلات الصناعات الغربية في الشرق العربي

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

★

الجزيرة العربية

اذا انتقلنا بدراستنا الى البـلاد العربية نكون امام اوضاع جديدة بالملاحظة · ويمكننا تقسيم البلاد العربية حسب درجة اقتباسها من المدنية الاوربية الى ثلاثة اقسام: القسم الاول هو مصر وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين · الثاني شمال افريقيا ، والثالث الجزيرة العربية ، كالبلاد العربية السعودية واليمن وغيرها ، وعلى مـا يظهر ان المغرب تدار صناعاته الحديثة من طرف الاجانب ، ونظراً لجهلنا اوضاع ذلك القطر وعدم وجود الوثائق في متناول اليد فسنضرب عنه صفحاً ؛ وسنفعل كذلك بفلسطين لانه يؤلف مشكلاً خاصاً ·

نظراً لفقر الجزيرة العربية الاقتصادي ، فان المجالات فيهـا محدودة ، وعلى ما يظهر ان العاهل العربي ابن السعود يبذل كل وسعه في ترقية بلاده واستخدام منتجات الصناعات العصرية ، كما يستخدم اللاسلكي في توطيد الامن في مملكته · وبعد ان كانت الجزيرة موطناً لقطاع الطريق اصبحت يضرب بهـا المثل في الامن الذي يخيم في ربوعها ، وبعد ان وجد فيها الكنوز الهائلة من الذهب والنفط ، فسيكون لهذه الصحراء الجرداء شأن غير شأنها الماضي ، فلا تكتفي اليوم بموارد الحجاج التي تهوي اليها من كافة الاقطار الاسلامية بل بما تنال من حصة الكنوز التي رخصت في استثمارها · من اجل ذلك فقد انتعشت تلك البلاد اقتصاديا ، وقد ادركت اهمية الآلة الاوربية وتسعى الى استخدامها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ·

اما الوضع في اليمن فيختلف عنه في المملكة السعودية ، لان الرقي يمشي هناك بخطى بطيئة جداً · ويغلب على الامام يحيى نزعة الاعتزال عن العالم ، رغم ان كثيراً من الاوضاع تضطره ان يعكر صفو هذا الانفراد · لم تغزُ الآلة العصرية تلك الربوع ، فـاذا استثنينا بعض السيارات وبعض الآلات التي تكاد تعد على الاصابع فلا يوجد هنـاك اية صناعة عصرية · ولقد انتعش ايضاً استخراج النفط في البحرين ولكني لا اعلم مدى تأثير ذلك في تلك الجزيرة العربية ·

مصر

ان الوضع في البلاد العربية الاخرى يختلف اختلافاً كلياً عن الاقطار التي سبق البحث فيها ، ويمكننا ان نعد في طليعة البلاد من جهة الرقي الصناعي الحديث مصر · وعدد سكان هذا القطر ينمو نمواً سريعاً ، متنقلاً الى بلاد صناعية لوفرة الثروة فيها وغزارة مواد الخام ، لان مصر تعد من اهم مخازن مواد الخام في العالم · والحكومة تدرس المشاريع الصناعية الحديثة بدقة زائدة ولقد تأسس كثير من المصانع في تلك الربوع كالنسيج والسكر والزيوت ، وباستخدام الآلة الحديثة زيدت بعض المنتوجات حتى اصبحت مصر غير محتاجة لمواد البناء من الخارج كالاسمنت والاحجار المختلفة من الغرانيت والكلس والمرمر وصناعات الخزف ، وتصدر للخارج كثيراً من التبغ ، بيد انها تجد منافسة من بعض الشركات الاجنبية · اما تقدمها في الصناعات المعدنية فذلك بطيء جداً ويشكو حسن عبد السلام (مؤلف كتاب الصناعات الكيمائية في مصر) من تقصير الحكومة فيقول : « اذا كانت الحكومة قد فرضت ضرائب جديدة لتنمية الجيش والعمل على حماية استقلالنـا السياسي ، فمن المحتم عليها ايضاً ان تعمل على تعزيز كياننا الاقتصادي ، بتدبير المال اللازم لتحسين العمل في المصانع الاهلية » · ومن المؤلم ان يمضي عشرون عاماً على استقلال مصر السياسي ولا تزال الصناعة فيهـا ملكاً للاجانب · فجميع المصانع الكبرى مثل مصانع السكر والاسمنت ومعامل تقطير البترول والكحول ، ومصانع الصودا والملح ، والمصانع الكبيرة للصابون والفخار ودباغة الجلود والورق

جميعها ملك للاجانب .

وينتقد هذا الزميل الكيماني النظام القائم بمصر وذلك في امر التسليف ويرى ان النظام المتبع في ذلك القطر لا يساعد كثيراً على تحسين الامور ، والبلاد لا تزال في فجر نهضتها الصناعية ، ويقول : « ونحن مع اجلالنا وتقديرنا لمجهودات مصلحة الصناعة وبنك مصر في شأن التسليف الصناعي ، نرى ان الانتعاش الفعلي للصناعات المصرية لن يأتي بانشاء بنك للتسليف على غرار ما هو حاصل في معظم البلاد المتمدنة ، يكون من اختصاصه جميع المسائل الصناعية بوجه عام ، ويشرف بوجه خاص على الامور الآتية :

١ – توظيف رؤوس الاموال المعطلة ، وتشغيل الايدي الفنية العاطلة في الصناعات التي يعتبر انشاؤها خدمة مفيدة للبلاد .

٢ – العمل على ايجاد الوسائل الكفيلة بتوسيع نطاق الصناعات الموجودة الان ، والمساعدة على تصريف منتجاتها .

٣ – مراقبة المنشآت الصناعية عن كثب والاشراف على حالتها المالية كل عام ، والعمل على ازالة الاسباب التي قد تؤدي الى تدهورها بمجرد ظهور الاعراض .

٤ – توزيع القروض المخصصة لمساعدة الصناعات ، وتحديد الفوائد التي تفرض على هذه القروض حسب اهميتها وحسب حاجة البلاد لها

٥ – الاشراف على العمليات المالية التي يتطلبها شراء الآلات والمواد الخام وبناء المصانع وتوسيعها .

ويشير هذا الاخصائي الى توافر بعض الخامات وخاصة الحديد الموجود قرب اسوان ، وكذلك اهمية مساقط المياه قرب ذلك الموقع ايضاً ، وقناطر اسنا ونجع حمادي وغيرها . وهبوط الاستفادة من فترة الحرب لانها فرصة حسنة لانشاء بعض الصناعات الجديدة، واستكمال مراتب التحسين ، فليس كالحاجة تفتق الحيلة، ويرى امتناع المنافسة بصورة طبيعية اثناء الحرب لخير كفيل بان يتاح للصناعة المصرية فرصة الازدهار والتشجيع .

وقد اطلعت على نشرات صغيرة عن بعض الصناعات المصرية الكيمائية لمراد عزيز المحاضر بالمراقبة العامة للنشاط المدرسي ، وهذه الرسالات الصغيرة ، هي تقارير الرحلات المدرسية التي تقوم بها المدارس المصرية بقصد زيارة الآثار المصرية القديمة والحديثة منها والاطلاع على المصانع الحديثة . ويا حبذا لو ان حكومتنا السورية اقتدت ايضاً بمصر ونظمت مثل هذه الرحلات المفيدة للنشاط المدرسي وايقاظ روح الصناعة الحديثة في نفوس الناشئين ، وفي هذه النشرات تفصيل لا بأس به عن صناعات غاز الاستصباح والزجاج والكحول والخل وحامض الكبريت ومشتقاته .

وغني عن البيان ان الانتاج الصناعي في مصر لم يكف حاجات البلاد ، ويذكر محمد علي علوبة باشا في كتابه الفذ « مبادىء في السياسة المصرية » (القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٢) ان حالة مصر تثير القلق ، وان المصريين سائرون الى الضيق وهبوط المعيشة بحالة تدعو الى الاشفاق ، وتوجب اتخاذ الحيطة . ويعتقد ان منتجات الارض لا تكفي ولن تكفي المصريين على ان يعيشوا ولو عيش الكفاف ، فينصح مواطنيه على ان لا يعتمدوا على الزراعة وحدها ولا سيما ان النسل آخذ بالتزايد . ويجهر برأي خطير وجدير بالمناقشة هو ان لا خير يرجى في التفكير في اصلاح بعض اراضي البور ، ويرى الحل الناجع الوحيد في الاعتماد على الصناعة والتجارة هذا وان كان في دعوى هذا الرجل العظيم شيء كثير من الحقيقة ولكننا لا نجاريه في كل ما نطق به لاعتقادنا في مغالاته في ذلك . نعم ان الحاجة ماسة في مصر للنهضة الصناعية الحديثة ولكن على شريطة عدم اهمال الزراعة ، فالغربيون مع عدم صلاح اراضيهم للزراعة تمكنوا من جعل قسم كبير منها جنة يانعة ، فما بالك بالارض التي انتجت بفضل السقي وتسخير الآلة الحديثة لا مرتين فقط في السنة بل ثلاث مرات ايضاً ، فالغربيون مع برودة الطقس وعدم وجود المواد الغذائية في التراب لم ييأسوا من استثمار اراضيهم ، فما بال المصري قد يئس منها ، وطبيعة البلاد هناك تساعد للتوازن بين منتجات الصناعة والزراعة تأميناً لسيطرة الآلة ، فلماذا يرفض هذه النعمة ، لا سيما وقد تقدمت الزراعة هناك وخاصة زراعة القطن من جهة الكمية والكيفية ، وهي تتعاون مع كثير من المعامل الغربية الجسيمة ، مقدمة ما تحتاجه من مواد الخام . ويثير كذلك علوبة باشا مسألة خطيرة وهي مسألة المتعطلين عن العمل التي هي غير ناشئة عن الآلة بل عن كثرة المتعلمين ويرى ان في مصر حالة توجب الاسف وهي مع ضآلة المتعلمين التي نوه عنها المربي الكبير ساطع الحصري في آرائه عن التربية والتعليم التي نشرها حديثاً ، ومع ذلك يجد هذا المصري ظاهرة التعطل ، ويعتقد ان هناك امرين لا ثالث لهما : اما ان نسعى في اغلاق دور العلم وان نجعل

الدكتور محمد يحيى الهاشمي

بعضها لا يقبل الا من يمكنهم ان يعيشوا بعلمهم ، ويرى في هذا شراً عظيماً على البلاد ، او تفتح دور العلم فينتشر بذلك عدد المتعطلين والمستائين ، وينتشر بذلك الفقر ، وتشيع المذاهب الاجتماعية الخطيرة التي قد تودي بالبلاد، ويرى الحل الوحيد اهمال الزراعة قليلاً والانكباب على الصناعة والتجارة و ويعتقد ان ذلك خير كفيل لحل الازمة من جهة وتقليل طلاب الوظائف من جهة اخرى ، وقد ابدينا رأينا في ذلك فلا حاجة للرجوع اليه ثانية . اما سبب الازمة في اعتقادي فهو الاختصار على الامور النظرية وعدم الاهتمام بالامور العملية ، ولعل المتعلم في مصر كما هو الحال عندنا في سوريا يأنف ان يزاول عملاً ، واذا كان رجالات مصر يتهمون انفسهم بالتقصير فما بالهم يقولون اذا اطلعوا على وضعنا ؟ وبالجملة ففي مصر نهضة صناعية عصرية مباركة تود الاستفادة من الخبرة العلمية الحديثة للوصول الى مستوى اعلى مما هي عليه اليوم .

العراق

تأثر العراق ايضاً بثروته الطبيعية وخاصة من البترول، فكان المبلغ المخصص له سبب انعاشه نسبياً . ومنذ عام ١٩٢٩ ترقت فيه الصناعات الحديثة رقياً ظاهراً . فقد تأسس في بغداد نفسها احد عشر معملاً للتبغ ، ولم تنقرض فيها صناعة اليد ، وسبب ذلك كما هو الحال عندنا بغية اقتناء الغريب شيئاً من نفائس صنعها . نشأ في بلاد الرافدين مصانع جديدة من الصابون والصودا والسكر والاسمنت . واذا لاحظنا التقدم الصناعي في بحر العشرين سنة الاخيرة لوجدناه هائلاً جداً ، واعظم انقلاب حصل في هذه البقعة الخصبة هي زراعة التمور، فبعد ان لم يكن تمر العراق شيئاً مذكوراً اصبح بفضل استخدام الآلات الحديثة حائزاً قصب السبق العالمي ، ويجري نقل هذه الفاكهة وتصنيفها وصرها وابعاد الطفيليات التي تعيش فيها باحدث الطرق . وكانت تجارة هذه المادة مع جميع العالم حتى قبيل الحرب العالمية الحاضرة ، وقد درّ هذا التمر على البلاد ارباحاً طائلة ، كذلك تقام هناك ابحاث علمية من قبل الحكومة في التحريات عن المعدن ، مستفيدة من الملح والزفت المستعمل في تعبيد الطرقات وغير ذلك ، وهي تمشي في طريق الرقي بخطى اسرع من سوريا بكثير .

سوريا ولبنان

ان النهضة الاقتصادية العصرية لسوريا ولبنان متأخرة بالنسبة لمصر والعراق ، وكان ينبغي لهذه البلاد ان تكون متقدمة اكثر مما عليه اليوم بكثير ، لاسبقية اتصالها بعالم الغرب وصناعاته الحديثة ، واذا مدح الغريب ذكاءنا كقول المستشرق الانكليزي بروتون كما جاء في مجلة المستمع العربي للاذاعة البريطانية : « لا يمكن وضع حد لذكاء ابناء سوريا الفطري ولا لطموحهم او سعة عقلهم ، فهم اعظم شعب مواهب رأيت في حياتي » ، يكون ذلك حجة علينا في تأخرنا ، لا سيما وان امكانيات المشاريع الصناعية كثيرة لتوفر مواد الخام ورخص اجرة العامل ووجود الثروة المعدنية كالنفط والزفت ، وبعض المعادن كالحديد في لبنان وجبل الاكراد (حسب خبرتي الخاصة) ، وكذلك الملح والجبس وكميات قليلة من الفحم والكروم وخاصة في منطقة اللاذقية ، والنحاس عند جبل اريحا ، وقد عثرت على معدن الامنيوم هناك لم انته بعد من دراسته ومعرفة كميته وكيفية انتشاره . هذا عدا عن المجال الزراعي الهائل المهمل . ولكن رغماً عن كل تقصير ورغماً عن ندرة المدارس الصناعية الفنية وعن تأخر ما هو موجود منها فقد ساعد الوضع في انشاء معامل صناعية لها بعض الاهمية للبلاد . واهم هذه الصناعات العصرية هي معامل النسيج والاسمنت والكبريت وحفظ الفواكه والدباغة والكحول ومستحضرات طبية ومصانع التبغ ، ولا يزال صنع الصابون والصناعات المعدنية تجري على النمط اليدوي القديم ، كذلك يوجد صناعات زجاجية بدائية ومعاصر للزيتون وغير ذلك اما ورشات التصليح فلا تزال في البدء . وقد كان في نية بعض الشركات انشاء مصانع للسكر وللصوف والحرير والورق ، ولكن ابطاء انجاز الاعمال ونشوب الحرب العالمية الحاضرة كان مانعاً من انجاز هذه المشاريع الاقتصادية المهمة . ولقد دفعنا ثمن هذا الابطاء غالياً فندمنا على ما فرطنا ولات ساعة مندم . ولقد كنت اسعى بنفسي قبل ثلاث عشر سنة في تحقيق انجاز معمل للزجاج ، وقد يئست من اقناع الناس في لزوم انجاز هذا العمل ، ولكن بعد ان ذاقوا حلاوة الكسب قاموا يطلبون المباشرة في هذا المشروع في هذه الاوقات ، ولم اجد جواباً في الوقت الذي يصعب فيه استيراد الالات الحديثة من الغرب باحسن من قول الشاعر :

« وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل »

ومع اننا لا نزال في عالم الصناعة في تأخر زائد ، فقد تسربت الينا كثير من مشكلات الآلة ، كالبطالة ، واجور العمال ،

واضراباتهم، والحصول على مواد اولية وتصدير للخارج. وهكذا اخذنا نشعر بازمات الصناعات الحديثة وهي تكاد لم تلد في ربوعنا.

وقد احسن بعض طلاب الكلية الاميركية في بيروت صنعاً باصدار عدد خاص عن الصناعة والبلاد العربية، (١) جلب نظري موضوع امكانيات الصناعات في بلادنا. ويسرني ايضاً ان اطلع على مقال السيد برهان الدين الدجاني وفيه حث عظيم على الصناعات الغربية، ذاكراً فيها الفوائد الناجمة عن ذلك من استغلال الموارد الطبيعية، وزيادة ثروة الامة وقوتها، ورفع مستوى المعيشة، وتنمية القوى الادبية والمادية، وذلك في ايقاظ روح النضال وترقية المستوى العقلي والجسمي، وفتق روح الابتكار لشق طريق الحرية والتعويد على الاستقلال الذاتي وتقليل احتياجاتها الخارجية. وقد فاته ان يذكر مسألة القضاء على الاقطاعية الرذيلة التي لا نزال نرزح تحت نيرها. ويذكر ايضاً الاضرار الناجمة عن الصناعات العصرية: كالمشكلة الطبقية التي يخلقها بالضرورة النظام الصناعي الحديث، والتي اصابنا ايضاً شيء من رشاشها ويقول ايضاً: «ان هذه المشكلة ان لم تعالج بالتعقل الكافي قد تكون عاملاً في انقسام البلاد الى طبقتين متناحرتين، يصعب معها اتحادها لعمل قومي واسع».

ولا يخفى على هذا الكاتب العربي ايضاً المشكلة الثقافية والنفسية، من حط في كرامة العامل وجعله آلة صماء لا غير، وهو يدعو الى لزوم تعقل هذه الامور والسعي في ازالة مخاطرها في اكثار فراغ العمال والتعويد في استعمال تلك الاوقات بما يرقيهم روحياً. وانه لمن دواعي الاغتباط ان نرى اناساً منا يفكرون في المشاكل قبل وقوعها، معتبرين بعظة قليلة بالغة، لان درء الخطر قبل الوقوع اهون بكثير من ازالة الداء بعد الاستفحال. وانه لمن التباشير الطيبة ان نرى وعياً اقتصادياً عند نفر منا، ولكي يأتي هذا الوعي بالثمر المطلوب يلزم ان ينتقل من الافراد القلائل الى عامة المنورين والمثقفين لنحيا حياة حرة سعيدة جديرة بالكرامة البشرية.

خاتمة

اخيراً لا بد لي من ان انوه ايضاً بان الآلة الحديثة قربتنا من العالم، من اجل ذلك كانت الحلول من اجلنا مرتبطة بغيرنا اشد الارتباط، فقضية الصناعة الغربية وانتقالها الى ارض الشرق لا تهم الشرقي فقط بل العالم اجمع، واذا كان الانبياء والحكماء والفلاسفة يرون قديماً ضرورة وجود نظام واحد للبشرية اجمع رغم تفكك اطرافها وصعوبة المواصلات فيها؛ فان الحاجة في زماننا الحاضر امس بكثير. واذا كان المثل الاعلى في التربية الانكليزية العصرية هو وضع فكرة التعاون مكان فكرة التنافس، فكم يكون مفعول ذلك عظيماً اذا سار على ذلك من بيدهم مقدرات البلاد والعباد في العالم، لان فكرة التعاون ما تغلغلت في قلوب البشر الا ابدلت تشتتهم اتحاداً وخوفهم امناً.

توصلاً لهذا الهدف المنشود صرح الرئيس روزفلت في رسالته القيمة عن الحريات الاربع بأن الارض كوكب واحد غير قابل للتجزئة ومعنى ذلك اذا حل الفقر في بقعة انتقل الى بقعة اخرى الى ان يسري تأثيره الى اطراف المعمورة كلها، حتى يصبح داء عالمياً. فالعالم كما ادرك هذا الرئيس كل لا يتجزأ، فان ابسط الحركات الحربية التي تحدث في ميدان تؤثر حتماً في الميادين الاخرى، والجائع الفقير في الصين يهدد السعيد الغني في امريكا ايضاً.

للحصول على مستقبل باهر للبشرية يتعاون فيه الشرق والغرب لا بد لنا من غرس روح تربية جديدة في النفوس الناشئة، ورفع رذيلة الحسد والغيرة والاستعاضة عنها بفكرة المحبة. واذا اراد احد العيش فلا يستأثر في كل مجالات العيش، بل ليعش وليترك المجال لغيره ليعيش. فمنتجات الارض كافية لاعاشة البشر واعاشة اضعاف اضعافه، وان استخدام الآلة الحديثة يزيد في الانتاج. ولكن يا للاسف مع كل زيادة في الانتاج فان آلامنا لا تنقص بل تزداد.

ان جعل الاقوياء رائدهم السيطرة والقهر عاشت البشرية في بحر من دماء الابرياء، وان اتخذوا مبدأ التساوي في الكرامة البشرية نعمت بسعادة لا يماثلها سعادة.

ان التبعة الملقاة على كواهل الاقوياء عظيمة جداً، فان ضربوا للضعفاء مثلاً جيداً، تبعهم من لا يملك حولاً ولا قوة على الفور دون تردد ولا احجام، والا فالمجازر البشرية لن تنقطع من العالم.

حلب — محمد يحيى الهاشمي

---

(١) العروة آذار ١٩٦٠ (بيروت)

النقــــــــــد اللغوي

بقلم طه الراوي

الاستاذ في دار المعلمين العليا ببغداد

☆

مضى على اللغة العربية المعربة قرون عديدة ، وهي مغلوبة على امرها معتصمة في زوايا المساجد والمعاهد الدينية ، ولم تكن الغاية من دراستها الا الاستعانة على فهم كلام الله ، وسنة رسوله . فكان طلاب العلوم الدينية ، يقبلون على دراستها كمقدمة لا بد منها لفهم تعاليم الشريعة الاسلامية ، اما اللغة الرسمية فكانت في معظم بلاد الضاد ، هي اللغة الاعجمية ، حتى ان بعض ابناء العرب انفسهم كانوا يدونون بعض معارفهم بغير لغتهم ، تقرباً الى رجال الدول الحاكمة وتحبباً الى نفوسهم . وقد غبر على هذه الفترة حين من الدهر حتى انبثق فجر النهضة الفكرية في سماء الضاد ، واقبل الناس على اقباس المعارف واقتباسها ، وقصد الكثير من ابناء العرب بلاد الغرب لتحصيل العلوم العصرية ، والاطلاع على معالم المدنية . كما قصد الكثير من الغربيين بلاد المشرق للتجارة والسياحة ، والتنقيب عن الاثار القديمة ، وانشاء المدارس وغير ذلك . فنجم عن هذا وذاك ان اقبل ناس من بلاد العرب على التأليف ونقل الكثير من العلوم الحديثة من اللغات الغربية الى اللغة العربية ، وتوافر آخرون على انشاء الصحف الموقوتة في موضوعات شتى كما توافر آخرون على انشاء مدارس على النمط العصري كانت العربية المعربة لغة التدريس فيها ، كما كان لهذه اللغة المكان الاول في مناهجها . وكانت الغاية من تدريس اللغة في هذه المدارس تخريج فئة من هذه الناشئة تملك ألسنة قوّالة واقلاماً سيالة ، واذواقاً في البلاغة سليمة ، واحكاماً فيها مستقيمة . فنشأت في ظل هذه النهضة ناشئة رسخت في نفوسها ملكة البلاغة ، زيادة على توسعها في مناحي شتى من آداب هذه اللغة وفنونها .

اتصلت هذه الجماعة بالبقية الباقية من رجال المدرسة القديمة وتعرفت اليهم ، وانتفعت بهم ، كما بحثت عن تراث الاقدمين من اساطين الادب العربي فبعثت آثارهم واخرجتها للناس من طريق الطبع – الذي عمت فوائده في العصور المتأخرة – ولكن هذه الفئة التي ابلت البلاء الحسن في هذا السبيل ، وجاهدت الجهاد الكبير في بعث هذه اللغة الشريفة من مرقدها ، وجدت نفسها مغلوبة امام لكن اعجمية ، وهجن اجنبية قد تغلب سلطانها على افواه الكثيرين من المتعلمين واقلامهم ، ولا سيما اولئك الذين تلقوا دراساتهم في ديار الاعاجم ، او في المدارس التي لغة التدريس فيها اعجمية ، ولم تقو فيهم ملكة العربية من قبل – فانهم عندما حاولوا التحرير في الصحف الموقوتة ، والتأليف في العلوم الحديثة تورطوا في اوهام لغوية كثيرة ، وجارت بهم اقلامهم عن سواء السبيل . فانبرى لهم ناس من اهل الغيرة على اللغة واولي الاقدام الراسخة فيها ، واخذوا ينقدون ما يصدر عن اقلام اولئك الكتاب ، نقداً دقيقاً يميزون به بين صحيح القول وبهرجه ، ورفيعه ووضيعه . وقد ألف بعضهم رسائل خاصة في هذا الموضوع ، كما كان يفعل الاقدمون يوم شعروا بدبيب اللحن الى اللغة المضرية بسبب اختلاط العرب بحمراء الامم وصفرائها في صدر النهضة الاسلامية . ونحن لا نشك في ان منافحة اولئك المخلصين من اللغويين عن بيضة اللغة المعربة ، كان له اثره البارز في حمايتها من اوصاب كثيرة وعاهات كادت تودي بسلامتها لولا هذه المنافحة . على انه ما من فئة صالحة تقوم بعمل محمود الا ويندس فيها ناس ليسوا منها في شيء رغبة منهم في الظهور بمظهر العارفين المجاهدين الغير على الصالح العام

الاستاذ طه الراوي

وهكذا كان فان كثيراً من المتحذلقين نصبوا انفسهم منصب المهرة من الجهابذة، وراحوا يخبطون خبط عشواء يبيحون الممنوع ويمنعون المباح على غير هدى، حتى ظن حملة الاقلام الذين لا علم لهم بدقائق اللغة ان هذه اللغة اصبحت داخل سياج لا يمكن اقتحامه بسبب ما يصوره لهم اولئك المتحذلقون الذين اساؤا الى اللغة الكريمة من حيث يزعمون انهم يحسنون اليها . والذي اغراهم بركوبهم هذا المركب اعراض اهل الفضل عنهم احتقاراً لما يأتون به من تافه الاقاويل فظن الذين لا علم لهم وظنوا هم انفسهم ان ما صدر عنهم من تحريم وتجويز ومنع واباحة هو الصواب، فكانت معرتهم هذه احدى الرزايا التي اصيبت بها لغتنا الكريمة.

ومن هنا انقسم الناس في هذا الباب الى فئات :

الفئة الاولى : هي التي تنظر الى اللغة نظرتها الى العزيز الكريم الذي ينبغي ان يصان جانبه من كل ما يخدش كرامته او يحط من منزلته، فيناضلون دونها وينافحون ويجالدون ويكافحون، فيحاسبون الكتّاب على اصغر الهفوات واقل الهنات، ولا يرضون من الكتاب الا ان يسلكوا المنهج الواضح والطريق السوي، فان انحرفوا عن ذلك ولو قليلا اقاموا عليهم النكير وحاسبوهم الحساب العسير .

والفئة الثانية : تشترك مع الفئة الاولى بغيرتها على حماية اللغة وتفانيها في خدمتها، ولكنها في الوقت نفسه لا ترى بأساً بان تأخذ بالرخص والجوازات . فاذا ورد في بعض الكلام عبارة يجيزها بعض علماء العربية ويمنعها آخرون، فانهم لا يقيمون على المتكلم بها نكيراً ميلاً منهم الى التساهل . اما الفريق الاول فانه لا يرضى بهذا ويقول لماذا نساير الضعيف من الآراء ونترك القوي منها .

وهنالك فئة ثالثة : اندفعت مع السجية لا تلتفت الى الفئة الاولى ولا الى الثانية الا قليلاً، وهؤلاء هم جلة المؤلفين في العلوم العصرية والفنون الحديثة، لانهم يرون في الوقوف مع الفئة الاولى عنتاً وارهاقاً . اما الفئة الثانية فيمشون معها قليلا ويتركونها كثيراً، لان ما هم في سبيله من تصوير الافكار وتقرير الحقائق قد يضطرهم الى سلوك مهيع لا يقرهم عليه المتشددون من أئمة اللغة ولا المتساهلون. وعذر هذه الفئة في ذلك ان تلك الافكار وهذه الحقائق لا يمكن تقريبها من اذهان القراء الا من هذه الطريق التي قد يجد فيها اهل اللغة عوجاً او أمتاً .

وأبرز ما أصيب به بعض الناقدين من الهنات هي :

١ – قصور بعضهم عن الاحاطة بمفردات اللغة ومذاهب اللغويين فيما يجوز ولا يجوز فاذا وقف على رأي بعضهم اعتده ضربة لازب ويرى ان كل من لا يجري مجراه ويترسم طريقه سالك سبيل الضلال مع انه لو أبعد في النظر وأنعم الفكر لوجد رأياً او آراء تخالف ما ذهب اليه .

٢ – جهل بعضهم ببعض قوانين التصريف والنحو مع سعة معرفتهم بمفردات اللغة، وهؤلاء ينكرون كل صيغة لا يقفون عليها في المعاجم التي بين ايديهم مع ان اصحاب المعاجم كلهم او جلهم لا يذكرون في معاجمهم الصيغ القياسية الا قليلا اعتماداً منهم على ما يقره علم التصريف وعلم النحو من القواعد . ويرون ان اللغوي لا يستحق هذا الوصف الا اذا احاط علماً بذينك العلمين فواسع العلم بالمفردات وقليل الاحاطة بذينك العلمين يعتبر كمن يبني على غير اساس . وعلى هذا فان المتصدين للنقد اللغوي من غير احاطة بمفردات اللغة والوقوف على مذاهب اللغويين، واتقان قوانين التصريف والنحو – هؤلاء يضرون اللغة من حيث يقدرون انهم يخدمونها، لان تحريم الحلال لا يقل اساءة عن تحليل الحرام فهم يزعمون انهم حراص على صيانة اللغة من عبث العابثين، وخبط الجاهلين ولا يدرون انهم عندما يضيقون الواسع على الناس يظهرون اللغة بمظهر ضيق جاف متحجر، ويوهمون الكاتبين من الناشئين ان هذه اللغة ضيقة الصدر صعبة المنال جمة العقبات كثيرة المنعطفات والملتويات، لا يتسع صدرها لهذا الفيض الفائض من علوم العصر الحاضر وفنونه مع انها براء من كل ذلك . وقد علم الله وعلم التاريخ انها اتسعت لكتاب الله ولم تضق ذرعاً بعلوم الشريعة وعلوم الكون التي فاضت فيضها في عصورنا الذهبية . ولست ابعد عن الحقيقة كثيراً اذا قلت ان بعض اولئك الزميتين لم يقدموا على ذلك النقد المفلوج الا ليظهروا بمظهر العارفين ويظهروا غيرهم بمظهر الجاهلين وهي شنشنة قديمة لم يكد يسلم منها عصر من عصور التاريخ .

على اني اعود فاحيي اولئك الناقدين المنصفين الذين وقفوا موقف الحراس الامناء الحراص على صيانة هذه اللغة الكريمة من عبث عابث وتهجين مهجن، فانه لولاهم لطغى تيار اللكن الاعجمية والهجن الغربية والشرقية على هذه اللغة العزيزة، وطمس على بهائها وكدر من صفائها .

بغداد

طه الراوي

احد اعـــــلام النهضة

بقلم مصطفى فروخ

استاذ الفن في جامعة بيروت الاميركية

✯

لا شك ان حب « الوطن من الايمـان » حكمة رائعة ولكن هذا الحب غير مجدٍ ويبقى عذرياً لا ينتج زهراً ولا ثمراً اذا لم يتبعه عمل وكفاح واخلاص طبعاً . ان بلادنا تعد في طليعة بلدان العالم جمالاً بما تنعم به من طبيعة فتانة ومركز جغرافي ممتاز . غير اننا قلمـا ندرك قيمة هذه النعمة الكبرى بالقدر الذي تستحق وكما يقدرها الغريب عنها . ولعمري ماذا افاد هذا الجمال وهذا الحب الافلاطوني؟ ولنسأل كم بذلنا في سبيل بلادنا من عقولنـا وسواعدنا ليحق ان نناديه يا وطني !..؟

اننا لم نساعد الطبيعة بشيء بل على العكس اسأنا اليها، فشوهنا محاسنها وبدلنا معالمها ثم استمتعنا بخيرها . وها هي سويسرا امامنا مثالٌ حي عن جهد الانسان والطبيعة فجاءت نموذجا رائعاً لجمـال الطبيعة وابداع الانسان .

وبعد أيسمح القارىء ، اطمئناناً لنـا ، بسؤاله عما اذا كان يشاركنا بهذا التحسس المشتعل لاصلاح مجتمعنا ؟ ام يطالع للتسلية وقتل الوقت ؟ قد يعذرنا القارىء لهذه المصارحة الجريئة ، لان مجال العمل الآن اصبح لا يحتمل المسايرة والمالأة التي درج عليها معظم كتابنا في خداع القارىء . لذلك كثر الانتاج الادبي ، مع غلاء الورق ، وقلت الفائدة ..

ان وضعنا السياسي والاجتماعي القائم الان يلح علينا ان نكتب بغير هوادة لتصل كلماتنا الى اعماق النفس حيث تنمو وتثور .

اني احس في قرارة نفسي بثورة تود لو تتحرر من قيودها المثقلة بالتقاليد والمجاملات البالية التي عودتنا ان نكتب حقيقة شعورنا وافكارنا .

ان المشاكل الكثيرة التي تواجه الامة العربية في طريق تقدمها ونهضتها ليست على ما يبدو بالامر اليسير كما يصورها محترفو السياسة ، فخليق بمفكري الامة الا يهربوا منها الى عالم الوهم والخيال عالم التغزل، عالم السياسة حيث الطرق الملتوية والالعاب البلهوانية ، تهرباً وجبناً . بل عليهم ان يجابهوها مجابهة واقعية جريئة لا خوف فيها ولا تدليس ، وخليق بكافة افراد الامة ان يعرفوا موقفهم ويفهموا واجبهم على حقيقته بغير تطرية وان يدركوا الصعوبات التي تعترض تحقيق غاياتهم القومية . لقد آن لنا ان نفكر بمشاكلنا الاجتماعية وغيرها تفكيراً علمياً يرتكز على المنطق والصراحة ملقين بالعاطفة العابرة آخذين بهذه المشاكل الى جو من النور حيث العقل والمعرفة والواقع .

ليس ثمت شك اننا نتحسس، في هذه البقعة من الوطن العربي، بشبه نهضة علمية وفكرية وسياسية ولكن المتأمل الحصيف يدرك ان هذه النهضة يشوبها كثير من الزندقة التي ترتدي ثوباً ابقاً من الخبث والاستغلال وللتدليل يكفي ان تقرأ موضوعاً علمياً او ادبياً او فنياً لكاتب ما حتى يأخذك الاعجاب بما خطت يراعه ثم لا تلبث ان تثور وتيأس عندما تنظر الى ما تجني يداه ثم انك تسمع خطيباً يتقد وطنية فتأخـذك نشوة فخر وتحمد الله ان منّ على وطنك باشباهه من الرجال ثم تشمئز وترسل اللعنات بغير تحفظ عندما تشاهد ما يقوم به من كيد ومساومة على بلاده التي يتبجح بحبها بكلمات فخمة ذات دوي ...

اجل انها الزندقة في العلم والزندقة في الوطنية والزندقة في الفن والادب . انها الحكمة تسير سائغة على اقلامهم وألسنتهم ولكن الاتجـار يستعر في اعمـاق قلوبهم واعمـالهم . انهـا التجارة وانها الشعوذة وانها العبقرية الزائفة التي بها يتبجحون ..

ان المتتبع للامور يرى ان هناك عصبة ادعت لنفسها انها مؤسسة النهضة وعلى عبقريتها يشاد البناء لانهـا متحدرة من سلالة الآلهة فتطلع كل يوم باسطورة والف خرافة بينما تهدف من وراء ذلك

الهدم في اسس النهضة الحقة التي سقاها الشهداء بدمائهم فجاء هؤلاء يستغلونها وقد تطوع رجالاتها لمحاربة معالم الفكر والضمير وكل ما يتفرع عنهما من مزايا وفضائل .

ان الفورات السياسية امور عابرة لا يثبت من شأنها الا القيم الروحية والمبادىء الفضلى وان النهضة الصحيحة هي وليدة النفوس الجميلة والاحساس النبيل .

وارى من المفيد ونحن نعلم ان نهضات الامم كثيراً ما تتشابه بحياة الافراد ، ان نستعرض حياة احد كبار مؤسسي النهضة الاوربية وواضعي اسسها وهو الفنان ليونارد دهفنسي .

ان المطلع على حياة هذا العبقري بتفاصيلها يدرك ان الزمن الذي عاشه صاحب الترجمة عام ١٤٥٢ — ١٥١٩ كان عصراً كثير الاضطراب والقلق الذهني والسياسي ، هو عهد الانتقال من القرون الوسطى الى القرون الحديثة فقد شاهدت اوروبا وقتئذ احداثاً سياسية عصيبة وانقلابات خطيرة وكان اكتشاف اميركة وظهرت معتقدات جديدة نتيجة للتطور الذي هو وليد الاحداث كل ذلك رفع للتفكير فالتحرر . وابرز ما ظهر من التطور الفكري هو وضع العقل فوق النقل والشك مكان اليقين والبحث مكان الايمان الاعمى .

وكانت عبقرية دهفنسي وامثاله من القوة ان احاطت بهذه الاوضاع فرسم لها المثل التي يجب ان تسير عليها منصرفاً بكليته للدرس واكتشاف غوامض الطبيعة متحرراً من همومه الذهنية بالدراسات والتجارب العلمية والفنية ففتحت الفكر الغربي على عالم من الحقائق المحتجبة تناسى معها عنعناته السخيفة وتقاليده البالية وحطم اصنامه الجامدة اذ شعر بلذة المعرفة وسناء الحقيقة وجمال الطبيعة فحطم اوثانه التي عبدها زمناً مقيماً مكانها مشعلاً للفكر وعلماً للبحث والحق مما شق الطريق امام الغرب للتقدم والازدهار .

كان ده فنسي متعطشاً لطلب المعرفة والبحث ، فرسم وصنع التماثيل ووضع التصاميم الهندسية والقواعد الموسيقية وكان رياضياً ومخترعاً فصنع مرة طيارة ثم توقف عن اتمامها بالحاح تلامذته خوفاً عليه ، وقد اخترع العديد من ادوات الحرب والسلم وترك عدة مؤلفات علمية وفنية هي مرجع لطلاب المعرفة . ويروي المؤرخ فزاري عنه انه كان عدا عبقريته يجمع الى قوة جسمه الزائدة جمال الطلعة وحسن الشمائل ورقة النفس حتى انه كان يشتري العصافير من تجارها ثم يطلقها في الفضاء لتنعم بالحرية وترد للطبيعة جمالها .

وقد ترك المدرسة باكراً لمحاولته درس عدة اشياء واخيراً لزم الرسم فاخذه والده الى الرسام (فريو) ليتتلمذ عليه وقد جرى مع استاذه حادث طريف لا بأس من ذكره : اضطر استاذه للخروج الى السوق لامر وكان يعمل صورة حسناء فطلب الى تلميذه ان يرعاها من الغبار والذباب لانها لا تزال رطبة . ولكنه ما كاد يغادر المرسم حتى قام الصبي ليونارد الى الالوان والريشة يصور على وجه الحسناء ذبابة ولما عاد المعلم كان اول شيء عمله النظر الى لوحته فاذا به يرى ذبابة على الوجه فاخذ يطردها عن وجه الصورة مرات واخيراً فهم انها من ريشة التلميذ اللعين فاعجب به ولكنه رجا منه ترك المرسم وان يستقل لانه استطاع الضحك على ذقنه ... بمهارته الفنية .

وذاعت شهرة دهفنسي مع الزمن فطلبه الدوق سفورزا لكي يكون في بلاطه في ميلان وهناك رسم الصورة الشهيرة : (العشاء الاخير) وهي تمثل السيد المسيح بين تلاميذه عندما اخبرهم ان واحداً منهم سيخون . ولهذه الصورة حادثة رائعة جديرة بالذكر : كان دوفنسي كما بينا يحب البحث والاختبار متشعب الخواطر بين الرياضة والعلم والفن ، لذلك كان بطيئاً في عمله . فلما كلف بعمل هذه اللوحة الكبيرة في دير سانتا مريا ، استغرقت زمناً مما دفع رئيسه ان يشكوه للدوق الذي اخذ يلوم الفنان على تباطئه فاجابه :

« اني يا مولاي قد اتممت الصورة ولم يبق لدي سوى رأسين فاني اشعر بالعجز عن تصوير الجمال السماوي الذي يتمثل في مولاي المسيح . والرأس الآخر الذي يشغلني هو رأس (يهوذا) الخائن الذي غدر بمولاه بعد ان انتفع به وعد مع الابرار والمؤسسين الاخيار ، واني الآن ان أتأخر اذ وجدت ضالتي في وجه رئيس الدير ، فهو خير من يمثل (يهوذا) فضحك الدوق لهذه النكتة واعجب من هذا الانتقام الفني الصارم . لكن ليونارد عرف كيف يجعل من ذلك الرئيس الدساس صورة (يهوذا) رمز الخيانة والغدر على مر الاجيال .

انتهت هذه الصورة عام ١٤٩٨ وموضوع (المائدة) هذه كان لعهد ما عند المصورين السالفين موضوعاً عادياً . فكانوا يضعون يسوع بين الرسل يقطع رغيفاً من الخبز ليقدم منه القربان المقدس . ولكن ليونارد لم يشأ ان يقلد من سبقه فجاءنا بحادث جديد . فقد اختار تلك الساعة الرهيبة عندما اعلن فيها على الرسل كلمته المشهورة : « الحق اقول لكم ان واحداً منكم سيخونني »

ومن اعرف بده فنسي بتصوير هذه الحادثة التي مثلت النفس الانسانية وما انطوت عليه من خير وشر ونبل وحقارة ؟ من اعرف

من ده فنشي بذلك وهو الذي عاش في قصور الملوك وبين الامراء والنبلاء والزعماء والسياسيين ثم الاديرة حيناً تضيق نفسه بهذه الحياة المملوءة خداعاً ورياء؟ وحينما هم ليونارد بتصوير هذا الموضوع جعل هدفه تصوير الحياة الانسانية على حقيقتها ليعطي درساً ناطقاً للاجيال المقبلة. وقد اجاد في التناسب المهيمن على اقسام اللوحة ، وفي الابعاد التي توهم الناظر ان الغرفة حيث توجد المائدة ، قد استطالت ، وان نوافذها تعددت . اما توزيع الرسل فان ده فنشي قد اجتهد ان يقضي على الطريقة القديمة فوزع الاشخاص بذوق ولباقة جاعلاً كل ثلاثة منهم يشكلون كتلة وجعل بينهم اتصالا محكماً وذلك بمد ذراع احدهم والتفاتة آخر نحو اخيه . اما يسوع فقد تفرد وحده عن الجميع ، مما لفت اليه الانظار وذلك للفراغ الذي تركه حوله . وزيادة في بروزه راح يقابله بتقارب رؤوس القديسين لبعضهم فنتج عن ذلك للسيد الكريم جلال يملأ النفس روعة ووقاراً . وقد اهمل التفاصيل البديهية باذلاً عنايته في (التأليف) وتأثير الظل والنور ، وهو المذهب الذي افتتح عهده . وما كان يعنى بالامور التافهة بل كان هدفه ان يبرز لنا من الموضوع الذي يعالجه حادثاً مؤثراً او فكرة انسانية سامية . ان الفاجعة الحق في اعتقاده ، هي الفاجعة النفسية . لهذا نراه لم يعن كثيراً بالاشياء الموجودة على المائدة والثياب ، بل حصر همه في تصوير ما في نفوس الجالسين اليها من افكار مختلفة ونفسيات متباينة . كل منهم ينتظر برعشة ولهفة كلمة السيد الكريم . هنا يعلن يسوع على مسامعهم جملته التاريخية التي سرت فيهم سريان الكهرباء . وفي هذه البرهة الخطيرة اخذ كل منهم يرجع الى نفسه فاحصاً ليظفر بالعاطفة الحق التي تجول في ثنايا ضميره . كل منهم تسيطر عليه الفكرة نفسها . انما عبقرية ده فنشي تضع امام اعيننا نظرات اثني عشر شخصاً ، ورسم لنا صورة رائعة في علم النفس واسرارها وتشعب الوانها .

وهذه الوجوه التي مثلها لنا ده فنشي على لوحته ليست خيالية بحتة بل كان يطوف الساحات والاسواق ويقف متأملاً طويلاً دارساً وجوهاً وحركات ومعاني ونفسيات اشخاص يصادفهم اثناء تجواله . لذلك اخرج لنا من صور الرسل المدعوين على (المائدة) وجوهاً يمثل كل منها صورة واضحة عن نفسيات البشر المتباينة في هذه الحياة وهي قطع منها ترمز للاخلاص والمحبة والطهارة ومنها ما يرمز عن الخبث والغدر والنفاق والغرور والشعوذة وما اليها من الوان النفس البشرية العجيبة .

ولعل اجمل ما في هذا التحليل اختلاف المعاني بين صورة (يوحنا) وصورة (يهوذا) فالاول يبدو مطرقاً وقد علت محياه صفرة وشحوب مؤثران ، وقد ارتخت يداه وبدا كل ما فيه يرمز عن شدة الحزن والاسى الذي ينتابه لهذا النبأ المفجع ، بينما ترى وجه (يهوذا) المبتذل ونظراته الثعلبية الخادعة وجلسته الدالة على الصغارة والانحطاط تنم عن اللؤم والخيانة بعكس (يوحنا) الذي يمثل المحبة والاخلاص والنبل .

هذه اللوحة الجبارة هي بلا ريب كتاب ضخم عن النفس البشرية التي لم تتبدل لليوم لان (المائدة) تمثل اللحظة الهائلة التي تنافرت فيها التأثيرات واختلفت المعاني فجاءت معجزة من معجزات الفن الخالد .

اما يسوع فقد اعتاد المصورون ان يتمثلوه ، رقيق الوجه نحيل الجسم . ضعيف الهمة ، خائر العزيمة . اما في هذه اللوحة فقد جعله (ليونارد) قوياً رصيناً تلوح على محياه امارات الجلال والوقار . جلس بين الرسل وقد بدا منفرداً عنهم ، وهذه العزلة زادت كثيراً في جلاله ، حتى ان (يوحنا) الذي اعتاد الفنانون ان يجعلوه ملقياً رأسه بدلال على كتف السيد الكريم قد صوره هنا بعيداً عنه . المسيح هنا في معزل عن الجميع وفي جو آخر ، بل هو في عالم اسمى واجل من عالم الدنيا . انه لا ينظر الى احد ، بل يبدو وكأنه يتتبع حلماً روحياً بعيد الغور واسع الآفاق ، ان في نظراته لكآبة حادة واستسلاماً ورضوخاً . انه كان يشعر بغير الساعة الموجود فيها ، ويفكر بموضوع بعيد عن خيانة صديقه له . كان يفكر في العفو عن الجاني ليعطي العالم امثولة في التضحية والتفاني . حتى انه في اللحظة الاخيرة كان يحاول ان يعطي درساً اخيراً في اسعاد هذا المجتمع الضال امثولة عالية في المحبة والسلام الانساني الصحيح .

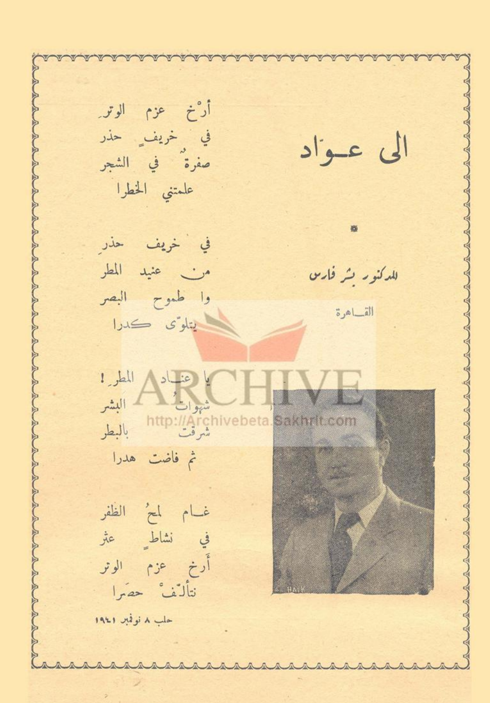
ان ليونارد في فنه هذا قد شق طريقاً للتجدد والابداع ولكن لم يقطع صلته بالماضي ، كما يريد بعضهم عندنا ، بل تابع سير الجيل الخامس عشر ، مثابراً على البحث عن الحقيقة والجوهر معلناً للجيل المقبل انه يسعى ليجعل من الواقع العادي فكرة عالية وان يرتفع بالنفس الانسانية من غرائزها الحيوانية الوضيعة الى جوهرها الانساني الاول ، كي ينتصر الخير على الشر ، وتظفر الروح على الجسد ، ويسمو الفكر على المادة ، فعلى هذه المبادىء السامية فقط تقوم نهضة حقة وصحيحة يكتب لها البقاء .

مصطفى فروخ

الى عوّاد

الدكتور بشر فارس

القاهرة



أرْخِ عزمَ الوترِ
في خريفٍ حذر
صفرةٌ في الشجر
علمتني الخطرا

في خريف حذرِ
من عنيد المطر
وا طموح البصر
يتلوّى كدرا

يا عناد المطرِ !
شهواتُ البشر
شرقت بالبطر
ثم فاضت هدرا

غـام لمحُ الظفر
في نشاطٍ عثر
أرخ عزم الوتر
نتألّفْ حصَرا

حلب ٨ نوفمبر ١٩٤١

الشيخة عطية

بقلم السيدة وداد سكاكيني



زائرونا في الحي يضيقون « بكتّاب » الشيخة عطية، فمنذ الغداة حتى العشية وصوت اولادها مرفوع بترديد السور القصار من جزء « عم يتساءلون » حتى حفظ الصغار من الجيران كثيراً من الآيات والسور وهم بعد في بيوتهم لم يذهبوا الى « الكتّاب » .

كان صوت القراءة يأتينا من قريب ومن بعيد ، يأتي ضجيجاً عنيفاً ودمدمة متمادية ، فيملأ مسامعنا ضجراً وقلقاً ، وكم تسخطنا من اجله ثم تطامنت آذاننا لكروره فتعودناه على كرّ الغداة ومر العشي ، وصار الليل لدينا غريباً في سكوته وسكونه ، لكن زوارنا كانوا يسأمون ويتبرمون ، ويزعجهم ذلك الصوت عن مكانهم عندنا ، فلا يطيلون زياراتهم لنا .

وفي الحق اننا كنا ننقم من الشيخة عطية كلما نزل بساحتنا الضيوف ، فاذا انتهت زيارتهم ضاع ما كنا فيه من نقمة وسآمة ، وغلبنا الاشفاق عليها ، لما نعرف من تقواها وانصرافها الى تعليم الصبية في الحي ، التماساً للرزق .

كانت في الخمسين من العمر ، هزيلة طويلة ، ولكنها حادة النشاط ، جادة في عملها ، لا تغفل لحظة عن مراقبة الاولاد وقد قنعت من دنياها بثوبين ، تنضو واحداً وتلبس واحداً ، أما سبحتها الطويلة في عنقها، فكانت تنوب عن القلادة، انها لتحرص على الدرهم فلا تهدره . وويلًا للصبية يوم الخميس ان تأخر اهلوهم عن « الخميسية » فحضر احدهم الى الكتّاب من دونها ، ان اقل جزائه ذلك اليوم ان يبقى منتصباً مرفوع الذراعين او راكعاً على الحصير، وان تجد الشيخة أيسر الاسباب لضربه بعصاها . أما شراء الاولاد منها مسحوق الحمص ، فحدث عن اساليب بيعه، فقد اتخذت الشيخة كأساً صغيرة تملؤها بهذا المسحوق ، ثم تكفتها على قطعة من الورق لكل ولد ينقدها ثمن ذلك ما اعطاه والداه من دريهمات عند مغداه .

واما سعال الصبية وهم يستفون مسحوق القضامة ويشرقون بغباره فأمر مألوف ما بينهم وبين شيختهم .

وكان للشيخة عطية بنت احرزت الشهادة الابتدائية على كبر ففرحت بها الشيخة وعللت نفسها بالآمال فقالت : سأستريح من عناء الصبية وتتسلمهم بنتي « ناجية » ولكن ناجية كانت تضيق بعمل امها وترغب عنه فكان يضطرب حبل « الكتّاب » حين تضطر الشيخة عطية لتركه ساعات فتعهد بامره الى بنتها ، واذ ذاك يشتد العياط بالكتّاب حتى يملأ الحي ويضج الجيران ، ولم تكن ناجية تفارق النافذة المطلة على الدرب في غيبة أمها ، وما تغيب الا لقراءة مولد او زيارة وليّ او شراء حاجة من السوق .

اتخذت الشيخة عطية هذا الكتاب منذ أرملت واعتزلت الناس وكان زوجها مدرساً فترك لها مرتب المعاش ، وكان زهيداً ، ففتق لها العوز تعليم الصبية وهي لم تعدُ على حرفة التعليم التي ألفها زوجها من قبل ومارستها هي في صباها ، فاستطاعت بتدبيرها وتقتيرها ان تجمع صبابة من المال اشترت به مسكنها وكتّابها ، وحبب اليها صنعتها ما درّت عليها من اخلاف الهدايا والاجور ، فتمنت ان يبقى حبل التعليم عندها موصولاً بيد ابنتها الى يد حفيدة لها ان رزق الله ناجية زوجاً طيباً ووهب لها انثى ، لكن بنتها – وقد اطالت الوقوف بالنافذة المطلة على الدرب واحكمت بينها وبين شاب من بني الجيران صلة وثيقة بدأت بالنظرة والابتسامة وانتهت بالميعاد وبالفرار – خيبت امل الشيخة وكان الشاب من اسرة لا ترضى عن زواجه ببنت الشيخة عطية فثاروا عليه وعليها وألّبوا اهل الحي فتنكرت لها النسوة ، ولمزها الرجال ، حتى وقف ببابها جمهرة منهم ائتمروا بها وبكتابها الذي اضطرب شأنه وذهلت عنه من جراء ناجية حتى كف اهل الاولاد عن ارسالهم

قصة

اليها فجعلوا يقلون بضعة بعد بضعة .

وعــاد الفتى بعروسه الى ابيه فقدم اليه الطاعة عن يد وهو صاغر فتوسل ان يعفو عنه ويبقي على قلبه بهذا الزواج ، فاشترط ابوه ان تنقطع ناجية عن امها ، وان تكون في منزلهم كالخادم .

وكان يوماً عبوساً على ناجية بكت فيه من وراء النافذة في بيت زوجها وهي تعاين الحمالين ينقلون متاع امهــا من بيتها الذي اجرته وخرجت منه الى غير رجعة .

وسكنت الشيخة عطية في حي الصالحية بجوار الاوليــاء والصالحين الذين رقدوا في تلك السفوح النضيرة المشرفة على غوطة الشام وقامت حواليها الزوايا والتكايا ، واستمر شأنها شهوراً ، حتى ذاع صيتها من جديد وسرى بين الاسر خبرها وحديث تقواها وانها من اهل البركات القانتين ، وأقبل على مجلسها نساء مؤتزرات بالبيــاض يوم الاثنين والجمعة من كل اسبوع بأيديهن السبحات ، وعلى رؤوسهن العصائب كالعمائم ، جئن الذكر والتسبيح ، وكأنهن ملائكة الرحمة ، وهن متشحات بالغلالات ، على ان فيهن كهلات وعجائز صفر الاسنان مكحولات الجفون مخضوبات الشعور ، وفتيات غريرات لففن شبابهن الشاحب بمواعظ الشيخات ، ولو لاح لهن الخاطب ، لانفككن عن تلك الحلقة وصرفهن الزواج عن الزهادة والتجهم للحياة .

وشاع في القوم ذكر الطريقة التي تسلكها الشيخة عطية وكثرت مريداتها اللاتي أمددنها بالمال ، ورددنها الى خير ما كانت فتسلت حيناً عن فراق ناجية ، وشغلتها العبادة ، ولكن لم يكن سلوها مطلقاً ، ولا احتمالها للحزن متصلاً ، فان الامهات لم يخلقن لانفسهن ومن الطبيعي ان يعاود الشيخة حنينها الى بنتها مهما كان عقوق هذه البنت ، فاسرت ذات عشية لاحدى مريـداتها بذات نفسها في شكاة تخنقها العبرة ، وتنفسها الزفرة وما راعها وهي في حلقة الاثنين آخذة بالتسبيح والتهليل والخفوق بالرأس والصدر الا ان ترى بنتها ناجية ففاض قلبها حنيناً وحملها ارتداد اللهفة على الانفلات من حلقة الذكر وقد خرجت عن طورها فالقت بنفسهـا على ناجية باكية حانية ، فوجت لهـا النسوة وتحول دهشهن الى شهيق ومبكى .

لقد استطاعت تلك المريدة ان تجتذب حماة ناجية الى الدخول في الطريقة فسلكتها وكنتها ، وصارتا تأخـذان في اسبابها ، وتنضان بالازار الابيض الى حلقة الذكر . فتسللت ناجية الى نفوس الفتيات من المريدات ، واستهوتهن مرة بعد مرة بحديثها ، وحين صارت لها نوبة في الترتيل عرفت المتمرسات بالحيــاة من الحاضرات ان هذه العذوبة في صوتهــا والغنة في حلاوته رخامة وفتنة ، وشاع بينهن ان السحر في فيها وعينيها فتنافسن في الاستماع لانشادها ، وعلمتها امهــا سيرة المولد وامادبح الرسول فكانت تنشدها وترددها بصوتها الناعم الحنون فتترنم المريــدات وتهتز الحاضرات حتى تتصاعد الآهات ، وتنهال الدموع من عيون فاضت بالشوق والحرمان .

وكان صوت ناجية وترجيعها يحملان الى امها الحب والدعة والرضى ، فتستزيدها من الانشاد ، حتى تطوف برأسها الذكريات فيهيج شجوها المكفوف وتطبق جفونها على خيال بعيد .

وكان الصوت فتنة صاحبه وسامعه منــذ غنى داود ، فقالت لناجية احدى السامعات في خلوة من الذكر :

— لو غنيت يا ناجية، آه يا ليل او قلت لنا اغنية غرامية ! . . .

فتنهدت ناجية ومــالت بعنقها ثم غنت (آه يا أنا ، ما للعواذل عندنا) .

واخذت تنشد الامادبح على لحون الاغاني المستحبة ونسجت على غرارها وعكفت على الحــاكي واصاخت الى الراديو حتى حذقت الغناء وبرعت فيه . وما لبثت ان مالت اليهــا المريدات وملن عن امها ، فكن لا يأتينها الا لماما ، حتى اختل نظام الذكر اسبوعاً بعد اسبوع ، وكان ينفض قبل اوانه لينصرف بعض الصبايا الى غناء ناجية كلما خلي بينها وبين امها .

واخذت الامور تجري على غير ما قدرت الشيخة عطية فلامت بنتها ونهتها ، وودت لو لم تأت بها الى الدنيا ، فلقد افسدت عليها (الكتّاب) وها هي ذي تفسد عليها باب الطريقة .

وقال الناس ان بيت الشيخة الصالحة تحول الى ملهى ، وان ذلك الذكر صار عزفاً وقصفاً ، فتولت عنها النسوة الطيبات وهجرتها الباقيات ، ولما دبت القطيعة بــين الام والبنت حنت الشيخة الى شأنها القديم فاستأنفت حرفة التعليم وصبرت اياماً حتى لمت الصبية والولدان ، جمعتهم لتعلمهم السور القصار من (جزء عم) فكانوا يرفعون اصواتهم بالترديد حتى تجاوز صحن دارها ، وتبلغ بيوت الجيران فتزعجهم عنها ويضيقون بها ، حتى تعودوها بعد حين وألفوا انغام الترتيل والتجويد ، وكان اذا اتى عليهم الليل حسبوا ان الظلام غريب عنهم في صمته وسكونه . .

القاهرة وداد سكاكيني

الفارابي وجمهورية افلاطون

بقلم جبور عبد النور
استاذ الفلسفة العربية
في الكلية العلمانية
بيروت

« آراء اهل المدينة الفاضلة » من اشهر الكتب التي وضعها الفارابي . ولعله يلخص بوضوح آراء ابي نصر لظهوره في اواخر ايامه . بدأ تأليفه ببغداد ، وحمله الى الشام في آخر سنة ٣٣٠ ، . وأتمه بدمشق سنة ٣٣١ هـ. ثم سأله بعض تلامـذته ان يجعل له فصولاً تدل على الابواب التي يطرقها فيه ، فعمل له ذلك في مصر سنة ٣٣٧ هـ.

يجوز لنا ان نتساءل : أيحـاول الفارابي – كما يعتقد بعض الدارسين – تقليد جمهورية افلاطون في« اراء اهل المدينة الفاضلة»؟ أ كانت غايته ان يؤلف كتاباً يبحث في السياسة والعدل والظلم ، ويعرض لطبقات المجتمع ولانواع الحكم ؟. ان نظرة سريعة تلقى على مبحثه تبين لنا ان الغاية التي رمى اليهـا تختلف اختلافاً بيناً عن غاية افلاطون . فالفيلسوف الاغريقي حاول في جمهوريته ان يصور حكومة مثالية، وان يبين ماهية العدل في حياة الفرد وحياة الجماعة ، فمثل معلمه سقراط في حوار يدور بينه وبين جمـاعة من المفكرين ، بينهم عجوز شارف النهاية من عمره . يبين له المعلم ان الشيخوخة حالة من حـالات الحرية وراحة للاعصاب . غير انه يتوجب علينا ان نتمتع بميزة العـدل لننعم بهذه الحرية والراحة . ومن هذا ينتقل الى الكلام باسهاب عن فضيلة العـدل ، وعن الحكومة المثالية التي تتم فيها الشروط الضرورية للحكومـات الكاملة . فترى ان الاجتماع الفـاضل هو الذي يتألف من ثلاث طبقات : اولها طبقة المتشرعين ، يؤخذون بين المتقدمين في العمر ، ويؤلفون الجماعة العالمة المتفلسفة ، وهم الذين يضعون الشرائع . لان على رجل الدولة ان يعرف كيف يقود من سلموا ذمامهم اليه، وان يفهم طبيعة الانسان، والعقبات التي تقف في وجهه دون الوصول الى الفضيلة . لان غاية المتشرع النظام والعدل . فالظلم هو الفوضى لانه يخلق حالة من التنافر تؤدي الى تعاكس القوى واضاعة الحقوق.

والطبقة الثانية هي التي يعهد اليها بحماية الحكومة، اي الجند. والثالثة تتألف من الفلاحين والصناع ، وكل من يقوم بالاعمـال اليدوية . غير انه ليس بين هذه الطبقات الثلاث حدود فاصلة لا يمكن اجتيازها . فالتربية تساعد الفرد على الارتقاء من طبقة الى اخرى .

يقترح افلاطون الغاء الزواج والملكية للجند ، لكي ينصرفوا بكليتهم الى الدفاع عن الحكومة المثالية. ويلاحظ ان تضحيتهم في ذلك عظيمة، ولكن الواجب يتقدم جميع الاعتبارات الاخرى ، لان التناسق هو الاساس في شؤون الدولة . اما تربية الشعب فلا يعني بها افلاطون ، ويكتفي بان يطلب من الصنـاع والفلاحين عملاً متتابعاً ، وطاعة لا حد لها ، وهما الفضيلتان الوحيدتان اللتان يتوجب على الجماعة ان تتخلق بهما . فالحكيم الاغريقي يعتقد ان التناسق لا يكون بين طبقات المجموع الا اذا عاشت في حـالة متوسطة بين الفقر والغنى ، اما موقف الطبقة العسكرية من المرأة والملكية فيحدده بالغاء الاسرة ، وحرمانها من حق التملك . فالحكومة تتعهد تربية الاولاد. فيؤخذون عند ولادتهم الى المنازل المشتركة ، وهناك يعنى بهم اذا كانوا غير مشوهي الخلقة . وتشيع نساء الجند في الطبقة كلها ، وكذلك الاولاد ، فيكون هؤلاء ابناء الحكومة ، وكل واحد من الجنـد يرى فيهم اولاداً له . اما الغاء الملكية فلانها منشأ الاختلاف بين الناس فللدولة وحدها حق التملك لان « كل شيء مشترك بين الاصدقاء » .

تقوم تربية الشبان الذين يدعون فيما بعد لتسنم المراكز التشريعية في الدولة على تلقينهم خمسة انواع من العلوم : الحساب، والهندسة والهيئة والموسيقى ، ولكل منها فائدة خاصة ، تنمي فيه ناحية معينة من التفكير والفهم . ويجعل على رأسها علم الجدل الذي تعمد اليه النفس في تفكيرها التجريدي ، بعـد ان تتخلص من صور

الاشياء وموادها . وتتوصل النفس الى العلم الحقيقي عندما تبلغ الكائن الاسمى ، مبدأ المبادي، باكتناه مباشر . وبعـد ان يحدد الحكومة المثالية ينتقل الى الكلام عن انواع الحكومات التي تختلف من حيث الكمال والعدل . فيرى ان اسماهـا الارستقراطية او الملكية، حيث يحكم الفضلاء اي الفلاسفة . وبعد ان تعمر طويلاً تندثر بظهور الانشقاق بين الطبقات والافراد . وعندئذ تظهر حكومة المتمولين . ثم يقوم مقام هذه حكومة جماعة معينة . وعندئذ تظهر الديمقراطية ، وهي في نظر افلاطون اقل الحكومات قيمة وفضيلة . منشأها الحقد الذي يتجمع في صدور الفقراء ضد الاغنياء ، فيدفعهم الى الثورة . وعندما تتغلب الطبقة الفقيرة تقضي على الاغنياء بالقتل والتشريد . هكذا تقوم الديمقراطية ، كما يقول في الفصل الثامن من جمهوريته . ويستتبعها الحكم الاستبدادي . يتفرد به شخص واحد يأتي به الشعب للخلاص من تعسف الحاكمين ، وفساد اخلاقهم ومطامعهم . وينتهي الامر بالحاكم الفرد الى الاعتماد على العبيد في الدفاع عن نفوذه ضد من رفعه الى سدة الحكم . وهكذا ينتقل الشعب من الخضوع للاحرار الى الخضوع للعبدان .

من هذا يتبين لنا ان المفكر الاغريقي كان ينحو في بحثه منحى سياسياً عملياً ، وان كانت الحكومة التي يفضلهـا على جميع انواع الحكومات مثالية يصعب تحقيقها، لما اتصف به الانسان من تناقض في اخلاقه ، وتضارب بين فكره الصحيح وغرائزه الجامحة .

اما الفارابي فيعرض في بحثه لامور عديدة ، ومواضيع تبعد كل البعد عن السياسة العملية والنظرية ، ليدخل في صلب مـا وراء الطبيعة . حتى يمكننا القول ان كتاب « اراء اهل المدينة الفاضلة » لا يعنى الا في النادر القليل بنظام المدينة وسياستها ، وانما يقتصر بحثه على « الاراء » التي تجول في اذهان سكانها ، وعلى الطريقة التي يفهم بهـا هؤلاء السكان الحياتين العقلية والحسية . واما ما يتبع ذلك من مرافق العيش ، ومن تقسيم عملي للطبقات ، وانظمة عامة ، وتشريع مدني ، وتحديد للاسرة ، وحل لمشكلة الملكية ، فالفارابي ، لا يلتفت اليه . لا يقف امام « المدينة » موقف متشرع ، وانما يتسرب الى اذهان ساكنيها ، مؤولاً محللاً لما يعثر عليه من المبادي والنظريات ، فيسرف في تحديد الشي الذي ينبغي ان يعتقد


الاستاذ جبور عبد النور

فيه انه الله ، وفي الكلام عن ماهيته ، وكونه سبباً لسائر الموجودات ، وعن كيفية ارتباطها به ، واي الاسماء ينبغي ان يسمى ، وعن الموجودات التي تشبه الملائكة ، وصفة كل واحد منها ، وعن الاجسام التي تحت السموات ، وكيف وجودها ، وعن المادة والصورة ، وما كل واحد منهـا ، وكيف تحدث الاجسام الهيولانية بالجملة ، وعن الانسان وقوى نفسه وحدوثهـا وحدوث الاعضاء ، وعن ارتسام المعقولات في الذهن . غير انه يعرض في القسم الاخير لحاجة الانسان الى الاجتماع والتعاون ، فيذكر عندئذ اصناف الاجتماعات الانسانية ، ويحدد الاجتماع الفاضل والمدينة الفاضلة . وهو جزء ضئيل من الكتاب لا يخلو من النزعة التجريدية .

فالانسان محتاج الى الاجتماع ، لان السعادة لا تتم له الا بتآلف جماعة كثيرة من الناس متعاونين ، يقوم كل واحد منهم نحو الآخر ببعض ما يحتاج اليه في حياته . لذلك كثر تجمع الناس في الارض ، وظهرت الاجتماعات الانسانية .. منها الكاملة ، ومنها غير الكاملة . اما الاولى فثلاث : العظمى ، وهي اجتماع الانسانية بكاملها في المعمورة . والوسطى ، وهي اجتماع امة في جزء من الارض . والصغرى ، وهي اجتماع اهل المدينة في جزء من مسكن الامة . وامـا غير الكاملة فاجتماع اهل القرية ، او اهل المحلة ، او اهل سكة او منزل .

اما المدينة الفاضلة فهي التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية . والامة التي تتعاون مدنها كلها على نيل السعادة هي الامة الفاضلة . تشبه المدينة البدن التام الصحيح الذي تتعاون اعضاؤه كلها على تتميم الحياة . وكما ان اعضاء البدن مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى ، وفيها عضو واحد رئيس هو القلب ، واعضاء تقرب مراتبها منه ، واخر تفعل افعالها حسب اغراضه هذه ، الى ان تنتهي السلسلة الى اعضاء تخدم ولا ترأس . كذلك المدينة اجزاؤها مختلفة الفطرة ، متفاضلة الهيئات . فيهـا انسان هو رئيس ، وآخرون تقرب مراتبهم من الرئيس . ودونهم قوم يفعلون ما يريد هؤلاء . وهكذا يترتب افراد المدينة الى ان ينتهوا الى جماعة لا يقومون بافعالهم الا نزولاً عند رغبة من تقدمهم ، وهم الذين يخدمون ، ويكونون في ادنى

المراتب .

اما رئيس المدينة فهو رئيس جميع الافراد، واتمهم كمالاً . وهو السبب في نشوء المدينة وقيام نظامها . فاذا اختل امرها اصلحه . يوزع الرؤساء الثنويين على كل ناحية من نواحي العمل في المدينة . ويسعى من هو دونه مباشرة في الاقتداء به . وكذلك يرمي كل عضو من اعضاء المدينة الى الاقتداء والتشبه بمن فوقه درجة . فيكون الرئيس هو القبلة العامة التي تتوجه اليها نفوس جميع الافراد من اسماهم الى اخسهم . ولا يجوز ان يكون الرئيس اي انسان اتفق، لان الرئاسة لا تتم الا بشيئين هما : الاستعداد لها بالفطرة والطبع، ثم بالملكة الارادية . وقد استكمل الرئيس الفاضل الصفات الخلقية والعقلية، وتمت المعقولات في عقله المنفعل، فصار اقرب الى العقل الفعال منه الى المادة، اي في درجة العقل المستفاد[1] . وهو اذا شئنا الامام تمثلت فيه اثنتا عشرة خصلة، منها : ان يكون تام الاعضاء، جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له، جيد الحفظ لما يفهمه ويراه ويسمعه، جيد الفطنة ذكياً، اذا رأى الشيء بادنى دليل فطن له، حسن العبارة يؤاتيه لسانه على ابانة كل ما يضمره ابانة تامة، محباً للتعليم والافادة لا يؤذيه الكد والتعب، غير شره في غرائزه، متجنباً بالطبع اللعب، محباً للصدق واهله، مبغضاً للكذب والكاذبين، كبير النفس، يسمو عن كل ما يشين من الامور، ويكون المال، وسائر اعراض الدنيا هينة عنده، يميل الى العدل، ويبغض الجور، ويعطي النصف من اهله، سلس القياد لا جموحاً ولا لجوجاً، قوي العزيمة غير خائف ولا ضعيف النفس . فان وجد من يتحلى بهذه الخصال الحميدة وبما تقدم من الميزات العقلية يكون الرئيس . واذا لم يكن في المدينة في وقت من الاوقات، من تتم فيه كل هذه الميزات، تؤخذ الشرائع والسنن التي شرعها رئيس سابق ويتبعها من يقوم مقامه .

واذا لم يوجد انسان واحد يمكنه القيام بالنيابة، وانما هناك اثنان احدهما حكيم والثاني تتم فيه الشرائط الباقية يكونان هما رئيسين في المدينة . اما اذا تفرقت الفضائل في اشخاص عديدين متلائمين كانوا هم الرؤساء الافاضل . غير ان المدينة في مثل هذه الحالة لا تلبث ان تهلك اذا لم تجد شخصاً واحداً تسند اليه الرئاسة العامة .

يشترك السكان في اشياء يعلمونها ويفعلونها، كما ان هناك اشياء اخرى من علم وعمل يخص كل رتبة، وكل واحد منهم . فمن المشترك بينهم : معرفة السبب الاول وجميع ما يوصف به، ثم الاشياء المفارقة للمادة وما يوصف به كل واحد منها، والعقل الفعال الخ . . اي انهم يشتركون في معرفة مذهب الفارابي نفسه . وتكون هذه المعرفة على ثلاثة انواع بالنسبة الى الطبقات التي تؤلف سكان المدينة . فالحكماء يعرفونها ببراهين وببصائر انفسهم، ومن يليهم يعرفونها ببصائر الحكماء اتباعاً لهم وثقة بهم . والباقون يدركونها بالمثالات التي تحاكيها، وهم الذين يتبعون الرسالة الدينية . والمعرفة الاخيرة هي ادناها لانها تؤدي الى التأويل والتخريج والعناد في الآراء .

يقوم في وجه المدينة الفاضلة كل من المدينة الجاهلة والفاسقة والمتبدلة والضالة . والجاهلة هي التي لم يعرف اهلها سعادة، ولا خطرت يوماً ببالهم . وان رشدوا اليها لم يعتقدوا بها . انما همّ بعضهم الاقتصار على الضروري مما به قوام الابدان من المأكول والمشروب والملبوس والمسكون والتعاون على استفادتها . وبعضهم يتعاونون على بلوغ اليسار والثروة على انها الغاية القصوى في الحياة، وآخرون يؤثرون اللذة من المحسوس والتخيل وايثار الهزل واللعب . وغيرهم غايتهم ان يصيروا مكرمين ممدوحين مذكورين مشهورين بين الامم ممجدين معظمين بالقول والفعل . امـا المدينة الفاسقة فاراؤها آراء الفاضلة . تعلم السعادة وتعرف الله والعقل الفعال . غير ان افعالها تشبه افعال المدينة الجاهلة . والمتبدلة كانت آراؤها وافعالها في القديم اراء الفاضلة وافعالها . غير انها تبدلت فدخلت فيها مذاهب غير تلك، واستحالت اعمالها فشطت عن الصواب . والضالة تعتقد بالسعادة الآخروية ولكنها تؤمن بالخالق والثواني والعقل الفعال ايماناً فاسداً، ويكون رئيسها ممن اوهم انه يوحى اليه من غير ان يكون كذلك، فيستعمل المخادعة والمخاتلة .

*

والخلاصة ان الجزء الذي يعرض لما نسميه « السياسة » لا علاقة له بالنظم الاجتماعية او السياسية . في حين ان افلاطون خص « جمهوريته » بكاملها ببحث هذه النظم، ولم يعرض الا لماماً لنظرية النفس والمثل في الفصل السادس حيث يرمز الى المعرفة الانسانية بالسجناء الذين نشأوا في مغارة لا يدركون من الحقائق الا ظلالها المرتسمة امامهم على الجدار . وان ما قاله الفارابي عن

(1) يلاحظ ان رئيس مدينة الفارابي فيلسوف قد استكمل فصار عقلا ومعقولاً بالفعل، ونبي قد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال . وهذا ما حمل المستشرق ده بور على ان يقول فيه : « هو افلاطون في البردة النبوية المحمدية » .

فلسفة الحب

للشاعر الانكليزي « شلي »

مرتضى شراره

بغداد

تمتزج الينابيع بالنهر ،
وتمتزج الانهار بالمحيط ،
وتختلط رياح السماء بالاحساس العذب
الى الابد .
فلا شيء في العالم وحيد .
كل شيء مرتبط بقانون سماوي ،
وكل واحد ممتزج بالآخر
فلماذا لا تمتزج روحي بروحك يا حبيبتي ؟!

*

انظري : الجبال تقبل السماء العالية !
والامواج يعانق بعضها بعضاً !
وشعاع الشمس يحتضن الارض !
واضواء القمر تقبل البحر !
فما قيمة كل هذه القبل :
اذا كنت لا تقبلينني يا حبيبتي ؟!

مميزات الاجتماع الفاضل والجاهـــل ، وتناسق الافراد في الاول وتسلسلهم وترؤس بعضهم على بعض ، وانصراف كل فرد الى عمل خاص ، وما قاله من ميزات الرئيس المثـــالي ، واذعان جميع الاعضاء له كما تذعن اعضاء الجسم للقلب ، كل ذلك لا علاقة له بالحياة العامة ، ولا يمكن تشبيهه بما جاء به افلاطون . وانما بوسعنا القول بشيء من التأكيد ان « آراء اهل المدينة الفاضلة » يجمع مذهب الفارابي بكامله ما خلا المنطق ، وانه شاء القول ان الجماعة التامة الكاملة الفاضلة انما تذهب حتماً مذهبه في التفكير ، وتدين بارائه لانها الحقيقة المنطقية .

لكن ذلك يتم بطرق متعددة مختلفة اختـــلاف العقول في الطبقات التي تؤلف سكان المدينة . وبوسعنا ايضاً ان نؤكد ان الفارابي قد قرأ جمهورية افلاطون التي عرفهـــا العرب باسم « كتاب السياسة » ووقف على الترجمة او الخلاصة او الشرح الذي وضعه حنين بن اسحق ، وتأثر بها تأثراً بينـــاً رغم اختلاف الموضوع في المبحثين فجعل الرئاسة في يد الحكيم الفاضل او من يؤمن قبل كل شيء بقول الحكماء ايماناً يقينياً . وكانت غايته التناسق التام بين مختلف الافراد ، كما كان يرمي افلاطون الى التوازن بين الطبقات . مع الفارق ان الافراد او الاعضاء الذين يتكلم عنهم ابو نصر لا تتضح شخصيتهم الانسانية ، في حين ان المفكر الاغريقي يعني اناساً يعرفهم ويحددهم اجتماعياً بالنسبة الى من يحيط به من الاقوام . وعلى كل فلم يكن حتماً بوسع الفارابي ان يأتي بما جاء به افلاطون لاعتبارات متعددة منها ان الحرية التي كان يتمتع بها اليوناني تسمح له بالتفكير والتأليف في المواضيع السياسية العملية ، وان كانت النتيجة التي قد ينتهي اليها لا توافق ما يعرف معاصروه من انواع الحكومات ، وما اتفقوا على اعتباره الافضل والاكمل . ولم يكن الفارابي ليفكر او يتخيل حكومة مجسمة حية تقوم على اساس غير الخلافة تجمع بين السلطتين الروحية والزمنية . واذا مرّ بذهنه ما يخالف هذه الفكرة فهو ينزع عنها ما يعلقها بالزمان والمكان فتبدو بثوبها التجريدي عارية عن الواقعية . ولعل القليل من الحرية التي تمتع بها الباحثون في عرضهم لاشكال الحكومات ، وذهاب الدول ، وقيام اخرى ، ومـــا رافق كل ذلك من سفك دماء وتشريد واضطهاد ... لعل هذا كان بعض ما اقصى الفارابي عن الاقتداء بافلاطون في جمهوريته .

جبور عبد النور

الرصافي وزملاؤه على ساحل الابيض المتوسط

بقلم رفائيل بطي
صاحب جريدة البلاد العراقية

☆

في ليلة الجمعة ١٦ اذار ١٩٤٥ فاضت روح الشاعر العراقي العظيم الاستاذ معروف الرصافي .

توفي وحيداً في دار صغيرة يسكنها في الاعظمية من ضواحي بغداد مع خادمه الامين (عبد) وزوج الخادم وبناته . ولم يخلف ولداً فقد تزوج فتاة تركية عندما كان في فروق عضواً في مجلس المبعوثان ولنقص تشريحي في جسم زوجه امتنعت عن الحبل ، ثم طلقها قبل عشرين سنة واظهر لاصدقائه انه انما يقدم على هذا لا كرهاً بامرأته بل لعجزه عن القيام بنفقات دار عائلية يجب ان يؤسسها في ما لو جاء بها من اسطنبول الى بغداد .

كان الشاعر وقد نيف على السبعين يشكو جملة امراض اصطلحت على هيكله في هذه السنين ولكن في الاشهر الاخيرة تمتع بشيء من الصحة الا ان مرض ذات الرئة داهمه في البرد القارس فلم يمهله اكثر من ثلاثة ايام فقضى تاركاً فراغاً واسعاً في عالم الشعر العربي . عاش الرصافي في هذه السنوات شظف العيش وهو يعض على ابائه وشممه بالنواجذ ، حراً في تفكيره ، جريئاً في قول ما يعتقده حقاً . لا مورد عيش له الا راتب تقاعد لا يتجاوز ١٨ ديناراً في الشهر بينما هو ينفق على نفسه ومن يساكنه في بيته ممن ذكرت آنفاً في غلاء الحرب الفاحش . غير ان حاله المادية تحسنت قبل وفاته بقليل فلقد اخذت النخوة على النبوغ المعذب احد الوجوه العراقيين الاماثل السيد مظهر الشاوي ، فخصص له اربعين ديناراً شهرياً من ماله واهدى اليه هدايا كثيرة منها ملابس منوعة واخذ على نفسه عهداً موثقاً عند (كاتب العدل) ان الاستاذ الرصافي يتناول هذا الراتب الشهري حتى اذا فارق المحسن الحياة فله ان يستوفيه من تركته والشاوي من الاغنياء والملاكين .

ومما يؤثر ان السيد الشاوي الكريم اهدى الى الشاعر المبدع مخصرة لها رأس حية من الفضة فقال الرصافي يصفها بهذه الابيات وهي آخر شعره :

عصاي الفتية

انا شيخ وذي عصاي فتية ... قد اتتني من « مظهر » لي هدية
صاغة « الصابئين » قد ألبسوها ... حلية ذات صنعة عبقرية
وشحوها من « مظهر » بكلام ... معرب عن مودة اخوية
هي تحكي عصا « ابن عمران » قدرا ... فلذا صيغ رأسها رأس حية
فسأمشي بها قوياً سوياً ... بعد ما كنت ماشياً كالحنية
وستبقى الذكرى بها لاخاء ... موثق بالوشائج الادبية
ألبستني كرامة باخائي ... لكريم من اسرة « حميرية »

وقد ترك الفقيد الكبير (وصية تاريخية) كان كتبها قبل اشهر واودعها عند صديقه السيد محمود السنوي من كبار الموظفين السابقين وهذا نصها :

الى اصدقائي الاحرار الكرام :

اراهم يهيجون على العوام باسم الدين وما اظنهم يتركونني حتى يعدموني الحياة وليس لي من التجىء اليه سوى الله وكفى بالله حافظاً وحسيبا وليس لي من الاقارب من اعهد اليهم بوصيتي سوى معارفي من الاصدقاء الاحرار من اهل هذا البلد فلذا اكتب هذا اليهم عسى ان يقوموا بتنفيذه ولهم من الله الاجر .

كل ما كتبته من نظم ونثر لم اجعل هدفي منه منفعتي الشخصية وانما قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه والقوم الذين انا منهم



الاستاذ رفائيل بطي

ونشأت بينهم فلذا لم اوفق الى شيء في حياتي يسمى بالرفاهية والسعادة في الحياة ، لا املك شيئاً سوى فراشي الذي انام فيه وثيابي التي ألبسها وكل ما عدا ذلك من الاثاث الحقير الذي في مسكني ليس لي بل هو مال اهله الذين يساكنونني . كل من اعتدى عليّ في حياتي فهو في حل مني . وان كان هناك من اعتديت انا عليه فهو بالخيار ان شاء عفا عني والا قضى بيني وبينه الله الذي هو احكم الحاكمين .

انا ولله الحمد مسلم مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبدالله ايماناً صادقاً لا ارائي فيه ولا اداجي الا اني اخالف المسلمين فيما اراهم عليه من امور يروخها من الدين وليست هي منه الا بمنزلة القشور من اللباب ولا يهمني من الدين الا جوهره الخالص وغايته المطلوبة التي هي الوصول الى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية والحياة الاخروية ما امكن الوصول اليه من ذلك بترك الشرور وبعمل الصالحات وكل ما عدا ذلك من امور الدين فهو وسيلة اليه وواسطة له ليس الا .

بما ان « عبد بن صالح » الذي هو معاوني على العيش في مسكني كنت انا السبب في زواجه وقد ولد له بنات صغار وليس له من اسباب المعيشة والكسب ما يجعله قادراً على اعاشتهن ارجو من اهل الخير في الدنيا ومن اصدقائي الكرام الاحرار ان يسعوا في ايجاد شغل له يكسب به ما يقوم باعاشتهن وان الله تعالى لا يضيع اجر المحسنين .

كل ما عندي من الكتب المخطوطة التي كتبتها انا ، تباع لمن يرغب في شرائها على ان يكون له حق الطبع والنشر ولا يكون لي فيها سوى الاسم ويدفع المال الحاصل من بيعها الى بنات عبد .

ادفن في اي مقبرة كانت على ان يكون قبري في طرف منها وان يكون في ارض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلاً . . . ان كانت الحياة نعمة سابغة من الله على عباده فان الموت رحمة واسعة منه عليهم فالموت هو رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

المؤمن بالله وحده لا شريك له

معروف الرصافي

وقد انطوى بموت الرصافي علم رفيع من اعلام الشعر المعاصر ، واصيب العراق بمفخرة من مفاخره الادبية عز لها النظير .

ومجال القول في الشاعر الكبير ذو سعة ولكنني اود ان اتناول في كلمتي لمجلة (الاديب) الزاهرة ناحية صلة الرصافي بادباء بر الشام وعلاقته بلبنان الجبل العربي الراسخ على كر العصور .

اتصل معروف الرصافي بالادباء اللبنانيين والسوريين من اول نشأته وتعاطيه الشعر فقد كان يرسل بقصائده الى جريدة (المؤيد) الشهيرة في مصر لنشرها قبل الانقلاب الدستوري العثماني وفي عهد السلطان عبد الحميد وفيها نزعة حرة وتطلع الى الحياة الطليقة من قيود الاستبداد والطغيان فكانت تنشر في وادي النيل في (المؤيد) ومجلة (المقتطف) وغيرهما ، فتلفت النظر بمعانيها القوية وتعبيرها الجزل وديباجتها الرائعة وما فيها من التحرر الفكري والجرأة مما حدا بالصحافي اللبناني المعروف الاستاذ نعوم لبكي – والد الشاعر المجدد (صلاح لبكي) – وكان يصدر جريدة المناظر في اميركا ان يكتب مقالا في جريدته يزعم فيه ان (معروف الرصافي) توقيع (مستعار) لشاعر عربي عظيم موطنه غير بغداد التي يتظاهر بالانتساب اليها على صفحات الجرائد ، اذ يستحيل ان ينبغ في العراق المتأخر في ادبه وعلومه في هذه الايام وفي غيهب الاستبداد وتضييق الخناق على المفكرين الاحرار مثل هذا الشاعر الحر في جرأته وسعة افقه فضلاً عن ديباجته البعيدة عن الشعر التقليدي الذي نعرفه من نفس شعراء السواد لهذا العهد .

فانبرى للرد على صاحب المناظر الاستاذ الكبير محمد كردعلي في مقالات (بالمؤيد) وكثر الاخذ والرد بينهما وبرهن الاستاذ كرد علي على ان معروف الرصافي هو الشاعر النابغة العراقي (معروف الرصافي) البغدادي .

وبعد النهضة الدستورية العثمانية طفقت صحف بيروت تنشر الشيء الكثير من شعر الرصافي وعرفه اللبنانيون والسوريون حق المعرفة واستعذبوا شعره فلما زار (كرة التاج) في طريقه الى (عاصمة الخلافة) سنة ١٩٠٩ احتفى به كبار الادباء وحملة الاقلام في الثغر حتى اذا عاد بعد اشهر واعوزه المال لنفقات السفر وهو في (بيروت) ابتاع السيد محمد جمال صاحب (المكتبة الاهلية) مجموعة شعره التي جمعها الاستاذ محي الدين الخياط في ديوان اصدرته هذه المكتبة باسم (ديوان الرصافي) سنة ١٩١٠ وقد عني الخياط بترتيب الديوان وتبويبه وكتابة مقدمة ضافية له في الشعر وشاعرية الرصافي كما عني المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني بشرح الفاظه .

فما كاد الديوان الجديد يبرز في عالم النشر حتى قوبل بعاصفة من الاستحسان والتقريظ والدراسات الادبية منها مقالة ضافية للاب لويس شيخو اليسوعي في (المشرق) ومقالة ممتعة للشيخ عبد القادر المغربي (عضو المجمع العلمي العربي في دمشق) وقد اعاد جانباً منها في المقدمة المفصلة التي كتبها للطبعة الجديدة من ديوان الشاعر .

ومما يلاحظ ان الرصافي عندما يفكر في طبع دواوينه يلجأ الى عاصمة لبنان فقد اعاد طبع ديوانه سنة ١٩٣١ مضيفاً الى الديوان الاول قصائده وشعره المتحصل بعد ذلك فطبعه في (مطبعة المعرض) في بيروت وتولى (الاستاذ رأفت بحيري) المصور المتفنن تصوير بعض الصور الرمزية الرائعة التي حلت صفحات منه .

واشدة ولع الادباء اللبنانيين بشعر معروف لا تجد مجموعة ادبية تصدر عند القوم الا وفيها الكثير من هذا الشعر فكانت

مجلة (المورد الصافي) لصاحبها الاستاذ جرجس الخوري المقدسي تحمل في كل عدد منها شعراً رصافياً . وتضمن مجموع (جواهر الادب) للخوري بطرس البستاني مختارات نفيسة منه وغيرها كثير .

والمتصفح لديوان الرصافي القديم والجديد يقع على شيء كثير من الشعر في وصف بيروت والتغني بلبنــان حتى حق لجريدة (الاحرار) ان تقول سنة ١٩٣١ (ولع لبنان بالرصافي فسارت قصائد شاعر العراق على السنة اللبنانيين وولع الرصافي في لبنان فجادته قريحته بقصائد صافية العاطفة كسماء هذه الربوع عذبة كمائها عليلة كهوائها) .

وها انا اورد بعض تغنيه بمحاسن لبنان :

اری الحسن في لبنان اينع غرسه   وقارب حتى امكن الكف لمسه
اذا ما رأته عين ذي اللب مشرقاً   تنزت به في مدرج الحب نفسه
زكى مغرساً فالذام ليس يؤمه   وطاب جنى فالسوء ليس يمسه
جرى ماؤه العذب الزلال محاكياً   به الماس صفواً او هو الماس نفسه
ترى طبع واديه رؤوفاً بأهله   شديداً على ما يزعج النفس بأسه
فمن زاره مستوحشاً فهو انسه   ومن جاءه مستنزهــاً فهو قدسه
فيــا لائمي في حب لبنان انني   أحس لعمري منه مــا لا تحسه
اذا كان لبنــان كليلى محاسناً   فلا تعجبوا من انني اليوم قيسه
وان تحمدوا منه الايادي فانني   انا اليوم من بعد الايادي قسه
كتبت كتاب المدح في وصف حسنه   فضاق ولم يستوعب الوصف طرسه
فما كل مــا قالت به شعراؤه   سوى ثلث ما يحويه بل هو خمسه

وله في وصف المدن اللبنانية وبيروت قصائد من غرر شعره كما ان ديوانه مشحون بالقصيد في مدح رجال الشام وادباء لبنان وادبياته والثنــاء عليهم او ندبهم او رثائهم منهم ندرة مطران ومحي الدين الخياط ونور الدين بيهم وفوزي باشا العظم وجبر ضومط والريحاني وجبران وسليم سركيس ومحمد الباقر وفيلكس فارس وعادل ارسلان وصلاح اللبابيدي وقيصر المعلوف وعبدالقادر المغربي وسامي الشوا وفخري البارودي وعفيفة صعب ونجــلاء ابي اللمع ونظيره زين الدين ، فليرجع الى الديوان من يشاء متعة وتذكرة .

وللرصافي رأي في الشعر المنثور الذي حمل علمه الريحاني وجبران فقد قال فيها في بعض محــاضراته الادبية (رأيت لجبران خليل جبران عــدة رسائل من الشعر المنثور العربي نحا فيه منحى اهل الغرب في الشعر الافرنجي . واعرف امين الريحاني اجتمعت به مرة في داره فانشدني من الشعر المنثور مــا يزري بعقود النحور وابتسام الثغور (محاضرات الادب العربي) طبع١٩٢١ صفحة ٠٧٩ .

وقال عنهما في كتاب آخر له ايضاً (دروس في تاريخ آداب اللغة العربية) بصدد البحث في النسبة بين المنظوم والشعر :

« وقد اشتهر بالشعر المنثور في عصرنا هذا رجال منهم امين الريحاني وجبران خليل جبران وهذان الشاعران وان كانا مجيدين في صناعتهما الا انهما ليسا من المبتدعين فيها على ما ارى بل من المتبعين لاهل الغرب والمقتبسين من آدابهم وهما مع اجادتهما من الوجهة الشعرية كثيراً ما يتساهلان في استعمال مفردات الالفاظ وتراكيب الجمل على نمط ينبو عنه سمع العربية الفصحى كما يقوله النقادون لشعرهما اما انا فلا ألومهما على هــذا التساهل لاننا اليوم في عصر ارتقى فيه طرز التفكير واختلفت فيه وجهة النظر مما كانت عليه في القرون الماضية وتحول فيه مجرى العاطفة الى مجاري ارقى واسمى مما كانت عليه في الايام الخالية فليس من الموافق لروح هذا العصر ان لا ننشد الشعر فيه الا بلغة امرىء القيس . ولا بــد للشعر وللغة قبل الشعر من تقمصهما روح العصر وسيرهما مع الزمــان



صورة نادرة اخذت في لبنان في سنة ١٩٢٥ يبدو فيهـا من اليسار الدكتور اديب مظهر ، فالرصافي ، والى اليمين فليكس فارس. والثلاثة قد فقدهم الادب العربي . ويبدو بين الرصافي وفارس الاستاذ يوسف الحاج.

وتطورهما باطواره وليست اللغة سوى واسطة نعرب بها عن افكارنا ونترجم عن حياتنا ونعبر عن حاجاتنا ولا ريب ان افكارنا وحياتنا وحاجاتنا اليوم غيرها في زمن امرىء القيس فكيف نتقيد بلغة وهي قاصرة عن هذه الافكار وهذه الحياة وهذه الحاجات فيجب ان ننتفض من هـذا الجمود وان ننهض باللغة الى مستوى تكون فيه صالحة لافكارنا منطبقة على حياتنا العصرية كافية لحاجاتنـا اليومية والا فعلى اللغة السلام » . ص٤٨

وما دمت بصدد اقوال الاستاذ الفقيد عن ادباء لبنان فلأنقل للقراء ما قاله في جمهرة منهم في كـتاب له عنوانه (نفح الطيب في الخطابة والخطيب) ألفه عندما كان معلماً للخطابة في (مدرسة الواعظين) في الاستانة ونشره فيها سنة ١٩١٧ فقد تعرض لذكر خطباء العرب من اقدم الازمنة حتى انتهى الى خطباء العصر فذكر السيد عبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي الشهير والشيخ عبد العزيز جاويش المصري ثم قال :

« ومن خطباء العصر الامير شكيب ارسلان وهو عربي قح من ذوي الفصاحة واللسن يتكلم بكلام الاعراب الاقحاح وقد برز في صناعتي المنظوم والمنثور وهو في كليهما ينسج نسيج البداوة على منوال الحضارة فترى في شعره وكتاباته جزالة البدوي ورقة الحضري وهل هو في كتابته ابرع منه في شعره او الامر بالعكس هـذا ما أتردد في الجواب عليه الآن لان الذي قرأته من رسائله واشعاره في الصحف السيارة قليل جداً بالنسبة الى ما فاتني ولم اره والحكم البات متوقف على استقراء ذلك واستقصائه . والامير شكيب من بيت رفيع العماد من امراء لبنان ويقال ان نسبه ينتهي الى النعمان بن المنذر .

ومن الخطباء الشيخ اسعد شقير وهو ذو بداهة فاق فيها على خطباء عصره فتراه اذا خطب مثجاً يقتضب الكلام اقتضاباً الا انه من جهة الفاظه لا يعد من المبرزين في الفصاحة وهو مع ذلك مكثار يكاد في كثرة كلامه يجنح الى الثرثرة وقد شهدت بعض خطبه في قسطنطينية وهو يحسن الخطابة بالتركية ايضاً كالعربية .

ومن الخطباء محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس وهو عـالم فاضل ذو بحث وتنقيب في العلم لا يجاريه فيه احد وهو من مشاهير الكتاب في هذا العصر بارع جداً في ترسله الا انك تحس في كتابته بشيء من الجفاف ووحدة السياق وذلك مغتفر في جنب مـا ترى فيها من السهولة وحسن الاتساق ومحمد كرد علي اول صـديق صادقته على الغياب اذ كنت اكاتبه وهو بمصر حيث كان ينشر



آخر صورة للرصافي أخذت في ٢٢ ايلول ١٩٤٤

مجلته المقتبس . ومن الخطباء الشيخ مصطفى الغلاييني صاحب مجلة النبراس ببيروت وهو معدود في العلماء والكتّاب والشعراء ايضاً الا انه لا يجيد في شعره كما يجيد في كتابته وله كتب ورسائل غير قليلة وقد اجتمعت به في بيروت الا اني لم اشهد شيئـاً من خطبه وقد أخبرت عنه انه مفوَّه يسيل غرباً في الخطابة .

ومن خطبـاء العصر فيلكس فارس صاحب جريدة لسان الاتحاد ببيروت وهو ذو قدم راسخة في الادب وهو خطيب و كاتب وشاعر لكنه في كتابته أعلى منه في شعره وهو ايضاً يجيد الترجمة من الفرنساوية الى العربية وقد اجتمعت به مرة في حلب فقرأ لي شعراً منثوراً للشاعر الفرنساوي فيكتور هوغو كان قد ترجمه الى العربية فاحسن فيه كل الاحسان وهو معدود من الخطباء المبرزين .

ومن الخطباء المبرزين في الخطابة الاديب الفاضل اسكندر العازار وقد اجتمعت به في بيروت وهو من الخطباء المشهورين في تلك الديار وهو اذا خطب يشوب كلامه ببعض الظرف والهزل وهو شاعر ايضاً . ومن خطباء تلك الديار الياس طراد العـالم الفاضل وكذلك ابراهيم الحوراني وانطون شحيبر وامين الريحـاني وبشاره الخوري صاحب جريدة البرق وداود مجاعص صاحب مجلة الحرية وغيرهم ممن لا اتذكر اسماءهم الآن وهؤلاء كلهم من لبنان وكلهم خطباء وفيهم الشاعر المجيد كبشاره الخوري والفيلسوف الحكيم كأمين الريحاني والكاتب البارع كداود مجاعص . »

وبين الرصافي والريحاني صلات وثقى قديمة فلما زار فيلسوف الفريكة العراق سنة ١٩٢٢ ونهضت البـلاد العراقية لتكريمه

وتقدير نبوغه ومنزلته في عالم الفكر العربي الحديث كان شاعرنا في طليعة المحتفين بالامين وقد نظم القصائد الحسان وانشدها في حفلات التكريم والخطابة للريحاني بينها شعر سياسي يصف نفسية الشعب العراقي في ذلك الظرف لا يزال يتغنى به العراقيون الى اليوم وكله مثبت في ديوانه المتداول وها انني اورد جانباً من خطاب الرصافي في الحفلة الكبرى التي عقدها « الحزب الحر العراقي » لتكريم الريحاني في بغداد وحضرها رجال الدولة وعلية القوم وكبار الادباء فخطب الرصافي مرتجلًا في هذه الحفلة وقال يصف الفيلسوف الكاتب اللبناني العظيم :

« ان المرء ليتحير اذا ما اراد ان يصف الشمس بمستوصف فلا يدري ماذا يقول فيها وهي طالعة بادية للابصار ساطعة الانوار ليس دونها غم ، هذا هو الشعور الذي اشعره واحس به تجاه وصف ضيفنا الكريم واديبنا العظيم السيد امين الريحاني ولا ادري بماذا افتتح الكلام في وصفه والثناء عليه أبأخلاقه وهي المثل الاعلى لكل فضيلة، ام بشيمه ومكارمه وهي آية اللطف تملك من جالسه او حادثه ام بعلمه وقد كثرت آثاره ام بادبه الغض وقد طبق صيته العالمين القديم والجديد . ليس الريحاني في حاجة الى المدح والثناء ، زرته قبل يومين وكان منحرف المزاج وجرى الحديث بيننا عن الحفلات التي تقام له فقال اني لا احب هذه الحفلات وكل ما يصفوني به هو نظر بعين الفضل ، فانا لا مزية عندي من ذلك . ان الريحاني فيلسوف عرف الحقيقة من نعومة اظفاره فهو لا يركن الى غيرها ولا يتغنى الا بها ولا يبكي الا عليها ولا يطوف البلاد الا شوقاً الى لقياها فهي غايته القصوى وامنيته العظمى في جميع اقواله واعماله . تعرفت بالريحاني قبل ثلاث عشرة سنة ولا انسى تلك الليلة التي بتها في داره ولو كان لي دار لتخليت له عنها . لكنه اعظم من ان يكرم بدار واذا لم ينزل في بيوتنا فله قلوبنا منزل، عواطفه تصغر بها البيوت ولا تسعها الا القلوب واني اشكركم باسم الادب واشكر رجال الحزب الحر على ما قاموا به من الحفاوة تجاه اديبنا العظيم وارجو ان ينتفع العراقيون بادبه انتفاعاً كبيراً وان يخلدوا لهم باكرامه ذكراً جليلاً فليحي الريحاني وليحي العراقيون الذين يكرمون الريحاني »

وقد كتب امين الريحاني عن الرصافي في كتبه التي ألفها عن رحلاته ما خلده على وجه الزمن فعقد عنه فصلًا شائقاً في كتاب (ملوك العرب) تحدث فيه عن ادبه وفلسفته في الحياة وشعره وتحرره العقلي وجرأته وعاد فكتب عن نابغة الرصافة دراسة تحليلية عميقة لشعره ونزعاته وآرائه ثم نظرات في كتابه المخطوط الذي ألفه في سيرة « النبي العربي » الكريم وكان الفيلسوف قد زاره في معتكفه في الفلوجة وقرأ عنده جانباً من مسودة المؤلف فدون في كتابه الطريف « قلب العراق » بحثاً عنه واودعه من مكنون مواهب الرصافي ما ستتدارسه الاجيال المفكرة على الايام وان كان الشاعر العراقي بتأثير اللغط الذي احدثه البعض هنا وهناك حول ما نقل الكاتب من احاديث صديقه الرصافي تسرع فنشر كلمة في جريدة بغدادية جاء فيها : « لقد اجتمعت بالريحاني عدة مرات في ازمان مختلفة ومجالس مؤتلفة وغير مؤتلفة تجاذبنا فيها اطراف الاحاديث من كل نوع ولا اتذكرها اليوم لمرور الزمان ولاختلال ذاكرتي بالنسيان فانا من هذه الناحية لا استطيع ان اناقشه في صحة تلك الاقوال التي اسندها الي ورواها عني في كتابه « قلب العراق » ولكني الآن استطيع ان انفي نفياً باتاً صحة كثير مما رواه في كتابه المذكور بدليل ان تلك الاقوال لو قاله اليوم احد غيري لانكرته عليه اشد الانكار اذا فكيف اقول للريحاني ما انكره لو قاله غيري » .

وما ابدع تعليق الامين على ما بدر من معروف فقد ابتسم وقال : اردت تخليده فأبى الان يذكر هذا بجانب اقوالي عنه هذه الملمة بالصلات بين شاعر العراق وادباء الشام والجبل اوردتها بصدد مصابنا الجلل به اليوم ولا بد لنا من عودة الى هذا الموضوع المتصل بتاريخنا الادبي المعاصر .

بغداد — رفائيل بطي



الرصافي مسجى على فراش الموت في داره ببغداد

البحر

عجبتُ للبحر يطغى ثم ينقبضُ … وصــدره ابداً يعلو وينخفضُ

اذا تجمــد وارتجت طرائقه … تخــاله مقشعر الجلد ينتفض

تراه من نسمات الريح ان خطرت … ينأى بجانبه تيهــاً ويمتعض

•

وموجةٍ تلو اخرى ظل يرسلهــا … تحبو وتنزو وتكبو ثم تنتهض

تنــداح او تتلوى وهي جاريةٌ … وتستقيم على سمتٍ وتعترض

تلوث اذيالهــا طوراً وتسحبها … طوراً على الرمل اذ تهوى وترتكض

تريك وهي على الاعقــاب ناكصةٌ … مخالب الليث عن ملساء تندحض

شتى الهوى لم تنل من مسلك غرضاً … حتى يكون لهــا في غيره غرض

كراً وفراً ومثل النوط ذبذبةً … بين التضاريس او كالزق يمتخض

•

احذر من البحر لا تغررك هدأته … ولو تماوت حتى مــا به نبض

يرغو ويزبد هداراً ومصطخباً … ويزبئر وقــد ينزو وقد يفض

ترى الجبــال اذا جاشت غواربه … تسمو وتجري وتهوي وهي تنتقض

تقنع الافق لمــا ثار من فرقٍ … وظل يرعــد من ذعر ويرتمض

والشمس خلف اهاضيب السحاب لها … عين على وجل ترنو وتغتمض

تستصرخ الريح اذ ضلت مدارجها … فيه فيهدي خطاهــا البرق اذ يمض

والارض واجفة ممــا تحاذره … منه على مضضٍ مــا مثله مضض

•

جارى السماء باطراف له رحبت … لا النقص يدركها يوماً ولا الحرض

فهل رأيت حمىً كالبحر ذا سعةٍ … لا يستباح وملكاً ليس ينقرض

لولاه مــا نشأت سحب ولا هطلت … مزنٌ فمــا منه حتى بالسما عوض

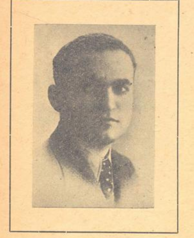
فالارض لو كنت تدري والسماء معاً … كلتاهمــا منه تستجدي وتقترض

مــا بدلت يدُ انسان محاسنه … ولا أقــام على أثباجه عرض

من لم تكن نفسه بالبــأس تمنعه … فليس يعصمه حصن ولا ربض

دمشق … خليل مردم بك

العدل في نظر الشعب والقضاء



بقلم الدكتور صبحي المحمصاني
رئيس غرفة في محكمة الاستئناف ببيروت



التباين في اوجه النظر

ان كلمة العدل كلمة عذبة رنانة ، هي من تلك الكلمات الخالدة ، التي عرفها القدماء منذ اقدم العصور ، والتي لا تزال دائماً وابداً رمز النظام والحق في الحياة الاجتماعية . الا ان هذه الكلمة السحرية الغالية اختلفت اوجه النظر اليها ، فخصها رجال القضاء بمعنى اصطلاحي معين ، لم يرض عنه رجل الشعب في كثير من الاحيان . اذ ليس من النادر ان نسمع احتجاج بعض الناس على المحاكم ، كيف تحكم على زيد مع ان الحق بجانبه ، وكيف لا تحكم على عمرو مع ان الحق عليه .

ولا ريب في ان التباين بين عدل الرأي العام وبين عدل القضاء من الامور الظاهرة ، التي نلمسها حتى في ارقى بلاد العالم . فلا بد اذاً من ان يكون لهذا التباين اسباب حقيقية ، هي التي احاول ان اوضحها في هذه الكلمة السريعة ، وان اقدم بعض الامثلة لتفسيرها . وعسى الا تكون كلمتي جافة لا يستسيغها القراء الكرام .

وقبل ذلك ، أنبه الى اني لا اقصد بالشعب الفئة العامية منه ، تلك التي كثيراً ما تنتقد القانون لانه يفوق درجة فهمها ويتعدى غريزتها البديهية . بل انما اقصد اهل الطبقة المتوسطة الذين يملكون ثقافة عادية وتمييزاً وسطاً . وكذلك فانا لا اعني بالقانون ما يكون منه جائراً من اصله ، لا يرتكز على حكمة عادلة او مصلحة صائبة ، بل احصر البحث في القانون المعقول المقبول عند اهل الذوق السليم .

اسباب هذا التباين

وبعد ، فمعلوم ان القانون مبدئياً لا يمكن ان يوضع لشخص معين او لاشخاص معينين . بل هو قاعدة عامة يطبق في حالات معينة على جميع الناس .

وليس من ينكر ما لهذه الصفة العامة من فوائد اجتماعية . واول هذه الفوائد واظهرها ولا شك هي تلك المساواة بين افراد الرعية بحيث لا يبقى امام القانون من تفريق بين حسيب ووضيع وبين قوي وضعيف .

ولصفة القانون العامة فائدة اخرى ، هي استقرار الحقوق والواجبات ، اذ يكون بامكان الناس جميعاً ان يطمئنوا الى النتائج القانونية

التي تترتب على اعمالهم دون ان يكونوا في ريبة او تردد ، او ان يكونوا تحت رحمة القاضي واهوائه .

الا ان وجود الصفة العامة للقوانين – الى جانب هذه الفوائد التي لا شك في اهميتها – يستتبع سيئة لا مفر منها . وهي الجمود الصارم الذي يقيد القاضي احياناً ولا يجيز له ان يتصرف في تطبيق الاحكام القانونية وفق العدل المثالي . بل يلتزم بتطبيق هذه الاحكام ، ولو رأى ذلك قاسياً بالقياس الى بعض الظروف الخاصة .

وايضاح ذلك ان بين الناس معاملات عديدة ليست جميعها من ضرب واحد . فالمشرّع يحدد حكمها بوجه عام دون ان يكون هذا الحكم شاملاً لجميع ضروبها . ثم كثيراً ما تحدث في الواقع قضايا جديدة او دقيقة لا يوجد لها حكم خاص في القانون . فيضطر القاضي فيها الى تطبيق القانون العام ، دون ان يتمكن من تكييفه وفاقاً لتلك الظروف الخاصة . فيصدر حكمه حينئذ بوجه يبدو مخالفاً لقواعد الانصاف التي يفهمها كل فرد من افراد الشعب . فتكون النتيجة ما نراه احياناً من فارق بين العدل في نظرهم والعدل في نظر القانون .

واضف الى جمود القانون وصفته العامة سبباً آخر لهذا الفارق بين العدل القضائي والعدل الشعبي . وهذا السبب هو القاعدة ان الجهل بالاحكام القانونية ليس بعذر ، او هو بعبارة اخرى القرينة التي يفرضها القانون في الناس بانهم عالمون باحكامه ومداركه . ومعلوم ان القانون كثيراً ما يصعب فهمه على اربابه ، فكيف بغير اربابه من سواد الشعب ؟ وكيف بمن كان منهم امياً ؟

نعم ان القانون يطبق على الناس مبدئياً ولو لم يعرفوه ، لان عليهم واجب معرفته . ولكن ما اكثر الاحوال التي يهمل الناس فيها هذا الواجب ! وما اكثر ما يكون الحكم عليهم قاسياً بسبب اهمالهم هذا ! ثم ينتج من كل ذلك ان القانون يبدو غير عادل في نظرهم ، مع انه العدل كل العدل في نظر القانون نفسه وفي نظر رجال القانون .

فاذاً ، ان احوال الفرق بين العدلين واقعة ، كثيرة الوقوع . وهي تمثل لنا كيف يمكن احياناً ان ينقلب الافراط في التمسك بالقانون الى نتيجة معكوسة ظالمة ، وتفسر لنا معنى ما جاء في القول الروماني المأثور : « ان منتهى الحق هو منتهى الظلم » .

ففي هذه الاحوال ، اذا كان رجال القانون يرون ان تطبيق القانون يؤدي الى الحكم بالعدل والى احقاق الحق ، فان الشعب ينظر الى ذلك نظراً مختلفاً ، ويعتقد انه لا يفي بغايته من الانصاف والعدل الحقيقي كما يفهمه كل امرئ بغريزته ، فيحمل عليه وينتقده باصرار ومرارة . واليك فيما يلي امثلة عديدة تثبت هذا التباين في النظر وتوضحه ايضاحاً وجيزاً .

مرور الزمان

تنص كثرة القوانين على انه اذا مرت مدة معينة من الزمان على حق ما دون المطالبة به يسقط ذلك الحق او على الاقل لا يجوز لصاحبه اقامة الدعوى به لدى المحاكم . وحكمة ذلك ان المشرّع اراد قطع المنازعات ، وعدم التعرض للحالات الراهنة القديمة « بابقاء ما كان على ما كان » وافترض ان سكوت صاحب الحق طويلاً يحمل على الاقرار بوصول حقه اليه ، او يحمل على التنازل ، او يعد على الاقل اهمالاً يستحق اهمال القانون . هذا الى ان طول الزمان يسبب صعوبة الفصل في القضايا القديمة ويصطدم بضياع الادلة او تعذر الحصول عليها . فلكل هذه الاسباب او لغيرها من نظائرها وضعت قاعدة مرور الزمان في معظم القوانين .

هذا بوجه عام مقبول معقول . ولكنه في بعض الاحيان يبدو خلاف ذلك . مثاله : لنفرض ان طبيباً في لبنان عالج احد المرضى وتساهل معه في طلب الاجرة اكثر من سنتين احساناً اليه ورفقاً به ، ثم ان المريض انكر الجميل ، ولما اقيمت عليه الدعوى انكر الدين ايضاً وادلى بعدم سماع الدعوى لمرور الزمن القانوني ، وهو سنتان في القانون اللبناني، فعندئذ على القاضي ان يرد الدعوى اذا توافرت شروط مرور الزمن . ويكون حكمه عادلاً في نظره ، لانه موافق للقانون .

ولكن لو سئل اي شخص من افراد الشعب عن رأيه في الحكم ، فانه يقول بعكس ذلك ، لانه يرى فيه الطبيب الطيب الذي احسن الى المريض ولم يحرّج عليه بالمطالبة ، يرى هذا الطبيب يخسر حقه جزاء حسن صنيعه ، ويرى المريض من جهة اخرى ينتصر عليه بالكذب ونكران الجميل . هذه حوادث خاصة تقع احياناً ، وتكون ضحية صلابة القانون ، الذي وضع بصورة عامة ، لحكمة هي معقولة في غالب الاحيان .

احكام البينات

في معظم القوانين احكام خاصة بالبينات او باصول اثبات الحقوق لدى القضاء . مثاله : جاء في المادة الـ ١٥٣ من قانون اصول المحاكمات المدنية اللبناني ان الدعاوى الحقوقية التي تجاوز قيمتها خمساً وخمسين ليرة لبنانية سورية لا يجوز اثباتها في الاصل بشهادة الشهود . وبعبارة اخرى تستوجب هذه القاعدة ان يحتاط الدائن فيأخذ سنداً خطياً من مدينه لاجل اثبات دعواه عند الاقتضاء .

وحكمة هذه القاعدة انه في الدعاوى الكبيرة يخشى ان يستهوي الطمع بعض ضعاف النفوس فيشهدون زوراً . فكان من الطبيعي ان يشك في الشهادة ، وكان من حسن سير العدالة ان توضع القاعدة التي قدمناها .

ولكن هذه القاعدة وما كان من نوعها لا تخلو احياناً من سيئات . فلو ان عمراً اقرض زيداً مبلغاً كبيراً من المال دون ان يأخذ منه سنداً خطياً بذلك ، لجهله القانون او لاعتقاده ان زيداً رجل امين لا ينكر ما بذمته ، ثم لو ظهر ان اعتقاده كان خطأ ، فانكر زيد الدين وحلف اليمين على براءة ذمته ، فعلى القاضي عندئذ ان يرد الدعوى .

والحكم يكون هنا عادلاً في نظر القانون ورجاله . ولكنه في نظر الشعب يكون على خلاف ذلك ، بل يكون ظلماً واي ظلم . وسبب ذلك كما قلنا ان القانون لا يعذر من كان جاهلاً باحكامه ، ولم يجعل لزيد او لعمرو فحسب ، بل جعل عاماً لجميع الناس والاحوال .

القواعد الشكلية

من المعاملات فئة اوجب القانون لصحتها صيغاً شكلية خاصة يجب اتباعها تحت طائلة الابطال . ومن هذه المعاملات في بعض القوانين العقود العقارية والوصية وعقد الزواج وغيرها . وسبب ذلك يعود الى اهمية تلك العقود من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية .

فلو باع احد عقاره الواقع في بيروت وقبض الثمن دون ان يسجل البيع في السجل العقاري ، ثم باعه من شخص آخر حسن النية وتسجل البيع الثاني حسب الاصول ، ففي نظر القانون والقضاء يعتبر البيع الاخير صحيحاً وحده ، ويعتبر الاول باطلاً لا مفعول له . ولكن في نظر الشعب الذي يجهل تفاصيل القانون يبدو هذا الحكم قاسياً على المشتري الاول الذي اتفق مع البائع ونقده الثمن قبل المشتري الثاني . ولكن اهمل قيد شرائه قبله في السجل العقاري . فهذا التأخير وحده يجعل شراءه دون اثر قانوني .

ومثل آخر : لو ان احد اللبنانيين غير المحمديين اراد ان ينظم وصية خطية دون ان يشهد عليها اربعة شهداء وان يسجلها عند الكاتب العدل او امام رئيس المحكمة او الرئيس الروحي ، فوصيته باطلة عملاً بقانون الوصية لغير المحمديين الصادر في ٧ اذار سنة ١٩٢٩ . فلو حصل خلاف بعد وفاة الموصي بين الموصى له وبين الورثة ، فالقضاء يحكم بعدم نفاذ الوصية قانوناً . وهذا عدل في عرفه . ولكن هل ان جميع من يسمع بمثل هذا الحكم يكون مرتاحاً اليه ؟ وهل اننا لا نصطدم باحتجاجات الكثيرين الذين يتساءلون عما نفعل بمشيئة المتوفى المقدسة ؟؟

ان القانون ينص بصورة عامة على صور معينة لبعض العقود حسماً للنزاع الذي يمكن حصوله ، ولكن كثيراً ما يذهب جوهر العقد ضحية لهذه الشروط الشكلية . فينظر الشعب الى ذلك متسائلاً ، ويعجب كيف يؤثر الشكل الخارجي المطلوب على روح العقد وحقيقته وكيف ينبذه بدون رحمة ولا هوادة . فتكون النتيجة مرة اخرى هذا التباين بين العدل في نظر الشعب والعدل في نظر القضاء .

قوة القضية المحكمة

اذا اقيمت دعوى امام القضاء مرة اولى ، ففصلت بصورة نهائية مبرمة ، ثم تبين فيما بعد ان الحكم مغلوط من اساسه ، فهل يجوز تصحيحه ؟ لا يجوز ذلك في عرف القضاء بوجه عام ، اذ ان قاعدة القضية المحكمة تمنع سماع الدعوى مرتين قطعاً للمشاكل .

فهل يستوي العدل القضائي والعدل الشعبي في مثل هذه الحالة ايضاً ؟.

النظام الدستوري القائم

في كل بلد من بلاد العالم المتمدن قوانين اساسية جعلت دستوراً للنظام القائم فيها . وهذه القوانين تساندها عادة تدابير مختلفة ، ومنها قوانين قمع الجرائم المخلة بالامن العام وغيرها .

الا ان هذه الدساتير وهذه التدابير ، التي وضعت في الاصل لاجل صيانة الحياة العامة وتأمين الاستقرار الاجتماعي وحماية الحريات العامة ان هذه القوانين والتدابير نفسها طالما اتخذت ذريعة لخنق الحريات التي نقصد الى حمايتها ، وطالما اتخذت سلاحاً لخنق اصوات المعارضين السياسيين الابرياء ، وطالما كانت وسيلة لارتكاب المهازل والمظالم واعمال التعدي .

هذا كله عدل وقانوني في نظر رجال الحكم والقضاء . لكن اين عدل الرأي العام ، واين عدل التاريخ ؟ وهل تفهم الفئة المعارضة من الشعب لماذا لا يسمع صوتها كما يسمع صوت اخصامها ؟ وهل من السهل افهامها ان رأيها محظور ابداؤه لانه ضد النظام ، وان رأي الموالين مقبول لانه موافق للدستور ولرأي اولي الامر ؟؟

الخلاصة

يوجد من اشباه الامثلة التي مرت طائفة كبيرة . ولكني لا اريد ان اتبسط فيها ، لئلا اخرج عن موضوعي الاساسي . ولم اقصد بما قدمته منها الا الى الاستدلال بان العدل في نظر القانون والقضاء كثيراً ما يكون على خلاف العدل في نظر الشعب .

والسبب الرئيسي في ذلك يرجع كما اسلفت الى ان القوانين لم توضع لحالات خاصة ، بل وضعت عامة لحالات عامة . وان الحكمة من وضعها ، وان كانت معقولة على العموم ، قد لا تصيب في بعض القضايا الاستثنائية . ثم ان هذا القانون العام يفترض الناس جميعاً عالمين به ، فلا يعذر من يدعي الجهل به ، فيقع بعضهم فريسة لهذه القرينة القانونية .

ومعلوم ان معرفة سبب الداء لا تكفي لازالته ، بل لا بد لهذا من معرفة الدواء . فهل من سبيل الى ذلك ؟ وهل يصبح العدل واحداً في نظر الناس والقضاة جميعاً ؟

لا ريب في ان التقريب بين النظرين ممكن . فالامتناع الكلي عن اصدار القوانين الجائرة ، وعدم الالتجاء الى القوانين الاستثنائية الا في احوال الضرورة القصوى ، والسعي لتغيير القوانين وفاقاً لمقتضيات تقلب الاعصار واختلاف الامصار بوجه تدريجي يساير تطور المجتمع واستعداد اهله الى ذلك ، ثم رفع مستوى الشعب الثقافي والاخلاقي بحيث تسود النية في المعاملات ويتعرف الناس الى بعض واجبات القانون العادية فيحتاطون لها ، واخيراً انتقاء الحكام من ذوي الضمانة والكفاءة ، كل هذه الوسائل والاحتياطات وما اليها تقرب القانون من العدل الطبيعي الحقيقي وترفع كفة العدل الشعبي وتقربه كثيراً الى صنوه العدل القانوني .

غير ان هذه الوسائل جميعاً لا تكفي لمنع وجود الفارق الذي نحن بصدده ، لانها لا تزيل سببه الاساسي ، وهو صفة القانون العامة . ولقد رأينا فوائد هذه الصفة وضرورتها في المعاملات . فان القوانين ، وهي بطبعها لا تكون الا عامة ، اذا كانت لازمة للحياة الاجتماعية ، فلا بأس من تحمل سيئاتها . وليست سيئات القانون العام وحيدة في هذه الحياة . أفلا يجر الجهاد في سبيل الوطن وفي سبيل الدفاع عن كرامته وسلامته ويلات تهون امامها كل ما عداها من الويلات ؟

فاذا كان « لا بد مما ليس منه بد » ، واذا كان هذا هو المجتمع وهذه هي منافعه واخطاره ، واذا كنا لا نقدر على اتقاء هذه الاخطار وتجنبها ، فنحن قادرون بلا مراء على تقليل اسبابها وتخفيف ضررها . هذا كل ما نرجوه وما ينبغي ان نقصد اليه . وان ذلك لمن دلائل الرقي والتمدين .





الحيـــاة الادبية في فلسطين

بقلم الدكتور اسحق موسى الحسيني



ان أظهر مساوىء التـاريخ القديم اعتماده في تاريخ الحياة العامة على الحياة السياسية باضيق معانيها . ولذلك لا يجـد المطالع في كتب التاريخ سوى اشباح لامم سالفة . فمعالم الامم ، او اعراقها النابضة بالحياة ، تكاد تكون مخفية عن الانظار .

وقد يكون من التعسف محا كمة المؤرخين المتقدمين بالمقاييس الحديثة . فقد فهموا التاريخ قديماً على انه خلفاء وملوك وامراء . ويفهمه المحدثون اليوم على انه ظاهرات سياسية واقتصادية واجتماعية وادبية تشمل الحكام والمحكومين على السواء . والعنصر السياسي انما هو خيط من جملة خيوط يصنع منها هذا النسيج الذي يسمى تاريخاً . وعلى ذلك فانه من أشق الامور على مؤرخ الحياة الادبية اليوم ان يعود الى تلك العصور القديمة ليبحث عن خييطات تصلح لان يصنع منها نسيج عام جدير بالعرض .

وقد وهم بعض الناس ان هذا القطر الصغير بمساحته وعـدد سكانه ، الكبير بمقامه الديني والسياسي ، لم ينتج ادباً في العصور الخوالي . وهو وهم تنقضه طبيعة الحياة بقدر ما ينقضه الواقع .

فمنذ الفتح الاسلامي الى يومنا هـذا والادباء يتعاقبون بلا انقطاع . ولكن هناك ثلاث حقائق يجب ان تذكر :

الاولى : ان فلسطين لم تكُ وحدة مستقلة في عصر من العصور لقد كانت جزءاً من تلك الرقعة الواسعة التي تعرف « بديار العرب» ولم يستقل بحكمها امير كما حدث في بعض الاقطار . فهي امـا متبوعة واما تابعة .

الثانية : انها لم تكُ مركزاً لخليفة او سلطان مدة طويلة من الزمن حتى يجذبا اليها الشعراء والكتاب ، او يحفظا المواهب الادبية في بيئتها ، ويحولا دون انتقالهـا الى بيئات اخرى . وفي فترتين قصيرتين كانت فلسطين او على الاصح – الرملة وبيت المقدس – عاصمتين لديار العرب كلها . ولكنّ تينك الفترتين كانتا اقصر من ان تتيحا للحياة الادبية ان تزدهر في فلسطين نفسها .

والثالثة : ان البلاد لم تشهر بالرخاء الاقتصادي ، بله الترف ، الذي نعمت به العراق والشام ومصر والاندلس

فليس عجيباً بعد هذا ان يتوجه ابناؤها الى مراكز السلطان والرخـاء يتلمسون الدواعي لفتق المواهب . فكشاجم الرملي (المتوفي في حدود سنة ٣٥٠ هـ) يتنقل بين الرملة وحلب وبغداد والقـاهرة . وابو اسحق الغزي (المتوفي في سنة ٥٢٤ هـ) يجوب

بلاد المشرق متنقلاً بين دمشق وبغداد وخراسان وكرمان وبيوت في بلخ . والقاضي الفاضل البيساني العسقلاني (المتوفي سنة ٥٩٦ هـ) يستقر اكثر عمره في القاهرة . وهكذا شأن من وليهم من الاعلام ، كابن حجر العسقلاني ، وصلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدي ، وغرس الدين الخليلي ، ومرعي الكرمي ، وعبد الغني النابلسي ، وروحي الخالدي المقدسي .

ولقد ساهم هؤلاء مساهمة كبيرة في التراث الادبي العام . فكشاجم الرملي من شعراء العرب المتميزين بوصف الطبيعة . وابو اسحق الغزي ذو نفس شعري رفيع يسمو به في كثير من الاحيان حتى يلحق بالمتنبي . والقاضي الفاضل البيساني ناثر من الطبقة الاولى وذو مذهب خاص في الادب العربي . وحسبه فخراً انه وطد سلطان صلاح الدين بقلمه كما وطده المجاهدون بسيوفهم ، وهو شاعر ايضاً ، وان كان شعره اقل شهرة من نثره . وصلاح الدين خليل الصفدي ساهم في تكوين جانب من التراث الادبي المعروف « بالتراجم » علاوة على دراساته اللغوية والادبية .

اما الشعراء والادباء الذين لم يغادروا بيئتهم فكثرة لا تحصى ولكنا لا نجد بينهم من يلحق بأولئك الاعلام الذين آثروا الرحلة على البقاء ، واثقين بانفسهم ، معتزين بادبهم ، وجلهم من طبقة الفقهاء الذين كانوا يتملحون بالادب ، ويؤدون عملاً محدوداً في المدارس او المساجد او القضاء ، لغلبة الدين على النفوس ومقام البلاد « المقدسة » .

والنهضة الحديثة بدأت متأخرة في فلسطين، ويتطرف بعضهم فيؤرخها من سنة ١٩٣٩ ! ولكن الواقع ان التربة الفلسطينية تحتوي في بطنانها على بذور كريمة سيكون لها شأن اي شأن . ويوم تنقشع تلك السحب الكثيفة من سماء هذا القطر العربي العزيز سيصل الى اجواء البلاد العربية أريج ذكي فيه نفحات الفكر النير والشعور الرقيق ، والذوق الانيق .

لقد عاش الشاعر المرحوم ابراهيم طوقان في قفص ، ولكن تغريده وصل الآذان في كل قطر عربي ، ويعيش اليوم كما عاش ابراهيم عشرات من الشعراء والكتاب تلزمهم ظروف الحياة — وما اقساها واكثرها ! — ان يؤثروا العافية ، ولكنهم لم يكسروا مغازلهم ولم يقنطوا من رحمة الله . . وان دلّ تسترهم على شيء فانما يدل على ان تحت الرماد وميض نار .

والادب المنثور الذي ظهر في ربع القرن الاخير هو أدب « مقالات » اكثر منه ادب « مؤلفات » ونكاد لا نجد بين جميع الكتب كتاباً ادبياً فصّل فكرة او مذهباً ، او على الاقل أرّخ جانباً من الحياة الادبية في عصر من العصور ، او حلل ادب علم من اعلام الادب في البلاد ، وكان ذا وحدة متماسكة الاجزاء .

وأدب المقالة هذا خليط من نزعات متباينة ، فنزعة الى القديم، واخرى الى الجديد . ونزعة الى النقد اللغوي ، واخرى الى النقد الاجتماعي الرفيق ، وبين هذا وذاك نفحات ادبية أصيلة تعبر عن مرارة في اعماق النفس او حزن لاذع لفقد زوج .

وهذا الادب بكامله ابعد من ان يمثل « مدارس » او نزعات ادبية او اجتماعية عامة . فهو ادب فردي : يتأثر بحادثة « فردية» ويعبر عن عاطفة « فردية » ويمثل اسلوباً « فردياً » ، وربما كان فقدان الحلقات الادبية ، او التوجيه الادبي ، السبب الرئيسي لذلك ولعل المحنة التي تجتازها البلاد علة العلل جميعاً .

اما الشعر الذي سما به ابراهيم طوقان — بفنه وجرأته واستقلاله — الى مرتبة غير مسبوقة في تاريخ البلاد الادبي الحديث ، فموزع اليوم بين طائفة من شعراء الشباب ، وتغلب عليه مسحة الجد والحزن ، وهي من آثار الاتجاه الصادق نحو الشعر الحق . وكل مسحة خلافها من آثار الصنعة فالحياة الاجتماعية في البلاد لم تتطور حتى تصبح ملهمة للشعراء فنوناً جديدة من الشعر الاجتماعي الحي . والشعر العربي الحديث عامة ابعد من ان يبلغ ما بلغه الشعر القديم من استهواء القلوب ، ولا بد له قبل ان يبلغ ذلك من التجارب الشخصية ، ومن الصلة الوثيقة بالمجتمع ، ومن صدق الشعور واتقاد الذهن ، واخيراً من الحرية الواسعة وفراغ البال ، وربما كانت بيئتنا أقل البيئات حظوة بهذه العوامل الاخيرة ، ولذلك لا نعجب ان استأثر بامارة الشعر قطر عربي آخر .

وهنالك ظاهرة عامة تبشر بالخير في مستقبل الادب . وهي ان النشء الحديث يتجه اليوم نحو ثقافة عميقة توسع افقه وتنور فكره وترهف حسه ، فهو ينهل من الادب الغربي نهل الصديان . وان تيسر لهذا النشء ان يوجه للادب العربي القديم ما يستحق من عناية ، وان يعلم انه بمنزلة الاساس في بنائه الادبي ، وان تطورت الحياة الاجتماعية في وقت نضوج مواهبه الادبية ، حق لنا ان نشهد ادباً يجعل كل ادب ظهر في ربع القرن الاخير في مرتبة البدايات الاولية . وانا لنتمنى على الله ان يبزّ اللاحق السابق، وان ينسخ الحديث القديم ، كي نطمئن الى ان حياتنا وادبنا سائران قدماً في طريق الرقي والازدهار .

القدس — اسحق موسى الحسيني

من اعماق العبودية

بقلم عبد اللطيف شرارة

★

هناك نفوسٌ حبيبة الى النفوس ، دانية قطوفهـا من القلوب ، فلا يكاد المرء يتصل بها من بعيد او من قريب ، حتى تثير فيه كوامن العواطف ، وتوقظ به رواكد الخواطر . وما هي الا لحظات قصيرة من تاريخ ذلك الاتصال الا وتعيده خلقاً جديداً ، يعيش في دنيا جديدة ، تبدلت بها معالم الارض والسماء ، واتسعت باضوائها اقطار الوجود ، وتفتحت على اجوائها مغاليق الحياة . فهي من صفاء اعماقها في جنة وارفة وسمو احساسها في سدة عالية ، وقوة تفكيرها في ابراج محصنة .

تعال وخضِ الان غمـار النعيم المشرق حول تلك النفوس ، وشارف اكوانها العبقرية ومتع روحك بما يفيض عنهـا من حب وطهارة ، تجـد وراء هذه المتع الغناء ركاماً من الآلام المضنية والمصائب المحرقة والفجائع المشجية ، وتحسّ ان خلف هذه الحلاوة الشائعة في حديثها وبيانها وافكارها مرارة يقصر عن وصفها التعبير ويحار في تكييفها التفكير !

وههنا موضع العبرة ، وهنـا معين الاعتبار ، فانك — وانت تتعجب مأخوذاً بسحر النبوغ ، ساجاً في المؤتلق النـاعم العابق بالرياحين — لا تفتر عن التبصر بما تشعره ، ولا يغنيك الاعجاب شيئاً عما تريد ان تفهمه ... ولن تفهمه ! حتى اذا بلغ بك الاعيـاء مبلغه ، واطمأنت بك النفس على شكل من الاشكال لم يبق امامك الا ان ترجع بفكرك الى من هو على كل شيء قدير .

غير ان العبرة الكبرى لا تتمثل ، على اقوى مـا يمكن ان تتمثل ، في عبقرية رجل كبيتهوفن الذي اسعفته انكلترا فاستطاع ان يعيش ايامه الاخيرة ، ولا في حياة تولستوي الذي كان من قبل « كونتاً » وافر الثروة ، ولا في ذلك المارد الجبـار ميكلانجلو الذي كان في فسحة مالية من فنه لو اراد ، وانما العبرة كل العبرة في نمط من المخلوقات كانوا «عبيداً» ارقاء ، نشأوا على الرق وخلفوا الدنيا وهم احرار . خلفوها تتطلع اليهم ، وتتمنى بقاءهم ولات بقاء !

وها انا أنقل اليك حديث ثلاثة من اولئك « العبيد » كان كل واحد منهم عالماً قائماً بذاته ، وما زلنا نحن « ابناء الست » الى يومنا هذا نقتات من موائدهم ، ونستلهم مواهبهم !

— ١ —

الاول فيلسوف !

وهو « أبيكتاتوس » اليوناني . عاش في القرن الاول للميلاد وعمّر طويلاً ، بيد ان تاريخ ولادته كتاريخ وفاته لا يزال مجهولاً ولكن من المؤكـد انه ولد في مدينة « هيرا بوليس » في الجانب الجنوبي — الغربي من مقاطعة « فريجيا » الاغريقية . وقد جيء به وهو يافع الى روما ، ولزم بها خدمة « ايبافروديت » احد حاشية الامبراطور « نيرون » ومعنى اسمه باليونانية « مملوك » وعرف طيلة حياته بهذا الاسم ، ولم يعرف ان له غيره ، مما يثبت رساخة اصوله في الرق . غير انه استطاع اثنـاء استرقاقه ان يتتبع محاضرات الفيلسوف الستوئيكي « ريفوس » فجاء فيما بعد افضل من مثّل الفلسفة الستوئيكية ، حتى انها تشرفت باسمه ولم تتضح عظمتهـا الا في شخصه . وكان المسكين ذا صحة دائمة الاعتلال ، مضافاً الى عرَجِهِ الشديد

اعتقه سيده في اواخر حيـاته ، وما كاد يحصل على حريته حتى اصدر الامبراطور « دوميطيان » أمراً بنفي جميـع الفلاسفة من روما ، فاضطر أبيكتاتوس ان يتوارى عن الانظار واخـذ يتنقل في الارياف على عصاه ، وانتهى به الطواف الى نيكوبوليس جنوبي مقاطعة « آبير » حيث جرت على مقربة منه معركة أكتيوم بين انطونيو واغسطس قيصر . وهناك قضى نحبه غريباً مشرداً

لم يطعم من حيـــاته غير الجوع والهون اذ لم يؤثر انه تزوج او كتب شيئاً .

ومع ذلك ، فقـــد كان ذا شخصية عظيمة ، صمت الى منزلة ذابت أمامها شخصية كل امبراطور ، فلم يكن يحتك ببشري مثله الا ويلهبه الهاباً بما يلقي اليه من روائع الحكم ، وقواعد الاخلاق وصائب الامثال ، ممـــا جعل تلميذه « فلافيوس آريان » مؤرخ الاسكندر الكبير ان يجمع اقواله واحاديثه وينشرها على الناس فبلغت ثماني مجلدات لم يبق منها غير اربعة . وجـــاء بعد فلافيوس رجل آخر يدعى « ساميليسيوس » ولخص تلك المجلدات في كتيب ضمنه أهم ما فيها .

ويكاد الفلاسفة القدماء والمحدثون يجمعون على ان تلك الآراء الفلسفية هي أسمى وأغنى وأقوى ما أنتجه العالم القديم في دنيـــا الاخلاق والسلوك العملي ، ولا تجد فيهم من يرتاب بان ابيكتاتوس كان اقوى مفكر عرفته العصور السالفة .

تتلخص تلك الفلسفة في مبدأين هما : « تحمل ... وتماسك » ومعنى ذلك : ان عليك ان تتحمل كل ما هو خارج عن ارادتك ، لا لشيء ، الا لانه خارج عن ارادتك ، فلا معنى للجزع من الموت والمرض والفاقة والاضطهاد طالما ان هذه الاشياء تجري قسراً عنك وليس لك فيها يـــد او حيلة ، ولا معنى للرحمة ، لان المصيبة التي يصاب بها صديقك او قريبك ، لم تحدث الا وفق قوانين طبيعية ثابتة لا سبيل لتحويرها او الانتقاص عليها . وعليك ايضاً ان تظلف نفسك عن جميع الرغبـــات وان تتماسك في حومة المغريات ، فلا تستنزلك المسرات واللذائذ والامجاد الى حيـــاة حيوانية مرذولة فاذا تحملت وتماسكت وقفت جنبـــاً لجنب مع « الآلهة » ! ... هذا ان لم تتفوق عليها !.

— ٢ —

والثاني أديب !

وهو ياقوت ... ياقوت الحموي وليس غيره ، وهو مؤلف « معجم البلدان » اكبر موسوعة جغرافية عند العرب ومؤلف «معجم الادباء» اكبر قاموس حفظ تاريخ المؤلفين الاسلاميين ، ومؤلف غيرهما من الكتب الهامة ، فقد كان هذا الرجل « عبداً » رومياً اشتراه تاجر بغدادي اسمه « عسكر » ووضعه في مدرسة ابتدائية آملاً ان يستفيد من تعليمه بعد ان يكبر . ولم يخيب ياقوت أمل سيده فدرس النحو واللغة ، وما أيفع حتى اشتغل بالتجارة ولكن حدثت له حادثه اضطر معها عسكر لان يعتقه .

ثم مات سيده بعـــد اعتاقه بقليل ، فاستأثر ياقوت بقسم من ثروته ، وغادر بغداد الى دمشق . وفي دمشق اخذ هـــذا الآبق يشتغل بالسياسة الاسلامية « وكان ذلك في اوائل القرن السادس للهجرة » ، وجاهر بعدائه للامام علي ولشيعة علي ، فثار عليه الناس وهرب خيفة ان يقتلوه .

عاش بعد هذه الهزيمة طريداً شريداً يتنقل خائفاً من قطر الى قطر ، فذهب الى حلب ومنها الى الموصل ، ثم الى اربل ، وحام حول بغداد فلم يجسر على دخولها لما شاع من تعصبه على الامـــام ، فولى وجهه شطر خراسان ، واستوطن « مرو » واقام فيها متجراً ولكنه تركها الى « نسا » ثم الى خوارزم . وتدفقت على خوارزم جيوش التتر (فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه) قاصداً الموصل ، ثم الى سنجار ، ومن ثمة انتقل الى حلب حيث اقام متنكراً في ضاحية من ضواحيها . وفي ذات صباح وجد جثة هامـــدة في احد الخانات .

والغريب في أمر هذا الرجل هو ذلك الفكر الواسع الرحب الذي جعله لا يؤلف غير ما نسميه اليوم (دائرة معارف) . فان له ثلاثة معاجم : للبلدان ، وللادباء ، وللشعراء ، وكتباً اخرى كلها تفترض الاحاطة والسعة والاطلاع منها : « المشترك وضعاً والمختلف صقعاً » ، (وكتاب الدول) وكتاب (المبدأ والمآل في التاريخ) .

الا ان علاقته بالادب ، وحبه للادباء يملك عليه ارجاء عواطفه حتى لتشعر بروحه الشفافة تخاطبك من وراء القرون والعصور ، فقد جاء في مقدمة كتابه « معجم الادباء » قوله ، وهو يكشف عن دخيلة سره : « واعلم انني لو أعطيت حمر النعم وسوادها ، ومقانب الملوك وبنودها لمـــا سرني ان ينسب هذا الكتاب الى سواي ... واعلم ان هـــذا الفن من العلم (الادب) وليس من بابه من يطلب العلم للمعاش ، او ليحصل الزينة والرياش ، ولا هو مما ينفق في المدارس ، او يناظر به في المجـــالس الخ ...» وتلك كلمات يلقي بها مملوك من العبيد !

— ٣ —

والثالث سياسي !

وهو من قادة الفكر المعاصرين ، ولا أدري ان كان لا يزال على قيد الحياة ، فقد صدرت آخر طبعة لكتابه : « على مـــدى هذي الطريق » الذي يترجم فيه حياته سنة ١٩٤١ والاولى كانت سنة ١٩٣٣

ولا يهمنا ان يكون حياً يرزق بمقدار ما تهمنا آثاره ومآتيه .

ويكفي ان نعرف انه ولد عام ١٨٧١ في « جاكسونفيل » من اعمال (فلوريدا) احدى الولايات الاميركية المتحدة ، من اصل زنجي واسمه « جيمس ولدن جونسون » .

جاء هذا الرجل الى الحياة عقب الحرب الاهلية في اميركا من اجل تحرير العبيد ، واتفق ان جاء زنجياً موهوباً ، فما كاد يفتح عينيه حتى وجد نفسه في وسط متخاذل تتنازعه المبادىء العنصرية من كل حدب وصوب ، وتتخاطفه المذاهب السياسية تخاطفاً مريراً مرهقاً ، والمعركة بين السود والبيض أحمى ما تكون وطيساً ، واقسى ما تتمثل عنفاً ، فما كان منه الا ان شمر عن ساعد الجد ، وخاض معمعة ذلك المضطرب حتى اوفى على النصر وتمكن من ولوج ديوان القضاء بين ألمع المحامين وسراة المشترعين .

ثم لم يقف عند هذا الحد ، فطفق ينظم الاشعار والاناشيد المسرحية وينشرها حتى توصل الى اقرار الفن الزنجي في ثبت الفنون التي يفاخر بها المسرح الاميركي . وبعد ذلك عين قنصلاً للولايات المتحدة في جمهورية « نيكاراغوا » .

وكان أهم ما وجه اليه جهوده انهاض العبيد ورفع مستواهم الاجتماعي ، باذلاً في هذه السبل أقصى ما لديه من قوى ومواهب فترجم اشعارهم ، واظهر محاسن ما عندهم ، وكتب وصف في احوالهم وشؤونهم كتباً تعتبر آيات في الفن والجمال ، نبهت « ابناء الست » البيض ، الى حياة « ابناء الجارية » السود ، وخلقت في اجواء اميركا الفكرية ، روحاً جديداً تتمثل في هذا الاتجاه الانساني الذي يهيمن على الحضارة الاميركية الراهنة ويطبعها بطابع خاص لا عهد لاوربا ولا لآسيا بمثله .

غير ان جيمس جونسون كزنجي هزته عصبية اللون ، ظل في حيز تفكيره سياسي النزعة ، يراود الحياة على قبول نوع من الحقائق عرف مرارتها وجسم سرها وعظمتها فهاك ما يقول في آخر ترجمة حياته : « ان العقل البشري يزهق نفسه بما ان يستطيع معرفته ليحل اللغز الاكبر ، ومحصل ما انكشف له هو هذا القضاء الذي قضى به عليه ان يستمر في الامل والكفاح ، وان يجدد نشاطه كل يوم انلم يضع في تفهم الحياة من زاوية جديدة ومواجهة ظروفها بجأش رابط . ولكنه يحس في نفسه ، بعض الاحيان ، كي يستمر بالحاجة الى قوة تقربه من الله . ودع فكرة « الله » تعني له ما تعني ... »

واحسب ان سياسة هذا الزنجي الذي جاء في عصر متطور الى أبعد غايات التطور تنم عن فطرة سليمة معافاة تنهزم امامها كل سياسة متخذلقة متفلسفة .

— ٤ —

أسوق حديث هؤلاء العبيد أمثلة صارخة رائعة لمفكرينا وأدبائنا وساستنا ، على عجز الاقدار امام العبقرية ، وانهزام (الظروف) في معمعان الحقائق تلك (الظروف) التي يتوكأون عليها في تبرير اخفاقهم كلما اخفقوا ، ويلقون على عاتقها كل ما يحملون من تبعات ، والامة من ورائهم تود لو تمسك بخناق هذه « الظروف » لتخلصهم منها ، وان كان المفروض فيهم ان يخلصوها .

بيد ان العربي لم يكن يوماً من الايام « عبداً » ، لا في حيز الاخلاق ، ولا في حيز القانون واذا كان ارسطو ، ذلك الدماغ الهائل ، قد اقر شريعة الرق ، مستنداً في اقرارها الى روح « العبودية » التي تتجسم في بعض الشعوب والافراد ، فان من المؤكد الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ان العربي أبعد ما يكون عن تلك الروح ، وان تلك الروح ابغض ما تكون للعربي ، وهذا تاريخ العرب ، وهذه آدابهم ، وهذي آثارهم جمعاء ، تشهد بوضوح وهاج يكسف ما حوله من الشبهات ، على استقلالية العربي ، ونزعته القوية نحو السيادة بله الحرية .

فاذا كان الامر كذلك ، فكيف نفسر هذا « التقهقر الاخلاقي » الذي عم جوانب من المجتمعات العربية ؟ بل كيف تحدث الحوادث ، والتصرفات النابية ، والاعمال الشاذة كل يوم ، دون ان تثير اهتمام الرأي العام ، ودون ان تهز نخوة المفكرين والادباء وافذاذ السياسة ؟

أيكون العربي قد نسي عروبته ؟ أم حالات الامزجة ، أم هتكت حرمة الحق ، وامتلك الباطل آفاق العقول وقاد أعنة الافئدة ؟

— لا ذلك ولا ذاك ولا هذا ، وانما هو « التواكل » او « العجز » الروحي الذي نواجه به « الظروف » اجتماعية كانت او اقتصادية او سياسية ، مما جعل هذه الظروف تنتصر على كل ثورة او نهضة ، وجعلنا ننكفىء مندحرين لدى كل صدمة او عقبة .

ولكن العبيد ، وهم عبيد ، استطاعوا في كل عصر وفي كل مصر ، ان يقاوموا وان يناضلوا ، واستطاعوا ان يقهروا الظروف وهي أقسى وأمر وأظلم من ظروف كل عربي في العصر الحاضر ، فهل يكون في ذلك عبرة لمن يعتبر ؟!! ..

عبد اللطيف شرارة



بقلم محمود تيمور بك





عادتي ان اتفادى من الذهاب الى المصرف في الايام الاولى من الشهر ... ولكن اتفق لي ان قصدت الى «المصرف الوطني» في مطلع الشهر لاصرف صكاً بخمسة جنيهات هي ما بقي لي على احد عملائي من اتعاب قضية . وكنت في جمع زاخر ادافع جهدي في سبيل الوصول الى نافذة الصكوك وقد اخذ مني الضيق كل مأخذ . فلمحت وانا مدهوش مغيظ فتاة تمرق الى النافذة بين صفوفنا غير معنية بأحد . وانطلق لساني بلفظة احتجاج قابلتها الفتاة باجابة تحد خشنة فازددت سخطاً ولكن لم يجد سخطي نفعاً . وبينما كنت خارجاً من المصرف وقد قبضت قيمة الصك صدمني شخص صدمة ازعجتني فالتفت فاذا بالفتاة عينها تسابقني نحو الباب فرمقتها بنظرة نكراء وهممت ان اصيح بها مهدداً متوعداً فعاجلتني بابتسامة رقيقة وهي تردد :

— الف معذرة ! ... لم اقصد البتة ان اسيء اليك ...

فنظرت اليها ولساني لا يزال ناقماً ثائراً فلم تدع لي فرصة التكلم بل واصلت قولها : كنت قليلة الذوق معك مرتين ... ولكني اؤكد لك اني لم افعل ذلك عن عمد ... انهم يرهقوننا بانتظار ضجر مثير للاعصاب ولدينا اعمال لا تحتمل اضاعة الوقت !

كانت تتكلم وابتسامتها تزداد اشراقاً ونضارة فقلت لها وقد مرت على فمي بسمة عابرة : هذا صحيح .. ! انهم يرهقوننا بالانتظار ... ولكن لا تنسي يا آنسة اننا في اول الشهر .. فللمصرف عذره !

— اوافقك على ان للمصرف بعض العذر لا العذر كله ... على الرؤساء ان يدبروا الامر وان يبذلوا اقصى الجهد في سبيل اراحة العملاء .. لقد اضاعوا عليّ محاضرة كان لزاماً ان استمع اليها في الجامعة !

— أطالبة انت ؟ — في كلية الآداب ... — حسن جداً ...

ورأيتني اسير واياها في اتجاه واحد من الطريق ..

كانت سمراء على شيء من الملاحة ترتدي ثوباً متواضعاً لا يدل مظهره على اليسر وان احتفظ بظل من الاناقة والذوق السليم .. لا يميزها عن مثيلاتها ممن يصادفهن عابر الطريق ويماشيهن الا ميزة خاصة : شفتاها ! .. اجل شفتاها بيت القصيد فيها .. كانتا شفتين غليظتين لا تراهما منطبقتين قط بل منفرجتين ابداً تسمحان لخط ابيض من الاسنان ان يكشف عن تألقه وتناسقه ... وانك اذ تنظر الى الشفة العليا منها تلحظ على الفور كأنها تحاول دائماً ان تنأى بنفسها عن رفيقتها في اباء وترفع ولقد تركز هذا الترفع والاباء في نتوء يتوسطها . نتوء يماثل من وجوه شتى «حلمة الثدي» يجتذبك بتكوينه الفني ويرغمك على ان تدمن النظر اليه .. وكنا قد قاربنا «شارع فؤاد الاول» عن كثب من مشرب «الامريكين» فسمعتها تقول :

أتؤم ركوب الترام من هنا ؟ — بل اقصد الى «الامريكين» لاحتساء قدح من الشاي قبل الذهاب الى المحكمة ..

— اتفاق عجيب .. لي زميلة ستوافيني الآن في المشرب كي ترافقني الى الجامعة .. — اذن طريقنا واحد ..

فقالت وقد خطرت على محياها ابتسامة وضاحة : يلوح لي ذلك!

واردنا اجتياز الطريق فاعترضنا سيل من العربات والناس يزحم بعضهم بعضاً . فمددت لها يدي فأمسكت بها في رفق . وعبرنا شارع فؤاد من جانب الى جانب

وقالت لي ونحن نصعد الى الطبقة العليا من المشرب : أعلى موعد انت في المحكمة ؟ — مع احد العملاء ..

— انت محام .. — يلوح لي ذلك !

فأرسلت ضحكة خفيفة تعالت على اثرها شفتها العليا في اختلاجة رشيقة على حين اخذ النتوء الذي يتوسط هذه الشفة يتقلص وينبسط في جاذبية اخاذة ..

وأخرجت محفظتي وتناولت منها بطاقة قدمتها اليها قائلاً : قد تحتاجين الى محام ... لا قدر الله !

فتناولت البطاقة باسمة ونظرت فيها تقرأ اسمي وتقول :
تشرفنا يا استاذ . . . سمعت اسمك قبل اليوم . . . ما اسعدني بهذا التعارف !
– الشرف والاسعاد لي يا آنسة
وكنا قد بلغنا الطبقة العليا فدارت الفتاة بعينيها في المكان متفحصة ثم همهمت :
لم تحضر زميلتي بعد
ولم يكن في المكان الا نفر قليل منتثر هنــا وهنالك . . . فقلت :
وهل تنتظرينها ؟ . .
– يحسن بي ان افعل . . .
– أيسوءك ان يكون انتظارك لها على مائدتي ؟
فابتسمت ولكن ما اسرع ان تزايلت ابتسامتها وهي تقول : أخشى عيون الفضوليين !
– وهل تلقين بالا المتطفلين ؟
– كلا . . ولكن . .
– ولكن ماذا ؟
– أليس من النزق ان تجالس فتاة رجلا لم يمض على معرفتها به غير لحظات ؟!
– هذا موضوع نستطيع ان نجعله ميدان نقاشنا على مائدة الشاي ! . .
– ولكن يا سيدي . .
– تكلمي . .
– انها المرة الاولى التي اجلس فيها الى رجل في منتدى عام . .
– حتى اذا كان من اقربائك ؟
– وهل انت من اقربائي ؟
– هي ذلك ! . .
– لم هذا التشبث ؟
– محام يرغب في كسب قضيته . .
– وهل تحولت المسألة قضية ؟
– قضية « صداقة » أرغب في توطيدها ! . .
– وماذا تقول زميلتي اذا رأتني معك ؟
– ألا ترين عيون الناس قد بدأت ترمقنا ؟!
– هذا ما كنت أتوقعه . .
ودنونا من اقرب مائدة وجلسنا اليها ، وسرعان مــا اقبل علينا غلام المشرب فنظرت اليها وقلت : بمَ تأمرين ؟
– بقدح من الشاي . .
فقلت للغلام قدحان . .
واخذت الفتاة بنظرها صامتة فيما حولها وانا اراعيها . . وسمعتها تهمهم : ما أسمجه .
ثم واجهتني بقولها : انه لم يحول نظره عني لحظة منذ قدمنا . .
– من !
– هذا الوقح . . !
قالت ذلك واشارت بعينيها الى رجل بدين له وجه كالرغيف المقبب المتوهج ووصلت جملتها السابقة بقولها : انه من حمقى الاثرياء الذين يخالون الدنيا طوع يمينهم . .
– أتعرفينه ؟
– ومن اين لي ان أعرفه ؟
– كيف علمت اذن انه من حمقى الاثرياء الذين . .
فقاطعتني في لهجة حازمة وقــد زوت ما بين حاجبيها : ان وجهه ينطق بذلك !
– انت دقيقة الملاحظة . .
واقبل غلام المشرب بالشاي فوضعه امامنا فصبيت لها قدحها وصبيت لي قدحي ومضينا نجرع الشاي على مهل ، واخرجت علبة لفائفي وقلت : أتسمحين ؟
– دخن كما تشاء ولا حرج عليك . .
– وانت ؟
– فخدجتني بنظرة عتاب قائلة : سيدي !
– لا تؤاخذيني . .
وتناولت لفافة واخذت أدخنها لحظة في صمت . ومرَّ امامنا الرجل البدين ذو الوجه المقبب يدرج في جهد ومشقة . فالقى علينا نظرة سانحة وتابع سيره . وسمعت الفتاة تغمغم : يا للوقح!
– حقا انه لسمج
– أما لاحظت كيف كان ينظر اليَّ . لا احتمل رؤية هذا الضرب من الناس ! . . انهم يمثلون امامي ذلك النفر البائــد من امراء الاقطاع . . لا تؤاخذني !
– على اي شيء أؤاخذك .
– قد يكون في حملتي على هذا الضرب من الرجال . .
– وهل ترينني من هذا الضرب .
فضحكت في خفة وقالت : لا اقصد ذلك ولكن يجب ان

اصرح لك باني امقت هؤلاء الاثرياء المتقاعدين ذوي رؤوس الاموال الذين يمتصون دم الشعب !

– كلام وجيه ..

– اذن انت من انصار الاشتراكية !

– وهل قلت ذلك .

– اي مذهب اجتماعي تعتنقه اذن ؟

– لم ألق على نفسي هذا السؤال حتى الساعة !

– انت متعصب ..!

– اشكر لك !

ونظر كل منا الى الآخر ثم استرسلنا في قهقهة عالية وجدتني اثناءها ارنو الى شفتيها الغليظتين وهما تلتطمان وتتدافعان وأرقب في شغف ذلك النتوء الجميل ووددت لو طالت ضحكتها وقتاً غير قصير .. وسمعتها تقول : أعترف بانك غير صريح !

– قد يكون ذاك ..

– إما انا فعلى العكس صريحة جداً ..

– هذا حق .. اذ أعلنت لي في وضح النهار انك تميلين الى النظام الاشتراكي !!

– ألست على صواب في هذا الميل . الا توافقني على ان التوزيع الاقتصادي في المجتمع الراهن غير عادل .

– اوافقك ..

– بلسانك فقط .

– بل بقلبي !

– اذن لقد استطعت ان اجتذبك الى صفي !

فقلت في لهجة هينة : او كنت تظنين انك غير قادرة على اجتذابي .

فأسبلت جفنيها وهي تقول في صوت أين المكاسر : يبدو لي انك سهل الانقياد سريع التأثر !

فقلت لها وعيناي لا تفارقان شفتيها : لا كل الاحيان !

وكانت يدها على المائدة تعبث بلعقة الشاي فمددت يدي وأطبقت كفي على راحتها فاجتذبت يدها في غير عنف . والقت بنظرة خاطفة على ساعة الحائط ثم نهضت وهي تقول :

لقد تأخرت زميلتي عن الموعد وقد أطلت في انتظاري اياها .. يجب ان اغادر المكان .

– أيكون قد بدر مني شيء ساءك ؟!

– انا شاكرة على كل حال حسن ضيافتك ..



الاستاذ محمود تيمور بك

– آسف اذا كنت ..

– لا يساورك شيء من ذلك ..

ومدت الي يدها وهي تبتسم وقالت : الى اللقاء يا سيدي ..

– الى اللقاء يا آنسة ..

واتجهت نحو السلم وانحدرت عليه مسرعة وعدت الى مقعدي واخذت الشفاه الغليظة ذات النتوء اللطيف تتراءى لي في كل لحظة لا ادري كم مضى علي من الوقت وانا في جلستي هذه . ولكن ظهور غلام المشرب امامي ايقظني من حلمي . وعلمت انه جاء ليقبض ثمن الشاي فدفعت يدي في جيب سترتي . ولشد ما كان عجبي اذ لم اجد محفظة نقودي في مكانها واسرعت البحث عنها في جيوبي الأخر وامعن في البحث ولكن على غير طائل .. اين اختفت ؟ . ومن اخذها ؟ . ولمحت لخاطري صورة صاحبة الشفاه الغليظة .. أممكن هذا .. وعدت البحث ثانياً .. لم يسلبني اياها احد في الشارع . اني على يقين من انها كانت في جيبي حينما دخلت الفتاة هذا المكان .. ونظرت الى غلام المشرب وقلت مردداً في حدة :

لقد اخرجت المحفظة امامها .. اعطيتها بطاقتي .. هذا مؤكد !

فنظر اليّ في حيرة وقــال مجمجماً : ولكن .. ثمن الشاي يا سيدي !

— أتظن اني محتال ايها الغبي !

— العفو .. العفو .. انا ..

ودسست يدي على الفور في جيب صداري فالفيت معي لحسن الحظ من النقود الصغيرة ما يفي بما هو مطلوب فالقيته اليه وخرجت اعدو وانا اكرر : المحتالة الماكرة .. سأدركها . وسأسلمهــا الى رجال الشرطة ! ..

وارتدت المنطقة حول «الامريكين» أتصفح السابلة واتفقدها بينهم وقتاً غير قصير .. ولكن بلا جدوى !

وقصدت في النهاية الى مكان عملي وانا محنق ثائر ! ..

*

وفي اليوم التــالي بينما كنت في مكتبي اقلب بعض المجلات الاوروبية المصورة استوقفت نظري صفحة مكتوب في رأسها : « مسابقة الشفاه » تحوي مجموعة صور مختلفة لشفاه بعض الغانـيات الامريكيات من كواكب السينما وقد وضعت جوائز لمن يكشف عن صواحب هــاته الشفاه . ووقع بصري على فم غليظ منفرج الشفتين يتوسط العليا منها نتوء ملحوظ . فمضيت أرنو اليه طويلاً ولم ألبث ان انتزعت الصفحة من المجلة وقصصت منها الجانب الذي يشتمل على صورة ذلك الفم .. وقذفت بما بقي من الورقة في سلة المهملات . وتناولت معجم « أبوت » الاثري الغارق دائماً في سباته العميق على مكتبي واودعت بين حنايا صحائفه تلك القصاصة ..

وكثيراً ما الفيتني بعد ذلك « اثناء درسي لقضية من قضاياي» آخذ المعجم شارد الذهن وامضي عجلاً اقلب صحائفه وسرعان ما القى امامي صورة « الشفاه الغليظة » تحدّق فيّ فاحدق فيها . ومن ثم يفيض على نفسي احساس بهيج يفضي بي الى احلام عذاب !

*

وترادفت الايام ..

وكنت يوماً في « قسم البغالة » اجاذب « المأمور » الحديث في قضية من القضايا فتعالت بغتة اصوات خارج الحجرة . وفي لحظة اقتحم علينا المكان رجل جاوز سن الشباب يبدو من هيئته انه من ذوي المعاش وهو يجذب فتاة من يدها وينعتها بارذل النعوت رامياً اياها بالسرقة والاحتيال على حين كانت الفتــاة تنكر في تعنت ومكابرة وتحاول ان تخلص نفسها منه .

وبرزت امامي في الحال ، الشفاه الغليظة ذات النتوء الملحوظ!

وعرفتني على التو وسرعان ما وجدتها تحاذت فامسكت عن الكلام وقد طغى على محياها امتقاع !

وكان الرجل ما برح قابضاً على يــدها يسوقها في عنف الى مكتب « المأمور » ولسانه ينهمر بسيل من سبابه البذيء ، فتقدمت منه واخليت يدها من يده وقلت له :

تذكر يا سيدي انك في دار الشرطة .. شأن الفتاة الآن موكول الى « المأمور » ..

فنظر اليّ الرجل نظرة عاتبة وقال في تأتأة :

لقد سرقت حافظة نقودي حينما كنت في القهوة منذ ايام وقد اختفت ولم اعثر عليها في ذلك الوقت والیوم وجدتها اتفاقاً في الطريق فقبضت عليها بمعاونة رجال الشرطة .. يجب ان تعيد اليّ ما سرقته .. انها محتالة .. ماكرة .. لصة ! ..

فلم تعترض على كلامه الفتــاة بل ظلت ممسكة وهي تنظر امامها نظراً ثابتاً . فقلت للرجل :

كم اخذت منك !

— ثلاثمائة وخمسة وثلاثين قرشاً .. غير ثمن المحفظة !

فملت على « المأمور » واسررت اليه : اني اعرف هذه الفتاة وامرها يهمني فاذا قبلت ضماني واطلقت سراحها كنت لك شاكراً . وألححت عليه وكان ممن يثقون بي فقبل ... فانتبذت على الفور بالرجل مكاناً قصياً ونقدته ما طلب . وخرجت آخذاً الفتاة من يدها .

وما كدنا نترك « القسم » حتى رأيتها تكركر في الضحك على حين بغتة . فنظرت اليها مغضن الجبين ، وقلت : حقاً انه موقف يثير الضحك .

فنظرت اليّ بمؤخر عينيها وقالت :

— أتريدني ان ابكي ؟!

— كان الاجدر بك على الاقل ان تصمتي !

— ولم ؟

— ألا تستشعرين الخجل ؟

— أتبغي ان تلقي عليّ محاضرة في علم الاخلاق ؟!

— وهل تجدي معك هذه المحاضرة !

فأطلقت قهقهة وقالت : ليس لديّ من الوقت مــا يسمح لي بسماع امثال هذه المحاضرات !

فضغطت يدها في عنف ، وقلت : كفي عن هذرك .. والا ..

فصوبت اليّ نظرة حادة وقالت : والا ماذا ؟

– أتظنين انني غير قادر على تأديبك ؟!

– ومن تكون أنت حتى تبيح لنفسك هذه السلطة ؟

– ابيحها لنفسي بمحض ارادتي !

فتضاحكت معابثة وقالت : ولكنني لا ابيحها لك !

فازددت في ضغط يدها وقلت : كفي عن هذا الهذر .. لن تجدي من ورائه الا أسوأ العواقب ..

فصاحت وهي تشد يدها : ليس الك شأن بي .. أترك يدي . أسامع ؟ .

فلم اعن باحتجاجها بل تماديت في ضغط يدها فضعف صوتهـا واختلج والتمعت عيناها ببريق الدموع وممتمتها تغمغم : رجل قاس بلا قلب !

وانطبعت على شفتيها مظاهر الذل والانكسار فاكسبتها منظراً خلاباً .. ووجدتني أخفف الضغط عن يدهـا وواصلت كلامها قائلة : ماذا تريد مني ؟.. قل ؟.. ماذا تريد ؟

فأجبت : أريد ان اقوم من اعوجاجك وان اصلح من نفسك!

ولمَ كل هذا يا حضرة ؟

فقلت متباطئاً وعيناي لا تفارقان شفتيها : انه عمل من اعمال الخير اقدمه الى الانسانية !

– الانسانية . وهل تعنيك الانسانية الى هذا القدر ؟

– يلوح لي ذلك ..!

– عجب امرك ! ولكن أتعلم كم أضعت من مال حتى الساعة في سبيل هذه الانسانية .

– أعلم!

– وقد تفقد اكثر من ذلك في المستقبل !

– محتمل هذا ..

– حباً في الانسانية ?!

– أرغب في الاخـذ بناصر مخلوق تعس وانتشاله من هاوية تردى فيها ..

حدّقت فيّ وقتاً صامتة ثم قالت : أتظن انني لصة ؟

فابتسمت قائلاً : معاذ الله !

– ظن ما تظن .. لماذا تتمتعون انتم بالمـال وفقيرة مثلي لا تلقى ما يقوم بأودها .

– عدنا الى الاشتراكية ..

– انا لم اسرق .. اني انال حقاً مشروعاً .. اني أعيـد الى طبقتنا المهيضة الجناح بعض ما سلبتموها من رزق !

ومضت في حديثها مهتاجة بالغة السطوة وكنا نسير جنباً الى جنب في "خطى وئيدة فتركتها تفرغ ما في جعبتها حتى اذا بلغت النهاية قلت لها : انك لقوية الحجة !

– أتهزأ بي ؟

– كلا ..

– ما زلت تحسبني لصة؟

– لا أريد ان احسبك كذلك !

– لا تريد ؟!..

ووقفت قبالتي متفحصة ثم اردفت قائلة :

ولماذا لا تريد ؟

– هكذا .

– ولكنني اؤكد لك انني لست لصة ، انني لم اقدم على ما اقدمت عليه الا لاسباب قاهرة !

وامسكت برهة ثم استأنفت حديثها :

– اسباب مشروعة طبعاً ! .

– هذا محتمل ..

– لي أب مصاب بمرض لا يرجى شفاؤه واربعة من الاخوة والاخوات كلهم اطفال وانا وحدي اعولهم .. ان عملي المضنى في حياكة الاثواب لا يدر عليّ الا النزر الذي لا يغني !

– ومن أجل هذا أرغب في اصلاح امرك !

– ألديك عمل أستطيع ان اقوم به ؟

آمل ان اجد هذا العمل .

– ما نوعه ؟

– لا استطيع ان احدده لك الان انما اعدك بان ابذل ما في وسعي لاهيء لك عملاً نافعاً ..

فانطلقت تقلب في وجهي عينيها المتسائلتين ثم قالت مهمهمة : أتثق بي ؟

– أرغب في ذلك !

فابتسمت وقالت : سأزورك في المكتب..

– اني منتظرك .. هاك عنواني ..

ودسست يدي في جيبي لاخرج المحفظة ولكنها بادرتني بقولها والابتسامة ما زالت تتموج على محياها : اني محتفظة ببطاقتك التي أعطيتنيها في « الامريكين »..

– حقاً !؟

فقالت في صوت خافت ناعم النبرات وهي تعبث باصابعها :

انها بطاقة ثمينة .. لا أفرط فيها . أتريد ان تراها ؟

— اني اصدقك ..

— شكراً لك .. والآن يجب ان امضي الى البيت .. آسفة اذ سببت لك متاعب كنت في غنى عنها .. كل ما فقدته من مال لأجلي سأعيده اليك حتماً .. كن على ثقة بانني لست من الخبث وسوء الطوية بالدرجة التي يتوهمها الناس فيّ .. ستجد على الايام مصداق ذلك !

— ما اشد رغبتي في تحقيق هذا ..

— سأزورك غداً في المكتب .. اذا لم تجد لديك من ذلك مانعاً ..

— في اي وقت ؟

— قبيل الظهر ..

— سأنتظرك ..

ومدت اليّ يدها فاحتوت كفي راحتها ، ومكثت قبالتها وقتاً صامتاً أتلقى مفاتنها والغبطة تشيع في نفسي ثم همست : أتقبلين ان نتناول الغداء معاً ؟

— كما تريد ..

— اشكر لك ..

— الى الملتقى ..

— انا في انتظارك ..

وتركتني وهي تبتسم في عذوبة .

وطاب لي ان اعود الى منزلي مترجلاً وسرت في خطوات هينة وكنت اثناء الطريق أدخن اللفائف واحدة اثر اخرى وانا هيمان أفكر فيما مرّ بي الساعة مع ذات الشفاه .. وساءلت نفسي مرات : هل كنت مصيباً في موقفي منها ، ألم يكن الاجدر بي ان اتركها في « القسم » بين يدي الشرطة وان اعزز التهمة ضدها عقاباً لهـا وردعاً لمثيلاتها .. وهنا طفقت اناقش نفسي في فلسفة العقوبة وما هي اقوم السبل الى اصلاح المجرم على ضوء المباحث النفسية الجديدة وهداية مبادىء الانسانية الرحيبة . وانتهيت من هذا النقاش الى نتيجة اطمأننت اليها وهي ان صنيعي مع هذه الفتاة البائسة خير ما يفعله امرؤ كبير القلب انساني المنزع ، وانني جدير بان ألتزم هـذا المبدأ في حياتي ابداً ..

دخلت منزلي وتناولت عشاء خفيفاً ، ثم قصدت الى مكتبي لادرس بعض القضايا ، فلم اجد ميلاً الى العمل بل احسست تراخياً ورغبة في التمدد على المقعد الفسيح ففعلت .. وامتدت يدي الى معجم « أبوت » واخرجت صورة (الشفاه الغليظة) ومضيت اتأملها ملياً .. ان لها أباً مصاباً بمرض لا يرجى له شفاء واخوة واخوات اطفالاً .. انها اتقضي الليل منكبة على الحائكة . وماذا تربح من هذه الحائكة . كثيراً ما تدفع الفاقة بالمرء الى مهاوي الجريمة ، ومن ثم يهب القانون مطالباً بالعقاب .. حقاً ان في الاوضـاع الاجتماعية لمظالم فادحة يجب القضاء عليها ..

وفي صباح اليوم التالي نهضت من فراشي وقد اعتزمت ان أتخلف عن المحكمة .. ألا يحق لي ان امنح نفسي اجـازة يوم واحد ؟! أحتم عليّ ان استقبل كل نهار تلك الوجوه السمجة ؟ وان أتلقى هذه الابتسامات السخيفة التي تحمل طابع الرياء ...؟

وطلبت زميلي في « التلفون » وافهمته اني منحرف المزاج فعليه ان يحل محلي في المحكمة .. واوصيت الطاهي ان يهيء لي غداء طيباً وخرجت الى السوق فأتيت بالوان ممتازة من المشهيات والحلوى .

مكثت أنتظر قدومها ..

وطال انتظاري فقلقت وساورتني ظنون شتى ..

وطال انتظاري ايضاً .

وألح الطاهي في سؤاله : متى يؤذن له بتقديم الطعام ؟

وحلت الساعة الثالثة ولم يظهر لذات الشفاه الغليظة أثر ..

*

وتعاقبت الايام .

وبينما كنت في مكتبي وقت الاصيل مع بعض عملائي منصرفين الى درس قضية مهمة اذ دق التلفون وكان المتكلم : « مأمور قسم البغالة » فاخبرني بان الفتاة التي ضمنتها ضبطت متلبسة بالسرقة فهممت ان اصيح به ان احبسوها فقد نفضت يدي عنهـا ولكن وجدتني على الفور ألح عليه في ان يبعث اليّ بها على عجل وعلى اصلاح الامر .. فلم يقبل فرجوته مستعطفاً ان يفعل فهي فتـاة مريضة في طبعها شذوذ يعالجها طبيب في الامراض النفسية . وانها من اسرة كريمة ولابيها مكانة ملحوظة في الهيئة الاجتماعية فمن واجبنا ان نصونه عمـا يشينه .. وأطلت في حديثي فاكدت له اننا سنبالغ في رقابتها ومنع اتصالهـا بالناس وافضت له في ذلك حتى قبل ..

والتفت الى عملائي معتذراً عن مواصلة العمل فانصرفوا مرغمين متذمرين . وانطلقت اجول في الغرفة بخطى مضطربة وانا اجمجم : ستري !.. ستري !..

ولكنني لم اكن اعلم ما افعل معهـا . كان رأسي مشحوناً

بمختلف الصور المختلطة المتشابكة لا استطيع ان أتبينهـا او أميز بينها . وعجبت من امري : كيف رضيت ان اصوغ للمأمور هذه الاكاذيب العجيبة وكيف اسعفتني بديهتي على اختراعها بمثل هذا اليسر ؟! وظللت على حالي تلك حتى قرع الباب فوثبت اليه افتحه ورأيتهـا وامامي خلفها شرطي وسرعان ما صرفته وجذبتها من ذراعيها وسمعتها تقول: لماذا اتوا بي هنا ؟

فرميتها بنظرة محتدة وقلت : يا لك من سيئة الطبع خبيثة !

– اراك ثائراً لانني لم ازرك كما وعدتك . .

– او تظنين انني صدقتك ؟

– صدقتني ؟ وانتظرت مقدمي بفارغ صبر . .

– انا انتظرك ؟ انا ؟ . . هل بلغت بي الغباوة ان اهتم بشخص حقير مثلك ؟!

– أجل انت مهتم بهذا الشخص الحقير مهتم به اشد الاهتمام . .

– اخرسي . .

– ولقد تعمدت الا احضر لادفعك عن انتظاري . .

– يا للوقحة ! – اما سبب اهتمامك بي فامر لا يخفى عليك . . انك تهواني . . اجل تهواني ! فصحت وقد اقبلت عليها متنمراً : انا اهواك ؟ انا ؟ . . وهل فيك شيء يُحب .

– انت مـدله بي . . ولكنني لن انيلك مبتغاك . . حتى القبلة الصغيرة سأمنعها عنك !

– انت اعجز من ان تمنعي عني شيئاً . . ولكنني زاهد فيك لحقارتك . . . اشد افتقارك الى ما يجتذب الرجل !

– انك تذوب شوقاً الى لثم شفاهي .

– شفاهك؟ . . ها ها . . ! شفاهك الغليظة المتورمة المدلاة كشفاه اقبح الزنوج . . – لن انيلك شرف لثمها ابداً . . ستظل محروماً اياهـا مهما يستعر لهيب غرامك وتتأجج نار شوقك !!

– غرامي ؟ . . شوقي ؟ . . سأريك كيف انا مغرم بك مشوق اليك . . سأريك ؟! واختطفت خيزرانة كانت ملقاة على احد المقاعد وامسكت (ذات الشفاه) وانهلت عليها ضرباً ورأيتها تحاول المقاومة بادىء بدء ولكنهـا وجدت مني مؤدباً عنيفاً عنيـداً صعب المراس فاكتفت بان تحمي جسمها من لسع العصا المرنة مـا استطاعت الى ذلك سبيلا . . ثم انطلقت تستعطفني وتسترحمني فلم استجب لها بل ظللت جاداً في الضرب في مهارة وتفنن حتى ادركني التعب فتركتها وجلست على المتكأ امسح وجهي واغمغم :

لعلك بعد هذا تقلعين عن غيك وتثوبين الى رشدك . .

والفيتها تزحف الى ركن من اركان الغرفة تجمعت فيه وراحت تنشج . . وقمت الى مكتبي ومضيت أعبث باقلامي صامتاً وانا انظر اليهـا من طرف خفي . . ثم قلت كأني احدث نفسي ستشكرين لي هذا الصنيع . . انه درس نافع الك في الحياة !

فلم تجبني بل جعلت تنشج نشيج طفل ذليل مبتئس !

ولبثنا وقتاً على هذا الحال هي في ركنها تولول وانا جالس الى مكتبي أعبث باقلامي واخالسها النظر الفينة بعد الفينة . .

وهممت اخيراً ان اذهب اليها لأترضاها فوجدتها ترفع رأسها وتهمهم بهذه الكلمات : لم اكن استحق منكَ ان تعاملني بهذه القساوة . . – بل تستحقين . .

ومضت تمسح وجهها وتنسق ما تشعث من شعرها وهي تقول : لو علمت اية عاطفة طيبة أكنها لك لما فعلت معي ما فعلت !

فتضاحكت : أية عاطفة ؟

– لا تزد من ألمي بهذه السخرية ! ونهضت تقصد مكاني قائلة : اقسم لك اني كنت معتزمة زيارتك وفق الموعد الذي ضربناه .

– أتعودين الى هذرك ؟

– اقسم لك اني صادقة في قولي هـذا ! لقد كنت حاضرة اليك لولا وفاة احد اقاربي . ودنت مني وهي تتكلم حسيرة البصر : أأكون منكرة لجميلك الى هذا الحد ؟!

ودنت مني ايضاً وهي تقول : ألم تشعر باني اميل اليك . . ؟ فصحت : تميلين اليّ ؟ انت !! وانكبت على ركبتي تحتضنها وهي تقول : أحبك ! احبك ! .

– واذا كان هذا مبلغ شعورك نحوي فلماذا كنت تعاندين وتكابرين ؟

فرفعت رأسها اليّ وعيونهـا مشرقة بالدموع وقالت : من فرط حبي لك ؟

ونهضت فطوقت عنقي بذراعيها ثم ادنت وجهها من وجهي وهمست قائلة :

– دونك شفاهي . . هي لك !

وغبنا معـاً في عناق حار وقبلات مستعرة . .



واجلستها بجانبي على المتكأ ويداها بين يدي على حين كانت عيناي لا ترويان من النظر الى شفتيها وقالت لي :

لن افارقك ! . . لن افارقك ابداً . . ! — كيف ؟

— ألا ترضى ان أقيم معك ؟ — وأسرتك ؟ .

— لا يستطيع احد في العالم ان يحول بيني وبينك .

وعقدت ما بين حاجبيها وقالت في صرامة :

سأقرر مصيري بنفسي، انا حرة في تصرفي، لا سلطان لاحد علي وسمعنا في هذه اللحظة دقاً بالبـــاب فالفيتها تفزع الى رقبتي تتعلق بها . . وهي تهمس في نبرات مختلجة : لا تفتح . . لا تفتح . . لا اريد ان اعود اليه ! وسمعت صوت الطاهي يسألني عن طعـــام المساء فطلبت اليه ان يرجع بعد فترة . . ثم التفت اليها وقلت : ممن تخافين ؟

فتحركت شفتاها دون ان تنطق بحرف وعدت اقول : فيم الفزع ؟ . . ممن تخافين ؟ فقالت والحيرة تجول في مآقيها :

أأستطيع ان اعول عليك ؟ — كل التعويل . .

— أقادر انت على ان تــدفع عني كل اذى ؟ أقادر انت على حمايتي ؟ حمايتي منه . . — من هو ؟ . . من ؟

— هو . . هو . . — ابوك ؟

— ليس لي أب ؟

— اذن من يكون ؟ فأخفت وجهها في صدري وطفقت تنشج قائلة : اقد كذبتك . . كل ما اخبرتك به محض اختلاق . . اغفر لي ! — اوضحي كل شيء . . تكلمي . .

فرفعت عينيها اليّ وقالت :

لا تحقد عليّ . . اني فتاة بائسة . لا نصير لي في الدنيـــا سواك . . ألم تقل انك راغب في اصلاح امري ؟

— عولي عليّ واكشفي لي عن متاعبك وهمومك !

— اذن لن يستطيع ان ينالني بسوء . — من هو ؟

— هو الذي يأمرني فاطيع . . هو الذي يلقنني كل كلمة أتفوه بهـــا ، ويرسم لي كل طريق أسلكه . . هو الذي يفرض عليّ الاتاوات يجب ان أؤديها اليه كل يوم . . هو اصل بلائي !

— من هو ؟

— هو شيطان لقيني في طريق الحيـــاة فحولني من فتاة طيبة القلب طاهرة الذيل أدرس في معاهد التعليم بنشاط الى حيث ترى . . أهوي الى الدرك الاسفل !

— ولماذا لا تتركينه !

— لا ادري ! . . لا ادري لماذا لا استطيع تركه . . ولكنني اؤكد لك ان كل شيء انتهى الآن . . سأستأنف معك عهـــداً جديداً . . اني اضع حياتي كلهـــا بين يديك فأقلني من عثرتي وانتشلني مما انا فيه .

— لا تخشي احداً ما دمت معي ! كوني على ثقة بانني سأكون لك نعم الهادي ونعم النصير .

ووجدتها تريح رأسها ثانية على صدري وترخي اجفانها وقد شاعت في وجهها طمأنينة وهدوء . .

وغمرنا الصمت والسكون . واخذ ضوء النهار يشحب . .

وطال صمتها وهي مسبلة الاجفان ، وكان صدرها يعلو ويهبط في حركة منتظمة فأحطتها بذراعي في رفق وطفقت أتطلع اليهـــا مجتلياً سحرها الخلاب . .

يا لله ! . . لم ارها على هذه الفتنة من قبل . .

*

استيقظت والصبح قد بدأ يتنفس ودرت بعيني اتفقد « ذات الشفاه » . . فلم اجدها فناديتها فلم يجبني احد . . فانطلقت ابحث عنها في الدار فلم اعثر لها على أثر ، فقصدت الى حجرة مكتبي حيران مضطرباً فوقع بصري على درج المكتب مفتوحاً . والفيت حلقة المفاتيح معلقة بقفله فاخذني العجب كل مأخذ ان حلقة المفاتيح لا تبرح جيبي ! وهرعت الى الدرج ابحث فيه فلم اجد محفظة نقودي ! . ووقفت مبهوتاً وقد انتفخت اوداجي . .

وعدت الى بحثي في دقة وتحر منادياً « ذات الشفاه » . . . ولكن كل ذلك كان بلا جدوى !

واندفعت الى « التليفون » اطلب « قسم المغالة » وما كاد يجيبني حتى اعدت السماعة مكانها في عنف وانا اردد : غلط ! . . . غلط ! . . .

وجعلت اقطع الحجرة ذهاباً وجيئة وبغتة وقع نظري على معجم « ابوت » ملقى على الارض في اهمال متجمعاً بعضه على بعض كشيخ طحنته السنون . وابصرت بقصاصة الورق تطل من بين صحائفه فانحنيت اجتذبها . وما ان طالعتني صورة « الشفاه الغليظة » حتى انهلت عليها دعكاً وقذفت بها في عرض الحجرة وانثنيت على المعجم فوقع في وهمي انه يرمقني في خبث وتهكم فركلته ركلة شتتت من اوراقه وبعثرت من فصوله . . . !

القاهرة محمود تيمور



مرحلة التنفيذ في نشاط المرأة

بقلم السيدة املي فارس ابراهيم



ان تاريخ الحركة النسائية في لبنان يكاد يكون متشابه المراحل متساويها من حيث النتائج العملية ، اعني انه كان يؤدي دوماً الى اخفاق عملي يعقبه جمود ، وكثيراً ما شجع هذا الاخفاق والجمود على الظن بانه ليس عندنا اي تكتل نسائي او اية حركة نسائية صحيحة .

ففي نهاية كل مؤتمر نسائي عقد ، وفي نهاية كل نشاط محلي قامت به بعض الجمعيات في ميدان نسائي او اجتماعي معين ، كانت تسفر كل هذه المحاولات عن لا شيء ، فلا يلبث ان يعود ذلك الجمود الى الصفوف النسائية ، وتتراجع المرأة الى حصر نشاطها في الامور الخيرية ، مما كان يدفع بسيئي الظن بالمرأة وبامكانياتها الى القول بان جل ما تبتغيه هو اثارة الضجة حولها واغتنام المناسبات للظهور . فارجو ان لا تخفق المرأة هذه المرة في تنفيذ المقررات التي اتخذتها في مؤتمر القاهرة ، ومباشرة مرحلة تطبيقية في صفوف المرأة امر ممكن اليوم :

١ – لان الظروف مؤاتية لاحداث الوثبة المنشودة في نظمنا الاجتماعية من جميع نواحيها .

٢ – لانه يمكن اثارة قضية الشرع والتدليل على انه لا يقف حاجزاً دون وصول المرأة لاكتساب حقوقها كاملة .

٣ – وخاصة لان محاربة الذهنية الرجعية ما كانت في يوم من الايام ممكنة مثلها اليوم .

... قلت ان الظروف مؤاتية لاحداث الوثبة الضرورية في نظمنا الاجتماعية ، فقد ثبت علمياً وتاريخياً ان التفكير الانساني مهيأ في كل حين لتقبل الاتجاهات الاصلاحية التقدمية التي تخطها طليعة المفكرين في المجتمع . ولقد ايقظت هذه الحرب الوعي في الانسان وفتحت فيه منافذ الفكر الشامل وهيأته لان يتقبل في نهايتها كل تطور اجتماعي . اذن ، فالجو منفسح ملائم لوضع أسس جديدة لمجتمع عادل ، لا تحفظ فيه للاصلاح ، وبوسع طليعة المفكرين ان تستفيد من هذه اليقظة لتخط الاتجاه المنشود ، لا سيما وان الاحوال الشاملة اقطار الدنيا مؤاتية لاحداث كل وثبة تقدمية كما قلت ، وقد علمتنا التجارب والاختبارات كما علمت سوانا من الشعوب ، ان التيارات الفكرية الاصلاحية لا تنحصر ، ولا تستطيع ان تنحصر ، في بقعة واحدة من الارض ، لان من خصائصها الانطلاق والارواء ، اي التنقل والعطاء ، ونستنتج من هذا الاختبار انه لا يجوز بوجه من الوجوه اعتبار ظروفنا الخاصة منقطعة عن ريح التطور العاصف بالعالم كله .

ولبنان ، لم يقفل يوماً أذنيه عن اصداء الانقلابات الاصلاحية التي حدثت في العالم على الرغم من انه بقي زمناً طويلاً رازحاً تحت الانيار الخارجية والداخلية بسبب اوضاعه السياسية الشاذة وهي اوضاع كانت تؤدي الى خنق كل حركة تحررية فيه ، بل ان لبنان ، وشعبه المنفتح الفكر والقلب كما نعلم ، تأثر الى حد بعيد بالانقلابات التي كانت تحدث في العالم وتقبل « معقولها » ووافق على صحيحها ، وقد بدت هذه الحقيقة جلية لكل من حاول تفهم الاتجاهات الفكرية التي تنازعت تسيير دفة وطننا الصغير منذ فجر القرن العشرين .

وكانت هذه القوى الكامنة في لبنان تسير نحو نضج صامت عميق سيساعده حتماً في يقظته الحاضرة التي نشطتها العوامل الخارجية على معالجة القضايا الاجتماعية معالجة تطورية كاملة .

اما الزعم بان الشرع يقف حاجزاً دون وصول المرأة الى حقوقها كاملة ، فهو ادعاء خاطىء . فالقرآن الكريم لم يعتبر المرأة ذات منزلة ادنى من منزلة الرجل ، ومن يتعمق في درسه ودرس الاحاديث الشريفة لا يجد فيه ولا يجد فيها ما يبرر حجة القائلين بوجوب صرف المرأة عن ميدان العمل العام : فالنبي كان يحترم آراء المرأة ويقر لها بالتفوق احياناً ، ويصغي الى نصحها في كثير من المناسبات ويشركها حتى في الفتوحات التي كانت تتطلب قسطاً غير يسير من الجرأة والصلابة في العقيدة والاخلاص .

وبعد درس هذه الاعتبارات الاساسية في قضية المرأة ، بقيت

مسألة جوهرية جداً ، عليها يتوقف اخفاق المرأة او نجاحها في هذه المرة ، وهذه المسألة هي معرفة وضع خطة صحيحة في نضالها لتحقيق المقررات التي اتخذت في مؤتمر القاهرة ، وقد كان من منافعه انه تناول جميع البلدان العربية في وقت واحد ووضع لها منهاجاً للعمل موحداً مما يساعد كثيراً على النجاح ، غير ان المؤتمر اهمل في ابحاثه التي اذيعت ناحية مهمة جداً لها اثرها البعيد في خلق الامكانيات امام تنفيذ تلك المقررات التقدمية ، وهذه الناحية هي العمل على توجيه الحركة النسائية توجيهاً ديموقراطياً ولم يكن طبيعياً ابداً ان ينتهي المؤتمر الذي درست فيه شؤون المرأة درساً شاملاً دون ان يرتفع صوتها فيه بالاحتجاج على الاساليب الرجعية التي ما تزال تتجلى في كثير من اجهزة الحكم الداخلي والكثير من المؤسسات في البلدان العربية ، فاذا ظلت هذه الاساليب متبعة والمؤسسات قائمة ، فانها تعيق اول ما تعيق سير المرأة الى امام ، فمن البديهي اذن ان يكون نضالها في سبيل تحسين حالها ، مرتكزاً على محاربة كل مظهر رجعي .

واذا ما جاهدت المرأة في سبيل تحسين حالها ونيل حقوقها كاملة ، فما ذلك الا لتتمكن من الاشتراك مع الرجل في النضال من اجل القضية المشتركة ، اعني قضية انصاف الانسان .

ففي سبيل هذه القضية المشتركة، اخذت تتكتل اليوم جماعات في الاقطار العربية ، تشكل قوة لا يستهان بها ، وتعقد عليها اكبر الآمال . وهي تناضل بامانة في سبيل رسالتها التحريرية لتحطيم القيود التي تغل الانسان ، وهي مدعوة في المستقبل القريب لان تكون الطليعة التي تشق الطريق امام الناس نحو حياة احسن وارقى اعني حياة تتكامل فيها قوى الانسان الرازحة الآن تحت شتى الاثقال ، وتتعاظم فيها اشعاعات العقل النير الذي سينطلق من كل ضغط ، اي نحو مرحلة بناء صحيح ، فبامكان الناس ان يتساءلوا : اين المرأة من هذه الحركة المباركة ، وكيف لم تحاول ان تفرض لها مكانة فيها بمناسبة عقد المؤتمر ؟ . ثم انه من العسير جداً ، بل قد اقول من المستحيل ان يستطاع تنفيذ جميع مقررات المؤتمر ، ما دامت الذهنية الرجعية سائدة في بعض جوانب المجتمع العربي .

ويبحث مثلاً في البند الاول من هذه المقررات ، وهو ينص على الطلب من الحكومات العربية العمل للوصول تدريجياً الى تأمين المساواة بين النساء والرجال فيما يتعلق بالحقوق السياسية الخ .

فقد ثبت للقاصي والداني وبصورة لم تعد تقبل الجدل ، ان هذه الحقوق السياسية لم يتمكن الرجل من ممارستها كاملة في كل بلد سيطرت عليه الروح الرجعية ، فكيف بها بالمرأة اذن ؟ .

ففي سبيل تنفيذ هذا البند يجب اذن اولاً وخاصة محاربة الاساليب الرجعية اينما وجدت وباي شكل ظهرت .

واتخذ المؤتمر النسائي قرارات اخرى ، منها تضامن الشعوب العربية على صيانة استقلال كل منها، فهل سهت المؤتمرات عما قاسته الاوطان العربية من محن وويلات اذاقتها اياها المطامع الاجنبية التي كانت تسدد سهامها الى المخلصين من ابناء البلاد بواسطة الحكومات الرجعية التي كانت آلة بيد الطامعين ، وهل سهت ايضاً المؤتمرات عن ان الذين يسوؤهم ان تستيقظ الشعوب العربية هذه اليقظة الشاملة لنيل الاستقلال وصيانته ، ستلتجيء ، كما كانت تفعل من قبل الى تلك العناصر الرجعية في كل البلدان العربية لتستعملها وسيلة للدس على هذا الاستقلال وخلق التشويش في صفوف المناضلين المخلصين لقضية وطنهم ، علها تتمكن من القضاء على هذا الاستقلال وعلى ثماره .

ففي سبيل تنفيذ هذا البند ايضاً كان من الواجب اولاً وخاصة رسم خطة واضحة لمحاربة الاساليب الرجعية اينما وجدت وباي شكل ظهرت .

بسطت هذا التنبيه كله لاصل الى هذه النتيجة الساطعة وهي : ان مقررات المؤتمر النسائي العربي — على الرغم من ان معظمها تقدمي لن تؤدي الى اية فائدة عملية ما لم ترسم الخطط الصحيحة لتنفيذها وتثبيتها وصيانتها من كل ردة رجعية قد تكيد لها .. لكننا نرجو ان ينبثق عن مؤتمر القاهرة ، توجيه صريح في هذا المضمار ، فينظر العالم باجمعه الى الحركة النسائية العربية بكثير من التقدير والاعجاب ، اذ تكون قد اثبتت ان وعيها قائم على اساس صحيح ينفذ الى جوهر الامور .

وخلاصة القول ، ان مرحلة العمل في سبيل الوصول الى نتائج واقعية تدخل في حيز الوجود باتت ممكنة اليوم امام المرأة ، فالى العمل اولاً ، ودائماً اولاً ، على محاربة كل روح رجعية ادعو اللجان التي اخذت على عاتقها تنفيذ المقررات، كل فيما يختص بها ، ان من النواحي السياسية او الاجتماعية، ومن ثم الى المثابرة بعناد في العمل والاستمرار في النشاط والارادة القوية حتى الوصول الى نتائج واقعية ، لان ذلك كما سبق وبينت ممكن اليوم ، ولن يكون بعد اليوم للمرأة اي عذر يبرر اخفاقها اذا هي اخفقت لا سمح الله .

املي فارس ابراهيم



الوتر الصـــــامت

سمعت المذياع يردد مرة اغنيتها :
« دخلت مرة ف جنينة »
فرحت اردد انشودتي الكئيبة

☆

اسمهان ! وترٌ رنّ بعلوي الغنـــاء
كم روى في داني الامس لانبـــاء الفناء
من احاديث اسى الارض وافراح السماء
يصمت اليوم ولا يشدو ؛ فهل لي من عزاء !
أتراها ملّت الارض واطياف الشقاء ؟
فارتمتْ في عـــالمٍ، ثانٍ، رحيب الجو، ناء
تقتفيهـــا حسرة الفن ونوح الشعراء

*

وعليهـــا ، من صباها الغض يبكي العنفوان
وينادي : أين من دنيا الاغاني اسمهان ؟

*

ضجت الحسرة في قلبي وآدتني شكاتي
مذ تمثلت الاناشيد حيارى في الرفات
سكنتْ في اللحد لا تصدحُ ، رهن الظلمات
أين يا مسمعي المنصت سحرُ النغمات ؟!
فلقد كنّ من الرواد في ليل حياتي

هكلما ارهقني القيد ، وناداني انفـــلاتي
لدناً لم ألقهـــا إلا بأنبـــاء الرواة

*

لهف نفسي ، ضنّ بالشدو على مسمعي الزمان
واحتواني عالم الصمت .. وماتت اسمهان

*

ان تغنتْ فبقلبٍ وبروحٍ ولسانٍ
فتناجي مسمع الدنيا بألحان الجنـــان
سارياتٍ في ركابٍ ما سرتْ فيه الاغاني
من حنينٍ ، وانينٍ ، واشتياقٍ ، وافتتان
وهوى مستعر اللهفة ، مشبوب الحنان
أي قلبٍ خافق بالحب قد بات يعـــاني
لم تتيمه اغاريد الهزار المتفـــاني ؟

*

فابكِ يا قلبُ جفـــا الصبر وعز المستعان
سكنت أغنية الحب .. وماتت اسمهان

البصرة رزوق فرج رزوق

الثنائي اصل الثلاثي والرباعي

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي

✯

المألوف بين جمهرة الصرفيين قسمة الافعال ، من حيث عدد حروفها ، الى مجردة ومزيدة ، وجعل المجردة منها نوعين : ثلاثياً ورباعياً ، ثم اشتقاق المزيدات من المجردات ، باضافة حرف او حرفين او ثلاثة من طائفة من الحروف معلومة سميت لذلك حروف الزيادة . وقد جمعت في كلمة « سألتمونيها » .

على ان هناك من يرتئي امكان ردّ الرباعي المجرد الى ثلاثي ، وذلك بحذف حرف من احرفه دون قيد ، بشرط بقاء اللحمة المعنوية بينهما ، مما ينجم عنه ان المجرد الرباعي لا وجود له ، انما هو ثلاثي مزيد فيه .

اما نحن فلا نقف عند هذا الحد ، بل نذهب الى ما هو ابعد – مما لم يجسر على القول به المحافظون على القديم – وهو ان الثلاثي المعاد اليه الرباعي قابل الرد هو ذاته الى ثنائي ، مع استمرار الصلة المعنوية بين الثلاثية ، حسب روح الاشتقاق اللغوي .

هذا وقد وجدنا في احد اعداد مجلة « المقتطف » المصرية (يونيو ١٩٤٠ ص ٧٩ ي ي) مقالاً محاولاً فيه اثبات ما سبق من قابلية ارجاع الرباعي الى ثلاثي ، مع ادعاء تعذر اعادة الثلاثي الى ثنائي ، او بعبارة اخرى : ان الثلاثية وحدها مبدأ الاشتقاق ، وليس الثنائية قطعاً . وقد حوى المقال نحو ستين مادة رباعية سعي في ردها الى مادة ثلاثية ، دون تعدي هذا الطور . اما نحن فقد اثبتنا في سائر ابحاثنا السابقة ان الثنائية هي الاصل ، وما البقية سوى فروع او مشتقات منها . ففي هذه الفرصة نتناول هذه الامثلة الواردة في المقتطف ، لنبين ، بنوع محسوس ، لمخالفي مذهبنا ولمحبي هذه التقصيات اللغوية ، ان هذه الثلاثيات المردودة اليها الرباعيات المذكورة ، في مستطاعنا ارجاعها هي نفسها الى ثنائيات وقد حذفنا ، حباً بالايجاز ، من المواد المسرودة في المقتطف الثنائيات المكررة ، من قبيل رَفرَف ، وزَفزَف ، لوضوح صدورها عن الثنائيات المجردة .

« اشمأز » من شمـأز : نفر منه كراهة وانقبض . وهو من الثلاثي « شمز » ومنه شمزت نفسه من الشيء : عافته وتقززت منه الكراهته . ومنه : تشمز وجهه : تقبّض وتمعّر ، اي غير وجهه او قطّبه غيظاً ، لكن هذا الثلاثي « شمز » صادر عن الثنائي « مز » ومنه المز من الرمان : ما كان طعمه بين حموضة وحلاوة ، والمزازة طعم بين حلاوة وحموضة . والمزّة . الخمر فيها حموضة . والحموضة في الخمر والتمر تبعث الى تغير في الوجه وتقطيب في الجبين . والصلة المعنوية ظاهرة بين الثنائي والثلاثي ، كما بين الثلاثي والرباعي .

« دحرج » : اداره على نفسه متتابعاً في حدور . اشتق من « دَحَر » الدال على الدفع والابعاد . « ودَحَر » آت من « دح و دحا » بمعنى : دفع وبسط .

« افرنقع » : تفرق ، من « فرقع » : فرّق ، وهو صادر عن فرق : فصل . وفرق من « فق » : انفرج .

« قرطب » الجزورَ : قطع عظامها ، من « قرّط » وهذا من الثنائي : « قط » وفي جميعها معنى القطع .

« قرضَمَ » : من « قرض » وهذا الثلاثي من « قض » وفي كلها دلالة الكسر والقطع .

« قرضَبَ » : قطع ، فرّق ، من قضَب : صرَم . وهو من الثنائي « قض » .

« برقش » : خلط الكلام ، اختلف لونه ، و – الشيء : نقشه بالوان شتى . من « رقش » : نقش ، زين ، زخرف ، زوّر ، وهو من الثنائي « رق » : لطف ، حسن .

« بَعزَق » : فرّق . صادر من « عزَق » فلان الارض : شقها وكربها ، وهو آت من « عق » الثوب : شقه

« زَعبَق » : القوم فرّقهم ، من « زَعبَ » الشيء : قطعه . وهذا الثلاثي من الثنائي « زَعَ » الظاهر في « زعزع وزعا وزاع » قطع .

« اتمعمل » : جدّ الرجل في المضي ، وهو من « معمل » : أسرع في سيره ، وهذا من « مع » في « معمع » عمل في عجل .

« جندل » : صرعه على الارض ، من « جدل » : رماه على الجدالة ، وهي الارض الصلبة . وجدل الثلاثي مشتق من الثنائي « جدّ » : اشتد .

« تحذلق » : تظرف وتكيس ، مثل « حذلق » : اظهر الحذق . وهو من « حذق » : مهر في الامر واتقنه ، اي عرف كيفية القطع فيه وحذق من الثنائي « حذ وحذا » : قطع .

« ختلع » : برز او خرج الى البدو . وهو من « ختع » : ذهب وانطلق . والثلاثي من الثنائي « تع » : استرخى اي امتدّ ، او من « تما » : عدا ، أو من « تاع » : سال وانبسط على وجه الارض ، ذهب الى المكان وغيره ، او من « تعتع » حرّك بعنف ، أقبل به وأدبر . وفي كلها معنى الحركة والامتداد والذهاب[1]

« ابذعرّ » الناس : تفرّقوا وفرّوا . من « بذعر » الصادر من « بذر » الحبّ : القاه في الارض متفرقاً . وبذر الله الخلق في الارض : فرّقهم . و« بذر » مشتق من « ذرّ » الحبّ فرّقه ونثره .

« احرنجم » القوم : اجتمع بعضهم الى بعض . من « حرجم » الابل : ردّ بعضها الى بعض . وفي مقال المقتطف يردّ هذا الرباعي الى الثلاثي « حرج » بمعنى ضاق لكن لا لحمة معنوية ملائمة بين الاثنين . فالاولى في نظرنا ردّه الى « رجم » بمعنى : كوم الحجارة ، ومنه الرجمة : حجارة تنصب على القبر . ورجم الثلاثي صادر عن « جمّ » الثنائي ودلالته : كثر واجتمع .

« هيهب » : أسرع . من « هبّ » : أسرع ونشط .

« همرج » عليه الخبر : خلطه عليه . ومنه « الهمرجة » : التخليط ولفظ الناس . من « هرج » الحديث : خلط فيه وهرج في الحديث : مزج واتى بما يضحك منه . وهو من « هج ، هجهج » الفحل في هديره : صاح شديداً وهجهج بالبعير : صاح به وزجره ليكف . وهجت النار : اتقدت وسمع استعارها ؛ وهج : زجر للكلاب .

« هردب » : عدا عدواً ثقيلاً . من « هرب » : فرّ . وهو من « هبّ » السائر من الانسان والحيوان : نشط وأسرع .

« اهرمع » : أسرع في مشيه . من « هرع » مشى مضطرباً مسرعاً . وهرع صادر من « رع ، رعرع » الماء الصافي : اضطرب على وجه الارض وترعرع الصبي : تحرّك ، وترعرعت السن : قلقت وتحرّكت .

« تمنطق » : اظهر علمه بالمنطق . لكن « تمنطق » له معنى آخر بعيد عن هذا ، وهو : لبس المنطقة ، وهي الحياصة او النطاق كما يقال ايضاً « تنطق » شدّ وسطه بمنطقه . ونطقه : ألبسه المنطقة . فعلى رأينا ان « نطق » ، الدال على التكلم في الخارج ، وعلى الادراك في الداخل ، صادر من الثنائي « نط » : هذر ، واما « نطق » المشتق منه « نطق وانتطق والمنطقة وتمنطق » الدال على الوسط والشقة التي يشد بها الوسط ، فهو ناشيء عن « طق » في « طاق » ، ومنه « الطوق » ، وهو كل ما استدار بشيء ، «وطائق كل شيء : ما استدار به من جبل او أكمة ، « والطاق » : ما عطف من الابنية اي جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما اشبه . ومنه « تطوقت المرأة : « لبست الطوق » وهو حلي للعنق يحيط به

« تململ » من ململة المرض : جعله يتململ ، اي يتقلّب على فراشه . « وململ » من « مل » تقلب مرضاً او غماً .

« بذرق » المال : بدّده . من « بذر » : فرق . وهو من « ذرّ » : نشر ، فرّق .

« اقشعرّ » من « قشعر » ، ومنه « القشعريرة » : ارتعد جلده وقف وتقبّض . وهو من « شعر » : كثر شعره والثلاثي من الثنائي : « شع » انتشر . لان من خاصة الجلد الشعاع او التقبض .

« عرقل » الكلام : عرّجه . من « عقل » : ربط ، شدّ . وهو من « عق » : عصا ، وفيه معنى القوة والشدة .

« تشدّق » من « شدق » ومنه « تشدّق » : تفاصح . وشدق مشتق من « شق » ، لان الشدقين هما طرفا الفم ، اي شقاه .

« هذرم » النائم : اكثر الكلام وخلط فيه . من « هذر » خلط وتكلم بما لا ينبغي . وهو من « هذ وهذى » : تكلم بغير معقول ، لمرض او غيره .

« دملج » الشيء : اذا سوى صيغته ، كما يصاغ الدملج ، وهو حلي يلبس في المعصم . من « دمج » : دخل في الشيء واستحكم فيه . والثلاثي من الثنائي « دج » : اظلم اي تداخل ظلامه بعضه في بعض .

(١) هناك من اللغويين ، كالاستاذ البحاثة اساعيل مظهر ، من يرد هذا الفعل وامثاله الى فعلين ، تبعاً لنظرية النحت . على اننا لا نميل الى القول بان العربية لغة نحتية . اذ الدلائل جمة ومتضافرة على كونها اشتقاقية بطريق الزيادة من الثنائي الى الثلاثي والرباعي وغيره .

« دَمْلَكَ » الشيء : ملسه . من « دَمَكَ » الشيء املسه . وهو من « دمّ » : طلى .

« قرفَص » : جمع وشد يديد تحت رجليه . ومنه : جلس القرفصاء . من « قفص » الشيء : جمعه وقرّب بعضه الى بعض . وقفص ناشيء من « قف » الشيء ، انضم بعضه الى بعض .

« اشمَخَرّ » : ارتفع ارتفاعاً كبيراً . من « شمخَر » : تكبر وهو من « شمَخ » : ارتفع كثيراً . وشمخ الثلاثي صادر عن « شم » ارتفع وتكبر ، او عن « شما » : علا امره .

« تمسكَن » : صار مسكيناً ، اي فقيراً شديد الاحتياج . من « سكن » اي قرّ . لان الفقر يقلل حركة المعوزّ ويذله . وسكن مشتق من الثنائي « كَنْ » وفيه « كان » : وجد . ويؤيد ذلك فعل Kûn العبري ، ومعناه : ثبت ، قرّ . وبهذه المعناة جاء الفعل الاكدي : Kûn

« هَدمَل » الرجل : خرّق ثيابه . من « هَدَم » الثوب : رقعه . والهدم والهدمة . الثوب الخلق المرقّع . وهو من « هدّ » الرجل : هرم .

« هَرجَل » : اختلط مشيه . من « هرَج » الفرس : جرى وأسرع في عدوه . وهرج من « هج » اتقدت النار . والاتقاد حركة سريعة .

« هزمل » الرجل : افتقر . وهو من « هزل » ، وهذا من « هزّ » : ذلل .

« ازلغب » الفرخ : طلع ريشه ، و — الشعر : نبت بعد حلقه . من « زغب » الفرخ : نبت زغبه ، وهو ناعم الريش . وزغب آت من « زبّ » : كان أزبّ . والازبّ : ذو الزبب . والزبب مثل الزغب : صغار الريش .

« زحلف » : دحرج . من « زحف » : مشى . وهو من « زحّ » : نحى .

« طغمش » : كان في بصره ضعف . الافضل ان هذا الفعل صادر ، ليس من « طغش » ، كما ورد في مقال المقتطف ، بل من « طمس » (بالسين عوض الشين) البصر : ذهب ضوؤه ، وهو من « طم » : غمر .

« فرتك » الشيء : قطعه . من « فرت » (لا من فرك ، كما في المقال المذكور) : فجر ، بجس . وفرت من « فت » : كسر .

« فرشخ » : فتح ما بين رجليه . من « فرش » : بسط . وهو من « فش » : امتد الريح .

« شعوذ »

ارجأنا البحث في هذه اللفظة ، لاقتضاء الافاضة فيه . دونك الوارد في مقال المقتطف : « شعوذ ، تحذف منه الشين ، فيبقى لك اصله الثلاثي « عوذ » . ومن عوذ العوذة . والعوذة تؤول الى الشعوذة . »

قلت : لفعل « شعوذ » بدل في العربية وهو « شعبذ » وهذا ما جاء في صدده في تاج العروس (٢/٥٦٦ ي) : قال الليث : هو خفة في اليد ومخاريق ، واخذ كالسحر ، يرى الشيء بغير ما عليه اصله في رأي العين وفي كلام بعضهم هو تصوّر الباطل في صورة الحق . . . قال الليث : الشعوذة والشعوذي مستعمل ، وليس من كلام اهل البادية . . . المشعبذ : قال الليث : هو المشعوذ . وقد شعبذ يشعبذ . قال الثعالبي في الجنى المحبوب الملتقط من ثمار القلوب : لا اصل لقولهم : شعبذ ، انما الاصل بالواو . »

قلت : يفترض صاحب اللسان : ان مجرد شعوذ « شعذ » ، ويدعي مقال المقتطف ان هذا الرباعي مشتق من « عوَذ والعوذة » ويزعم الثعالبي ان الاصل ليس شعبذ بل شعوذ . لنمحص كل هذه الاقوال . هاك ما ورد في اللسان (٥/٣٣ ي) في شأن « عاذ والعوذة » : عاذ به ، لاذ به ، ولجأ اليه ، واعتصم به . والمعاذ المصدر واسم المكان والزمان . وفي الحديث : عاذ بالله من النار . تقول العرب للشيء يكرهونه ، والامر يهابونه : « حجراً » اي دفعاً . وهو استعاذة من الامر . وما تركت فلاناً الا عوذاً منه ، وعواذاً منه ، اي كراهةً أو نفوراً وابتعاداً . العوذة والمعاذة والتعويذ : الرقية يرقى بها الانسان من فزع او جنون ، لانه يعاذ بها . يقال : عوّذت فلاناً بالله واسمائه ، وبالمعوّذتين ، اذا قلت : اعيذك بالله واسمائه من كل ذي شر ، وكل داء وحاسد وحين (موت) والمعوذتان سورة الفلق وتاليتها . لان مبدأ كل واحدة : قل اعوذ . والتعاويذ التي تكتب وتعلق على الانسان من العين تسمى المعاذات ايضاً ، ويعوّذ بها من علقت عليه من العين والفزع والجنون . وهي العوذ ، واحدتها عوذة . »

قلت : لا يظهر لحمة معنوية بين شعوذ وبين عاذ وعوذة . لان الشعوذة ، حسب تحديدها ، عمل يؤثر به صاحبه على غيره للتمويه والخدع ، وذلك بقوة الخفة واللباقة . اما « عاذ » فدال على معنيين : معنى الابتعاد والهرب من شيء او شخص مضر مخيف مكروه ، ومعنى الالتجاء الى احد او الى شيء او محل ، قصد التخلص من شر الاول . لكن الدلالة الاصلية المطلقة على « عاذ » هي الهرب

من شيء خشية مضرته ، ونتيجة ذلك الالتجاء الى احد او شيء.
والدليل على ان المراد « بعاذ » الانقطاع والابتعاد او الهرب ، هو ان اصله الثنائي يعني ذلك. يتحقق الامر في فعل « عذي ». فيقال: عذيت الارض : طابت . لكن لماذا طابت ؟ لانها بعيدة عن الماء والوخم . فالفحوى الاصلي الانقطاع . كذلك تجد هذه المعناة في « عذب » . ودلالته : كفّ عنه وتركه . وعذّب فلاناً عن الطعام : منعه وكفّه . والعذاب مـا شق على الانسان ومنعه . والعذب : الطيب المستساغ من الشراب والطعـام ، لانه يمنع العطش ، اي يقطع . كذلك « عذر » : ختن ، اي قطع . وعذق النخلة : قطع سعفهـا . ولاحظنّ الفرق الدقيق بين « عاذ به » و « لاذ به » . فان « عاذ » ، كما رأيت ، يدل اولاً واصلياً على الانقطاع والهرب، ثم بالتالي على الاعتصام فالاتصال . ولذا يقال: عاذ منه ، اي من الشر ، وعاذ به : لجأ اليه . اما « لاذ به » فلا يطلق في الاصل على الانقطاع ، بل على الالتجاء والاحتماء فقط . اذ ان الثنائي « لذ » الظاهر في « لذى » معناه : سدك به ، اي لزمه ولم يفارقه، لا بل اولع به. والسدك المولع بالشيء والملازم له.
اما « العوذة » فقد سميت بذلك ، لانه يكتب فيها « اعوذ » اي انقطع واهرب من شر الشيطان الرجيم ، او غيره مما يضر . كما اطلق اسم « المعوذتين » على سورة الفلق ، واولهـا « اعوذ برب الفلق » ، وعلى سورة الناس ، واولها « اعوذ برب الناس » والمراد بكل ذلك التملص والنجـاة من الشر والمضرة ، كشر العين والجنون والصرع ومـا اشبه . اذن لا يظهر علاقة بين شعوذة والعوذة ، ولا سيما اذا قلنا ، من باب الابدال ، « شعبذ » على رأينا ان « شعوذ » او شعبذ على الاصح ، خلافاً للوارد في اللسان ، ليست من صميم العربية ، كما يشهد بذلك اللسان عينه ، نقلاً عن الليث القائل بكونها ليست من كلام اهل البادية ، اي العرب الخلص ، وان كانت مستعملة بين الحضر . ولا ريب ان هؤلاء ، والحالة هذه ، قد تلقوها من الاجانب . وبالحقيقة الظاهر لنا ان اصلها سرياني . ودونك الكيفية :
في اللغات السامية حرف « عبد » . واول معانيه المحسوسة معنى العمل ، في السريانية . وهو ثلاثي صادر عن الثنائي « عبّ » العربي ، المتجلي مدلوله في « عبأ » : صنع ، جهز ، هيأ . واذ كان العمل من مهمة العبيد ، جاءت الكلمة بدلالة الخدمة والعبودية ، في العربية . من ذلك العبادة ، وهي خدمة الله والعبودية له .
في السريانية ، لصوغ وزن « أفعل » يضاف همزة ، كما في العربية ، وهذا الحرف الزائد هو في العبرية هاء . لكن في السريانية عينها يزاد ايضاً عوضاً عن الهمزة شين . من ذلك وزنا « أعبَد وشَعبَد » ومن مدلولاتهـا ، فضلاً عن التعدية ، التأثير والحث والاجتذاب ، والسحر ، والصرع ، ثم التسلط بالعنف ، اي بالقهر والمذلة والاستعباد او الاسترقاق .
فالهمزة والشين في فعل « عبَد » هما من الحروف الزائـدة وتتعاوران . امـا الاصل في السريانية فهو « شعبد » لان مجرده « عبَد » . لكن الباء ، حسب اللهجة السريانية الشرقية ، ترخّم اي تلفظ واواً . ولهذا دخلت في العربية باللفظ الاصلي « شعبَذ » وباللفظ المرخّم « شعوَذ » وجاءت بالمعنى الوارد في المعاجم والمطابق للفحاوي السريانية . اذ في الشعبذة تأثير حسي وأدبي على حواس الناظر ومخيلته وعقله ، وهو نوع من الاستيلاء والاسترقاق ، اي ضرب من السحر . اذن « شعبذ » هو الاصل وزناً ومعنىً ومجرده الثلاثي ليس « عوذ » بل « عبد » ؛ وهو سرياني وليس بعربي .
واما ثنائيه فهو « عب » الظاهر في عبأ .
الخلاصة : استبان جلياً ان الرباعي المجرد ان هو الا ثلاثي مزيد . لكن تجلى بوضوح ايضاً ان الثلاثي المجرد ليس هو سوى ثنائي مزيد فيه . وهذه كلها ادلة ساطعة على ان الثنائية — ولا الثلاثية او الرباعية — هي مبـدأ الاشتقاق في اللغة العربية كما في اخواتها السامية .

القدس الاب مرمرجي الدومنكي

اليتيم

للدكتور سليم حيدر



يارب، وحدي، والسرى عذب أليم
امضي اليك، يقلّني الليل البهيم
وبخاطري المكلوم صوت يستغيث: انا اليتيم

*

يارب، زُغبُ الطير، في وكناتها، تحت الجناح
تغفو، بظل الامهات، على تواجيع الصداح
وعلى خلوص الود، في دفء الحنان المستباح
يشتدّ في الزّغب الحنين الى مكافحة الرياح
فيحول ريشاً ريّشاً حداً كأسنان الرماح!
تحت الجناح الامّ تخفق نسمة العطف الصّراح
ويزيغ هول الليل، في الرؤيا، على أمل الصباح
وتنقّل الافراخ احلام الصبا، فوق البطاح
تتلمس الاجواء، بالانظار، قبل الانسراح
توّاقةً للزهر، يوم يضج في طلب اللقاح
وانا اللطيم.. أبيوامي .. ويك يا دنيا البراح!..
لم يبق لي، في نكبتي النكباء، من يأسو جراحي
الا النحيب المستديم
والبؤس والقلق المقيم
فانا اليتيم تعاقبت علل الشقا
لتذيقني الدم الزعاف، انا اليتيم!..

يارب، أبناء الاكابر، بالدمقس وبالحرير،
يتقلّبون على الارائك، في ملذات القصور
ما بين وِلْدانٍ - باثواب موشاة - وحور!
ان يعطشوا، فالكوثر السلسال في كوب النضير
أو يسغبوا، فطعامهم، يارب، اكباد الطيور
أو يتعبوا، فالنوم معقود بناصية السرير!..
بسمت لهم دنيا معربدة باحضان السرور
فتهافتوا مثل الفراش، على قوارير الزهور
يترشفون الشهد انداءً مبلورة العصير!...
العطف عندهم تثني الخصر... ما شأن الفقير؟..
والعدل وصف القدّ ميّاساً.. فما حكم الضمير؟..
واليُتم، يا ربّاه، وصف الدر منقطع النظير!...
اما المتاعب والهمومُ
والعريُ والجوع القديم
فلها اليتيم، تعود البلوى على
اعقابه، والنائبات لها اليتيم!...

*

يارب، جلجلت الرعود، على البروق اللامع،
وتصالحت هوج الرياح، من الجهات الاربع
مجنونة، تجتاح ما تلقى... زوابع لا تعي
ويدور لولبها، وتومي، للسماء باصبع
كالمارد الملتف بالغبراء... وجهُ المطمع!...
المربع المعمور في مثل اندثار البلقع
والطير، من شرفاتها، زفت وراء المفزع
تهفو، من العش المنيع، لجوف وكن امنع
والضفدع المكسال خافت في حمى المستنقع
والبحر في التصخاب... يا هول السماك الشرّع!..
والكون، وجه الكون ممتقعٌ بلون المصرع..
كل ابن انثى، يا الهي، لائذ بالمخدع
تحدو له أم رؤوم
وأب، على البلوى رحيم
الا اليتيم، فراشه كفّ الثرى
ولحافه ردن السما... الا اليتيم!

يا رب ، اضناني المسير الى السراب المجفل
وتنعلت قدماي ايذاء الطريق الموحل
وخبا ، على الاخفاق ، ايماني بطيب المنهل
أوما لهذا الليل حلمٌ بالصباح ، فينجلي ?!...
تنتابني حمى الحياة ، على بريق المأمل
وبي انعتاق النسر مشبوباً ، ودفق الجدول
فأروح مطلبأ .. فألقاني بارض جندل
يجتاحني عصف الجوائح ، في مهب الشمال
ويحطني شلواً على باب الحياة المقفل !...
يا رب ، ضيفك ، في عبادك ، وقفة المتطفل
يُقرى – متى يقرى – كناسات الخوان المثقل
وترجع الاصداء ذكر المحسن المتفضل !...

دنيا تؤجّ بها الجحيم
فقراً ، والمال النعيم
وانا اليتيم ، وعزوتي مفقودة
امشي على ذلّ السؤال ، انا اليتيم !..

*

يا رب ، ضاق العيش في طلب الكسا والمطعم
وتناوبت ايدي الشقاء على امتهان المعدم
ابداً ، على باب البخيل ، بغصة المتلعثم
يرجو .. فينهر قسوة فيعود مكموم الفم
ويسكنُ الجوع القديم بطعم جوع اقدم !...
أوتجهل الاموال ان لنا بها حقن الدم ?...
نحن اليتامى ، والبعوض يخزّ عين الضيغم
دعةُ الخراف البيض فينا ، وامتعاض الارقم !..
قسماً بكهف « الناصريّ » ، « وبالحطيم وزمزم »
ان لم تُقرّ لنا الحياة بحقنا في المغنم
لنمزقنّ حجابها الجافي – ويا نُظمُ ارتمي !
فالمجرم المضطر للاجرام ، ليس بمجرم !...

ان لم يكن عدل حكيم
فالمستبد هو الملوم
يسعى اليتيم الى الحياة ، فان أبت
فالى الحياة ، على الاذى ، يسعى اليتيم !...

يا رب ، عيسى ابن البتول ، على الشنار الاسود
ينـدى ... فيكتحل الظلام بفجر ذاك المرود
والكون ، من قلل التجبر ، في الهوان السرمدي
يهوي الى كنف التواضع ، نابضاً بالسؤدد
متحفزاً ، مستشرفاً عدل النبيّ محمد !..
باركت ، يا رب ، اليتامى بالمسيح واحمد
وهديت بالانجيل والقرآن خطوَ المهتدي
وضفرت نبل المحسنين على جميل المقصد
وكفيت حاج ابن السبيل ، وسؤلة المتشرد
وكسرت رأي المستبد ، وشوكة المتمرد
وحبوت هذا الناس ، في الدنيا ، هناءَ المحمد
وحبوت هذا الناس ، في الاخرى ، نعيم الموعد

وغداً صراطٌ مستقيم
لا يستقيم به الظلوم
يلقى اليتيم ، على الصراط ، نصيبه
وضيوفه يلقون ما يلقى اليتيم !..

*

يا رب ، عفواً ، رُبّ قول قُدّ من قصد نبيل
جمحت به اهواء قائله وراء المستحيل
فتكلفت اصداؤه معنىً كنكران الجميل ..
ما قلت ان البر في دنياك مجذور الاصول
« يوم اليتيم » ، على وميض بروقه ، اسمى دليل !
لكنه ، يا رب ، كيفيّ ، على هبّ الميول
والمحسنون همُ القليل ، ونحن كثرٌ في السبيل
والصدق ما قال «السوأل» في الكرام وفي القليل !..
فاجعل ، الهي ، دفقة الاحسان شافية الغليل
وامنح لهذا البرّ ، في الايتام ، عاطفة الشمول
وافسح لنافلة الكريم ، وهزّ اعطاف البخيل
ليسدّ ، يا ربي ، كفافُ العيش أبواب الفضول

حتى اذا كبر اليتيم
لا تُستفزّ له كلوم
وعلى طريق خدها كفّ الندى
يمضي اليك ، يُقله الفجر الكريم !...

مقام العقل عند اخوان الصفاء

بقلم قدري حافظ طوقان



واخوان الصفاء هم جماعة تألفت بالعشرة والصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ظهروا في القرن الرابع للهجرة ووضعوا لانفسهم مذهباً أقاموه على البحث والنظر للوصول الى الحق والحقيقة والكمال . كانوا يجتمعون سراً ويتناولون في اجتماعاتهم البحوث الفلسفية والدينية والالهية على اختلافها ، ويتذاكرون في العلوم الرياضية والطبيعية على انواعهـا . درسوا مآثر اليونان والفرس والهنود ، وادخلوا تعديلات تساير عقائد الاسلام وقواعده . وقد نتج لهم عن هذا مذهب خاص يقوم أساسه على ان « الشريعة تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهـادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... »

ولقد صنف هؤلاء الاخوان مذهبهم في كتاب رتبوه رسائل عدتها احدى وخمسون رسالة منها خمسون في انواع الحكمة ، والحادية والخمسون جامعة لانواع المقالات على سبيل الاختصار والايجاز . ويقول الدكتور طه حسين « ... ان درس هذه الرسائل مفيـد للذين يريـدون ان يدرسوا تاريخ الفلسفة الاسلامية لانه يمثل عصراً من انضر العصور الفلسفية في الاسلام .. » ويرى الدكتور انه لا يبعد ان يكون الغزالي قـد تأثر الى حد قريب او بعيد بفلسفة هذه الجماعة حين نلاحظ انه نشأ فيلسوفاً وانتهى صوفياً .. »

وليس من شأني الآن ان ابحث في هذه الرسائل وما تناولته من شتى الموضوعات ، ولا فيما احتوته من تأويل ودوران وحيل وخيال ، ولا في آراء الناس فيها ولا في الفوائد التي نتجت عنهـا لما فيها من يسر أدبي خالص ، ولكني سأتعرض لمقام العقل عنـد الاخوان ، فلقد اصابوا من الرقي الفكري حظـاً وافراً كما قال الاستاذ « دي بوير » ومن يطلع على الرسائل يجد ان هناك دعوة صريحة الى استعمال العقل وانعام النظر واعمال الفكر . وقد وردت هذه الدعوة في مواضع كثيرة كقولهم « واعلم يا اخي ايدك الله وايانا بروح منه بانك اذا انعمت النظر بعقلك وفكرت برويتك ، وتأملت اوامر الناموس ونواهيه واحكامه .. » وكقولهم ايضاً في مواضع اخرى « .. واعلم يا اخي بان كل عاقل ذكي القلب ، اذا نظر بعقله وتفكر برويته في احوال الناس ... » وكانوا يتذاكرون في مجالسهم في العقل والمعقول والنظر والبحث عن اسرار الكتب الالهية والتنزيلات النبوية ومعاني ما تضمها موضوعات الشريعة ... » ومن هنا يتجلى انهم كانوا يعتمدون في مذاكرتهم على النظر والبحث ويدعون اليهما والى وضع العقل موضعاً ممتازاً في المحاورات والمجادلات والتفسير . وطلبوا من اتباعهم « ان لا يعادوا علماً من العلوم ، وان لا يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لان رأينـا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها : وذلك انه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها الحسية والعقلية من اولهـا الى آخرها ، ظاهرها وباطنها ، جليها وخفيهـا ، بعين الحقيقة من حيث هي كلها من مبدأ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة واجناسها المتباينة وانواعهـا المفننة وجزئياتها المتغايرة ... »

ولا شك ان دعوتهم الى عدم معاداة العلوم او هجرة اي كتاب من الكتب وقولهم بان لا تعصب على مذهب من المذاهب وبالنظر الى الامور بعين الحقيقة — كل هذا يدل على اتساع افق تفكيرهم وعلى اجلالهم العقل . ولولا ذلك لما رأينا عندهم هذا التسامح وهذا الاهتمام في الاطلاع على آراء الغير ومذاهبه وكتبه . وكانوا يجلون ابناء عليّ ويعدونهم رجالاً مطهرين . ولماذا ؟ لانهم استشهدوا

ادونيـــس (*)

بقلم الدكتور حبيب ثابت

✱

هو إلـه لبناني كان المـلاحدة من اليهود يقيمون المناحات لتذكاره في كل عام . وفي السنة السادسة لأسر الملك يواكيم اي في الخامس من الشهر السادس رأى النبي حزقيال في رؤيا له : « نسوة جالسات على عتبة باب هيكل اورشليم الشمالي يندبن « تموز » .

ويروي القديس جراسيموس انه كان في بيت لحم غاب قدس على اسم ادونيس وكان المصلون يقيمون المناحات على ذكرى موته في المغارة التي ولد فيها السيد الناصري .

وكان تموز يسكن في ظل شجرة الحياة في بستان (اريدو) الذي تسقيه امواه دجلة .

اما الشعراء البابليون فقد صوروه راعياً مات في زهوة شبابه فنزات عشتروت جهنم تلاقيه وتعيد له الحياة عابرة الابواب السبعة من مساكن الموتى . وفي اليوم الثاني من الشهر الرابع من السنة البابلية الذي يقابل عندنا اليوم اول تموز كانوا في بابل يغنون قصائد الشعراء لذكرى موته فدعي الشهر تموز لذلك . وسرت عبادته من البابلية الى الفينيقية حيث عبد على اسم « آدون » او « آدوناي » ومن هنا قال اليونان : ادونيس كما قالوا « افروديت » في عشتروت .

وعبده الفلسطينيون بعد ان طاف اسمه مكاناً بعد مكان فلم يكن ادونيس عندهم إله الشمس بل إله النبات والنماء فيزهر وينمو في الربيع وييبس ويحترق في حرارة الصيف .

وعلى عهد السلالة الفرعونية السادسة عشرة وحدت عبادة ادونيس اللبناني وعبادة « اوزيريس » المصري . ويقول مؤرخو

(*) واسمه ايضاً تموز .

– على رأيهم – في سبيل العقيدة القائمة على العقل . ونظروا الى القوى المفكرة بانها افضل قوى النفس لانها تؤدي الى المعرفة ، والمعرفة هي لباب حياة النفس . وبحثوا في العقل واقسامه وعنوا به وقالوا بان العقل اشرف من النفس وان الانسان افضل من سائر الحيوان « . . . وفضله انما هو من قبل عقله لا من جهة النفس لان سائر الحيوان لها نفوس ايضاً فكفى بهذا دليلاً على ان العقل اشرف من النفس . . . »

وذهبوا الى اكثر من هذا فقالوا ان العقل اشرف الموجودات وافضلها بعد الباري عزّ وجلّ ، وانه نوعان ، غريزي ومكتسب فامـا الغريزي فيحصل للانسان بعد تأمله للمحسوسات ، واما المكتسب فكل من كان اكثر تأملاً للمحسوسات واصفى نفساً كان اعقل . . . » واشاروا الى ان هناك صوراً روحانية « تراهـا النفس في ذاتها وتعاينها في جوهرها . . . بطريق الحواس اذا هي انتبهت من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ونظرت بعين البصيرة الى نور العقل واستضاءت بضيائه وتحملت ببهائه . . . »

وورد ايضاً في الرسائل بان العقل اسم مشترك يقال على معنيين : وهو جوهر بسيط روحاني محيط بالاشياء كلها احاطة روحانية . والمعنى الآخر ما يشير به جمهور الناس الى انه قوة من قوى النفس الانسانية فهو فيض من الباري عز وجل ، وعلى اساس نور العقل وصفاء النفس كانوا يزنون الرجال ، اي ان النفوس تتفاضل بعضها ببعض بالعقل لا بغيره فهو الذي يفيض على النفس الخير والفضائل وهو اشرف وافضل من جوهر النفس .

وفوق ذلك كانوا ينظرون الى الذي لا يخلص للحق ولا يخضع له بانه العاصي والخارج عليهم ، فقد ذموه واعتبروه عدواً لله تعالى فقالوا : « . . . واعلم يا أخي . . . بان المتكبر عن قبول الحق عدوٌ للطاعة ، وقد قيل ان الطاعة هي اسم الله الاعظم الذي به قامت السموات والارض بالعدل . وضد الكبر التواضع للحق والقبول له . . . »

واخيراً يمكن القول ان رسائل اخوان الصفاء تمثل الحيـاة العقلية لعصر من عصور المسلمين هو القرن الرابع للهجرة فالعقل الاسلامي في هذا القرن « . . . كان قـد وعى ما نقل اليه من فلسفة اليونان وحكمة الهنـد وآداب الفرس والآداب العربية والاسلام وغيره من الديانات السماوية وغير السماوية ، وجمع ذلك كله ورتبه كله ولاءم بينه وحاول ان يكون مزاجاً مؤتلفاً هو خلاصة الثقافة التي يجب على المستنير حقاً ان يظفر بها ويأخذ منها بالحظ الموفور . . . »

نابلس   قدري حافظ طوقان



مرآة عشتروت ، لوحة الرسام الانكليزي بورن جونز ١٨٣٣ – ١٨٩٨

الاسكندرية القدماء ان الآلهة « ايزيس » وجدت في جبيل عظام « اوزيريس » المبعثرة ويسرد مؤرخ منهم كيف عبدوا ادونيس في لبنان وكيف ان يوم موته ويوم بعثه كانا عيدين من اعياد جبيل الكبار وان في ذوبان الثلوج كان نهر ادونيس اي نهر ابراهيم يتدفق بمياهه الحمراء من الارض التي عبرتها . فاعتقدوا ان الحمرة في المياه هي دماء ادونيس بعينها ، على ان ذلك الحدث المفاجىء كان يقع عادة بعد زوابع شديدة وعواصف جارفة ، وكانت النساء تبكي كل عام موت ادونيس وترخي عليه شعورهن ، ولكي يتذكرن موته كن يزرعن في الاحواض على السطوح بقلاً وشعيراً وثمراً ويحرقن البخور فوق المذابح ، وكانوا يدفنون في الهياكل تماثيل تشبه ادونيس وتقوم من القبر في اليوم الخامس لدفنها ويعيدون لقيامها

وادونيس هو إله تربط عبادته بعبادة عشتروت ارتباطاً متيناً . ويرجع الفضل في كشف تاريخ وجوده الى الشاعر اليوناني « بانياذيس » الذي عاش في النصف الاول من الجيل الخامس قبل الميلاد المسيحي .

نبت ادونيس من الشجرة التي تحولت اليها امه ، فالتقطته « فينيس » التي وكلت امر العناية به والحدب عليه الى « بروزربنا » فرفضت هذه بعد ذلك ان تعيده اليها فتدخل « جوبتير » في الامر وقضى قضاءه بان يصرف ادونيس اربعة اشهر عند « فينيس » واربعة عند « بروزبنا » على ان يبقى له اربعة اشهر يكون فيها حراً طليقاً من الاثنين .

وتقول الاسطورة ان فنيس المتيمة بادونيس تنبأت عن مصايره المفجعة وحاولت ان تمنعه من الذهاب الى الصيد فلم تفلح فذهب وقتل .

قال الشاعر اللاتيني الاشهر « اوفيد » في بعض قصائده : قالت عشتروت توصي ادونيس قبل مضيه للصيد :

حذار من خنازير الوحش ! فانت ضعيف وهي قوية شرسة . أفلا ترى كيف تجمع جلدها الى صدرها ، وتكنس الارض بذنبها وهي بدلاً من ان تدير ظهرها الى الصياد هرباً منه ، عادة الوحش تراها تقبل عليه بصدرها ، فاسألك ان لا تجعل شجاعتك شؤماً علي !

ولما انتهت عشتروت من هذه النصائح اعتلت مركبتها التي تجرها اطيار البجع ، وانطلقت تغذ السير في الاجواء ، اما ادونيس الشجاع فلم يصغ الى نصحها بل مضى على وجهه متوغلاً في غابات لبنان فلمح خنزيراً وحشياً يتحرك في بعض الادغال ، فسدد سهمه اليه ، فارتد الخنزير ولحق به ، وغرز انيابه في فخذه الطري ، وطرحه الى الارض مضرجاً بالدم يئن ويتوجع . فسمعت عشتروت باذن حسها رجع الانين والتوجع وترداد زفرات ادونيس الاخيرة فادارت

مركبتها الى حيث الجريح الحبيب ، ولم تكد تطل عليه وهو منطرح الى الارض حتى طفقت تلطم وجهها وتمزق رداءها وتنثر شعرها .

قالت تخاطب القدر :

لن يكون ادونيس كله لك ايها القدر القاسي ..

ثم قالت لادونيس : اما انت ايها الحبيب فستخلد بخلود آلامي !

وان ذكرى موتك ستتجدد على الاعوام ، ويتجدد بها ألمي ، كما ان دمك سيتفتق زهرة حمراء تنبت من اطهر ثرى . »

واخذت بيدها كأس الشراب المقدس وصبتها على دماء ادونيس ، فكان من امتزاجها ان تحول الدم الى ماء النبات ثم نبتت هنالك زهرة شديدة الحمرة ندية اللمعان ، طريئة الورق اسمها « نرسيس » (١) !

*

اما ولادة ادونيس على ما في حكايتها من الغرائب فانها ترينا انه كان آلهاً نباتياً خرج الى الوجود من روح النمو . واما اسمه فليس الا لفظة قلبها اليونان من لفظة (آدون) السامية ومعناها السيد ، وفي العبرية والارامية يقولون لادونيس « تموز » وحقيقة ذاتية أدونيس الفينيقية حدثنا عنها (داماسكيس) في الجيل السادس للميلاد : ان اسكلابيوس البيروتي يرد اليه اكتشاف اسطورة ادونيس فيؤكد انه اله فينيقي ولا ريب ، وان اسمه كان عندهم (اسمينوش) وانه ابن (صاديقوس) ، وبالرغم من ان اقوال اسكلابيوس ، قد جاءت متأخرة فهي تلقي ضياء بعيداً على حقيقة الاله الفينيقي ، وتؤكد ان اسمه يغمر اسم اشمون

*

ان ادونيس مثل الرجولة ، وعنوان النسل ، اشتهرت عبادته في (افقا) اللبنانية وقد ذكر (بليتارك) ان الروابط وحدت بين (اوزيريس) المصري و (ادونيس) اللبناني ، والاثار الكثيرة تؤيد صحة قوله .

وتقول الخرافة ان عشتروت عشقت في يوم ربيعي اخضر ادونيس اللبناني رب الجمال الالهي وان شهوات هذا الفصل وحرارته ترمز عن ذوبانها في الهوى وان عبادة هذين العاشقين السماويين كانت منتشرة في الاسكندرية حيث كان العباد هنالك يضعون تماثيلها في الليل على مضاجع من الارجوان تغرق بالازهار والاثمار وارياش الطير ، كل ذلك ليجعلوا رموزاً مشاهدة ملموسة للجمال والرقة واللذة حتى اذا جاء الصباح ، اقبلت النساء عاريات ، بارزات الصدور ، مرخيات الشعر يولولن ويبطلن تمثال الاله الجميل ، ليلقين به الى موج البحر ، ثم يسجدن على الشاطىء من بعيد مصليات متضرعات ليعود من الاعماق !

اما في (اثينا) فقد وضعوا تماثيل ادونيس فوق القبور وسط جنائن زرعت في احواضها ازهار من الفصائل التي تنمو وتذوي في عجلة .

*

وقد اجمعت الاساطير ان هنالك الهاً للربيع يموت من وهج الشمس في الصيف حتى ليغرق في الظل ثم اذا أطل الربيع خرج بالسلامة !

وتروي اسطورة بارعه ان ادونيس كان فتى في خلابة من الجمال الذي يعيي الوصف وانه فيما هو في بعض المنازه على شاطىء النهر رأى خياله في لوح الماء فعشق نفسه عشقاً غريباً وغرق في بحران من الوساوس فذبل شبابه ، ولما مات نبتت على قبره زهرة تحمل اسمه هي النرجسة بعينها !

وفي كتاب (اوسكار وايلد) لاندريه جيد ان وايلد قال له ذات مرة : عندما مات (نرسيس) جزعت ازهار الحقول وسألت النهر قطرات ماء تبكيه بها !

فاجاب النهر :

— ويحي أنا ! فعندما تصبح قطرات مائي دموعاً لا يكون لي ما يكفي حتى ابكي انا نفسي على نرسيس فاني كنت احبه ..

قالت الازهار :

وكيف لا تكون قد احببت (نرسيس) وقد كان جميلاً !!

قال النهر :

تقولين انه كان جميلاً ؟

قالت :

ومن ادرى منك بذلك ! وقد كان في كل يوم يميل على ضفتك ويرى خيال جماله في مرآة مائك !

فاجاب النهر :

أجل ! كنت احبه وذلك انه عندما كان يميل عليَّ كنت أرى تماوج مياهي في صفاء عينيه ! .

حبيب ثابت

(١) وهو النرجس .

حضارة صناعية جديدة

بقلم اندره سيغفريد • ترجمة حسن صعب

> هل تصبح الجزيرة العربية(*) مهداً لحضارة صناعية جديدة؟
> « ذلك هو السؤال الذي يتساءله المرء بعد ان يقرأ مقالة المؤرخ الشهير سيغفريد في جريدة الفيغارو التي يتنبأ فيها بتحول الحضارة الصناعية الحالية من الطاقة البخارية الى الطاقة الشمسية او المائية، أليست جزيرة العرب أغنى بلاد العالم بالطاقة الشمسية؟ ومن يدري فلعل الجزيرة التي كانت بالامس مهداً لاعظم حضارة روحية عرفها البشر يصبح في الغد مهداً لحضارة صناعية لم يعرف لها البشر بعد مثيلاً ... »
> المترجم



ما سألت نفسي عن تلك المحنة التي يمكن ان يتعرض لها العقل الانساني فيما لو سايرت مقاييسنا العامة عملتنا فيما يعتريها من تضخم متواصل. فاذا ما اتخذت نفسي لذلك مثلاً وضربت طولي ووزني وعمري بالعدد خمسة عشر، فانني لا البث ان اصير ذا قامة لا تقل طولا عن سبعة وعشرين متراً، ولا تقل وزناً عن تسعمئة وخمسة وسبعين كيلو غراماً، واما سنوات عمري فلسوف تتعدى الالف، ومهما كان هذا التحوير للاشياء غريباً فان العصر الذي نعيش فيه يفرضه علينا سواء اردنا ذلك او كرهناه!

فلو قارنا بين وسائل المواصلات منذ مئة سنة وبين ما هي عليه اليوم لألفينا انفسنا امام معجزة من المعجزات. فالملاحة البخارية مثلاً لم تظهر الى الوجود الا في منتصف القرن الماضي وفي سنة ١٨٤٦ لم تكن قد بلغت ١ ٪ مما هي عليه اليوم. ولقد كانت البواخر تمخر البحر مدة ٩١ يوماً في رحلتها من انكلترا الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، واما المراكب الشراعية فكان عليها ان تقضي في هذه الرحلة ١٥٠ يوماً، وما ان شقت قناة السويس حتى انحدرت المدة سنة ١٨٧٢ الى ١٨ يوماً واما في سنة ١٩٣٩ فقد نزلت الى ١٢ يوما في البحر وثلاثة ايام في الجو. وها هي اليوم اقصر واسرع مما كانت عليه حين اعلنت الحرب.

وفي المحيط الاطلسي شاهدنا من ضمور المسافات ما يدعو الى الدهشة. فقد احتاج والدي الى ثلاثة عشر يوماً ليسافر سنة ١٨٦١ من فرنسا الى نيويورك. وها هي الباخرة الشهيرة نورماندي لم تكن تحتاج قبل الحرب في الرحلة نفسها لاكثر من ثلاثة ايام ونصف. ولو ركب والدي « Clipper » لبلغ نيويورك في اربعة وعشرين ساعة، ولو شاء ان يذهب بعد ذلك من ضفة المحيط الاطلسي الى ضفة المحيط الهادي لاوصلته الى حيث يريد ليلة واحدة.

واذا اراد ان يزور اميركا الجنوبية فانه يشاهد فيها تلك الطفرة المعجزة من البغال التي كانت اداة النقل الوحيدة الى الطائرات. وحينئذ يكون سعيداً اذ يتاح له ان يجتاز مسافات الشهور والايام بالساعات!

وهكذا اصبحت مدة الوصول هي المسافة الحقيقية بين البلد والبلد الآخر. وانساقت لهذا التبدل في المسافات مساحات البلدان فباتت روسيا والولايات المتحدة وهما اوسع البلاد مساحة اصغر بكثير مما كانت عليه بالامس، واصبحنا ونحن ننظر اليهما على انهما ما تزالان اوسع بلاد العالم لا نستطيع ان نخفي شعورنا بان سرعة وسائل المواصلات قد صيرت مساحتها مساحة عادية! واما انكلترا وفرنسا اللتان كانت مساحتهما بالامس اعتيادية فقد صارت اليوم ضيقة صغيرة!

ومثل هذا التبدل قد تطرق الى الميدان الاقتصادي ايضاً. فالانتاج الاقتصادي لا شأن له اذا لم يستنفد اعظم القوى، والوحدات الصناعية التي تستطيع ان تنتج كميات كبيرة جداً هي وحدها التي تستطيع ان تصمد للمنافسة العالمية، واما الوحدات المتوسطة فانها على شفا جرف هار...

والبلدان التي لا يعد سكانها اكثر من خمسين مليوناً من البشر ولا تزيد مساحتها عن نصف مليون من الكيلومترات ليست هي البلدان التي تستطيع ان تكون محور القرن الحاضر.

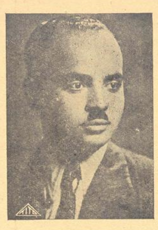
ان بلاداً تبلغ مساحتها الملايين من الكيلو مترات ويعيش فيها مئة مليون من البشر على الاقل هي وحدها التي تستطيع ان تثبت وجودها في القرن العشرين.

والافكار السياسية مقضي عليها بان تتبع هذه التطورات الاقليمية الخطيرة. فذلك التفكير العتيق الذي كان يحاصر امة من الناس في حدود الدولة لم يعد له محل مع هذا التطور التوسعي الجديد، فلا بد ان يصبح تفكير البشر تفكيراً قارياً او تفكيراً

(*) الاديب: ننشر هذا المقال الذي بعث به الينا من باريس صديقنا الاستاذ حسن صعب الملحق بالمفوضية اللبنانية رغبة منا في اطلاع القراء العرب على موضوع له خطورته عندنا.

محيطياً او تفكيراً امبراطورياً ولا بد ان يمتد افق تفكير الامة من الحدود التي تحيط بدولتها الى حدود مجموعات من الامم والدول الاخرى يقيم الجوار بينها وبينهم حدوداً واسعة جديدة!

ولقد اخطأ بسمارك حين حصر نظره في نطاق التفكير الاوربي، فقصرت به عبقريته عن ادراك مثل هذا التطور الذي كانت تسير نحوه الانسانية، (واخذ يسخر من ذوي المطامع الاستعمارية. ووقف وزير خارجية فرنسا Waddington مثل هذا الموقف وعارض الذين نادوا بالتوسع الاستعماري من ساسة فرنسا ورماهم بسهام الهزؤ والسخرية.


الاستاذ حسن صعب

وليس من شك ان مثل هذه البيئات تتعرض لهزات اجتماعية عنيفة من جراء هذه الاتصالات التي لا ضابط لها.

ونستطيع ان نتساءل بعد الذي قلناه ان لم يكن توزيع الثروات الحضارية سوف يتعرض لتبدلات خطيرة. فلقد ارتكزت الحضارة منذ القرن الثامن عشر على الفحم الحجري وادى ذلك الى تفوق القارة الاوروبية التي كانت اغنى القارات بالفحم الحجري، فاصبح عهد الآلة البخارية عهداً اوربياً.

ولكن هذا الحلف بين الآلة والفحم الحجري آخذ في الانفكاك يوماً بعد يوم. وها هي الطاقة التي لم تكن تتولد، الا

الا ان الزمن اظهر ان الساسة الذين سخر منهم هذا الرجل كانوا على حق فيما ذهبوا اليه. وانه لولا صدق فراستهم لما كان لفرنسا مكانها في هذا العالم الجديد. فان كل سياسة تعجز عن مسايرة هذه النزعة التوسعية العالمية مصيرها الاخفاق لان المقاييس الاساسية للعالم الحاضر لا تحتمل ولا تتقبل الا السياسة التي تستطيع التوسع والامتداد.

اما العزلة فان مصيرها في مثل هذا العالم الى قضاء محتوم. لان كل ما في الحياة الجديدة يتناقض مع بقاء مجتمع منعزل عن المجتمعات التي تحيط به من كل جانب. ولئن استطاعت بعض المجتمعات ان تحافظ فيما مضى على طابعها المحافظ، وان تبقى بعيدة عن التأثيرات الخارجية، فلقد جاء الزمن الذي تهبط فيه الطائرة في اي مكان مهما كان قصياً ومنعزلاً، فتحمل اليه مؤثرات المجتمعات الاخرى، واصبح الراديو وهو يتسلل لاكثر البيئات انفراداً يحكم على فكرة العزلة بالاختفاء والزوال.

ولقد اصبحت الاتصالات والتفاعلات مستمرة بين اقوام يعيشون في القرن الذي نحن فيه واقوام تعيش في قرون خلت دون ان يكون في هذه الاتصالات اي مراعاة للفروق التي تفصل بين هؤلاء الاقوام، وها هي البيئات التي لا تزال يعشش فيها التفكير البدائي، وتنتشر بين اقوامها المعتقدات الخرافية لا تستطيع ان تقيم حائلاً دون سريان التيار الميكانيكي للقرن العشرين في حياتها.

عن الفحم الحجري الذي امتازت به اوربا تتولد عن مواد اخرى. أفلا يكون هذا نذيراً بانهيار ذلك الاحتكار التقليدي للصناعة الذي فرضته اوربا على العالم حتى الان؟

ان الطاقة الشمسية قد تحل محل الطاقة البخارية. وقد تحل محلها الطاقة المائية. ولكن المهم هو ان هذا التبدل في الطاقة يمكن ان يتبعه تبدل في مراكز الحضارة الصناعية الحاضرة فهل نكون على اهبة مواجهة خارطة صناعية جديدة تحول النفوذ الاقتصادي الاوربي الى مناطق وقارات اخرى من العالم؟

باريس — حسن صعب

اصلاحية الاحداث

قررت لجنة اليانصيب الوطني تخصيص ارباح السويبستيك الذي يجري في ٦ ايار القادم في بارك بيروت لبناء اصلاحية للاحداث، وقد وافقت الحكومة على هذا القرار الذي يتناول ريع كل الحفلات التي هي من نوعه والتي يبلغ عددها اربع حفلات سنويا.

فنتمنى لهذا السويبستيك الاول النجاح الكبير الذي يستحقه هدفه الانساني المجيد.

افراح بغداد وولائمها

بقلم صلاح الدين المنجد

عرفت الاعصر * العباسية حقبة ذهبية يصح ان تسمى حقبة الترف . والترف كما يعرفه علماء الفن والاجتماع هو مزيج من التبذل والتفنن الذي يعتمد على رقة المشاعر ورهف الذوق . ولا يكون التفنن بالغاً اوجه الا اذا اتسعت الثروة وكثر الذهب .
فاذا قلنا ان في العصر العباسي حقبة ترف ، فاننا نقصد انهـا حقبة التفنن في كل ناحية من ضروب الحياة ، هذا التفنن الذي يستمد من رهافة الذوق ورقة الشعور جماله وظرفه ، ويجد في الذهب والثروة نموه وازدهاره .

هذه العناصر الثلاثة : التفنن ، والذوق ، والذهب ، هي الاثاوي التي ولدت في الحقبة التي اشرنا اليها ، أناساً لهم عاداتهم وطباعهم ، ولهم مذهب في الحياة لطيف ، وطريقة جميلة ، اسمهم الظراف والمتظرفات ، او المترفون والمترفات .

ولن تجد ، امتع ولا اروع ، ولا احلى حلاوة على القلب ، من تتبع الحياة الاجتماعية في الحقبة المذكورة . لان في ذلك لذة فكرية ، ومتعة ادبية ، تجدهما في صور بغداد ، وطن المباهج ، ومركز الفكر والادب والذوق واللهو .

فاذا عرضنا صوراً منتقاة من افراح بغداد وولائمهـا في تلك الحقبة ، فانك واجد فيها من الجمـال والجدة والطرافة النصيب الكبير . لان الترف يكسبها الرقة والحياة ، والذهب يرف عليها بالنور وبالسناء ، والفن يخلع عليها الطرافة والبهاء ، ويكسبها بعد ذلك الذوق العربي ، والذوق الفارسي ، البهجة والرواء .

. . . والحديث عن الافراح والولائم وحدها ، بصورة عامة ، لذ طريف تحن اليه النفس وتهش له الروح ويروق الخاطر . لانه حديث فيه جذل ونور ، وضحك وسرور ، وجمال وعطور ، ونحن نحب سماع ذلك لما نشعر به عند سماعه . فما ظنكم اذا شع الفرح ، ورف النور ، واشرق الجمـال ، وفاح العطر ، في قصور بغداد التي زعموا انهـا فرت من الفردوس ، فأتت حفافي دجلة لتغرق في النعيم ، وتتلألأ بالحسان ، وتزهر بالغلمـان ، وتصفق للعزف والشعر ، وتطرب للحب والانغام ! . .

والحق ان اعراس بغداد وولائمهـا كانت افراحاً ما طاولتها افراح ، في النضارة والفخامة ، او فاضلتها في الروعة والاناقة ، او دانتها في البهجة والضخامة . ومن اجدر من بغداد العروس ، بتقديم اجمل الاعراس واعجب الولائم .

واذا كان الحديث عن الاعراس لذاً طريفـاً ، فالاطرف من التحدث عنها ، ان يشهدها المرء ، فتغمره بنورها ، او ان تصور له فيحس لمرآها بنشوة صافية . ولهذا عني الغربيون بتصوير مباهج الاعراس الكبيرة ، واستمد منهـا الفنانون والمصورون روائع خالدة ، ما تزال تزدان بها في الغرب المتاحف ودور الآثار . فقد رسم « رافائيل » عرس « ابنة الدوبرانديني » الحسناء الفلورنسية ، باروع مـا صور به مصور عرساً . وصور عرس « روكسان » زوج الاسكندر المقدوني ، ولكن اروع ألواحه هو عرس « بسيشه » الفتاة الجميلة التي تزوجها إله الحب ، كما تزعم الاساطير . ورسم « رامبراند » عرس « جانسون وكريبوز » . وكذلك رسم فنانون آخرون اعراس الاغريق . فصور « جان دُرين » عرس « بيله » ابي آشيل البطل ، و « تيتيس » احدى عرائس البحر . واهتم آخرون بتصوير اعراس اخرى استمدوها من التوراة ، كعرس اسحق ، ويعقوب . كما صور غيرهم الاعراس الفلاماندية ، والالزاسية ، والهولاندية ، والبريطانية ، واعراس فينسيا ، ولشبونة ، وباريس . .

وما اعلم ان العرب تركوا لنا صوراً تمثل اعراسهم الماضيات ، رغم انهم برعوا في التصوير براعة كبرى ، فزينوا جدران قصورهم بتصاوير شتى ، تعجب لحسنها العين ، وتدهش لاتقانها النفس . وما ندري فلعلهم صوروا مباهج ترفهم على جدران قصورهم ، فعفاها كر العصور ، وكثرة الفتن .

على ان كتب الادب والتاريخ ، قد حفظت لنا اوصافاً دقيقة لاعراسهم وولائمهم ، تغنينا عن الالواح والصور .

فمنذ بدأت حقبة الترف ، زمن المهدي ، ظهرت روعة الافراح فقد كانت الثروة قد اتسعت ، وكان الفرس قد تغلغلت في البلاد . وكان المهدي نفسه لا يحفل بالمال ولا يمسكه ، وكان ميالاً للبذخ والطرب واقتناص اللذات . فلذ بما شاء ، وترف بما اراد ، ولها بما أحب . ولعل بذخه وترفه يظهران في الزفاف الذي اقامـه لابنه هارون الرشيد ، عندما تزوج زبيدة . فقد احتفل بذلك احتفالاً كبيراً ، واستعد له استعداداً عظيماً ، وانفق عليه خمسين الف الف درهم . فماذا صنع ؟

* طرف من محاضرة القيت في المجمع العلمي العربي بدمشق .

لقد اقام الزفاف في قصر الخلد ، على ضفاف دجلة ، ودعا الناس قبل شهور من الآفاق ، فاقبلوا مسرعين ، يمنون انفسهم بنوال كثير ، ومقام طيب . فاضافهم المهدي . واتى بالآلات المختلفات : أتى بالآنية المصنوعة من الذهب والفضة ، وبالفرش والبسط الارمينية الفاخرة ، هذه البسط التي كان الوليد بن يزيد يحبها ، ويفرش بها ارض مجالسه ، ويزين بها حيطان قصوره ، والتي كانت اخر ما يهدى للخلفاء ، والتي قال عنها ماركوبولو الرحالة ، لم تر عيني اجمل ولا اجود منها . واتى ايضاً بالثياب المطرزات بالذهب ، وبالطيب المختلف الالوان والضروب ، وبالجوهر الذي ملأ به الصناديق الكبار ، وبالحلي المرتفعات الاثمان . وملأ القصر باجمل الوصائف والخدم والغلمان .

فلما كانت ليلة الزف ، ألبس زبيدة العروس قميصاً كله من الدر الكبار ، مما لم ير مثله ، ولم يقف احد من المقومين له على قيمة لنفاسته . وألبسها بدنة امرأة هشام بن عبد الملك ، والبدنة ثوب كله من الذهب ، لا يدخل فيه من الغزل سوى اوقيتين ، وينسج سائره بالذهب ، وزينها بالحلي حتى لم تقدر على المشي لكثرة ما عليها من الجوهر . ويقول متز : ان هذا شيء لم يسبق اليه أكاسرة الفرس ولا قياصرة الروم ولا ملوك الغرب . وجاء نساء بني هاشم ، فكان يدفع لكل واحدة منهن ثوب وشي ، وكيساً فيه دنانير ودراهم ، وآنية ملأى بالفضة وكان الخدم يملؤون اواني الذهب بالدراهم واواني الفضة بالدنانير ثم يدفعون ذلك الى وجوه الناس ، ويردفونه بنوافج المسك وقطع العنبر (١) .

وبذخ المهدي بذخاً بهر الناس . فقد خلف له المنصور والهادي الاموال الكثار ، فترف واتلف . وكان هذا الزفاف اول ما تألق من سعد الرشيد . ومات المهدي وخلفه الرشيد فرتع في بحبوحة من العيش . وامتد السلطان ، وحملت اموال الدنيا الى بغداد ، لا لتنفق في وجوه الخير دائماً ، بل لتفرق على الفرس ، والشعراء ، والقصاد ، وتخبأ لتنفق في زفاف آخر عظيم .

(١) من الديارات الشابشتي (دير السوسي) وهو كتاب نادر ، صححناه ، وعلقنا عليه ، وسينشر قريباً .

(وهنا تكلمت على عرس المأمون ورقاعه . ثم انتقلت فذكرت وصف عرس قطر الندى بنت خمارويه ، عندما زفت الى المعتضد ، مما هو معروف) .

. . . ولعل من الطرافة ان احدثكم ، قبل ان انتقل الى الوان أخرى من الافراح وصف عرس قام في فرنسة ، في القرون الوسطى ، اي في الحقبة نفسها ، التي كانت تجري فيها تلك الاعراس في بغداد . لتقايسوا بين اعراسنا واعراسهم :

فقد كانت العادة في بلاط ملوك فرنسة اذا احتفلوا بزفاف له شأن خطير ان يرقصوا رقصة المشاعل . وهي ان يمسك كل مدعو الى الحفلة الملوكية ، بشمعة طويلة بيده ، فيرقص ويقفز وهي تشتعل . وقد قص الاخباري « فرواسار » وصف عرس من تلك الاعراس ، حضرها الملك شارل السادس :

قال : أقيمت الحفلة في القصر الملكي ، لزفاف احدى وصائف الملكة « ايزابو د بافيير » الى رجل من الاشراف . فعهد الى فارس نورماندي بترتيب الحفلة . فاراد الفارس ان يتفنن في الرقص ، ابتغاء مسرة الملكة ، وطلباً لمرضاة النساء . ففكر ان يلبس المدعوون لباس الحيوانات المتوحشة ، من جلود عتيقة ، وصوف غليظ ، وشعر ملبد ، وشرط ان لا يشترك في الحفلة الا من ألصق بجلده شعراً او صوفاً ، وتشبه باحد الحيوانات . ونفذت الفكرة ، ولبس النساء والرجال الجلود وألصقوا بها الشعور والصوف ، وغطوا بها اجسامهم من اقدامهم الى رؤوسهم . بحيث يحسب الرائي ، ان المدعوين ، وحوش فارة شريدة . ولبس الملك شارل السادس ما لبسه غيره ، وقلده اربعة من اكبر رجال البلاط .

الاستاذ صلاح الدين المنجد

وبدأ الرقص . واخذوا جميعاً يرسلون ، وهم يقفزون ويرقصون ، اصواتاً يقلدون بها اصوات الحيوانات والوحوش ، حاملين تلك المشاعل بايديهم . وكان كلما زاد عواء الواحد منهم او نباحه او زئيره ، واتقن تقليد الصوت ، ازداد اعجاب الحاضرين به . . . وبينما كانت الوحوش تصرخ وترقص بفرح وسرور ، مس احد المشاعل ذنب احد الحيوانات . فاشتعل وهو لا يشعر . فلما احس ، ازداد قفزانه فزاد لهبانه . وسرت النار الى الراقصين ، فازداد

تقفزهم وصراخهم ، وزاد سريان النـــار فيهم ، فاحترقت جسوم بعضهم ، ولم ينج منهم الا القليل .

ويقول فرواسار ان الملك شارل السادس ، ظهرت عليه علامات الجنون منذ تلك الليلة[1] .

وهكذا نرى ، انه بينما كانت حفلات الخلفاء في العصر العباسي ، آية في التفنن والذوق مترعة بالوان المباهج والمفاتن ، كان اعراس الغرب ، مسرحاً الوحوش ، ويخرج الملوك منها مجانين .

*

والى جانب هذه الاعراس البغدادية نجد ولائم اشد روعة ، واكثر جمالاً . يحسبها القارىء خيالاً ، وهي حقيقة .

من هذه الولائم الرائعة ، وليمة صيد اقامتها حمنة بنت عبدالله الهاشمي للمأمون . وكانت حمنة آدب نساء بني هاشم ، فصيحة اللسان ، حلوة الكلام كثيرة المال . وكانت تهوى المأمون . فذكروا من خبرها ، ان المأمون كان جالساً يوماً في ايوان واسع قد ابتدعه لنفسه ، وصوّر على حيطانه صيد البر والبحر ، واقــام فيه اربعمائة وصيفة ، بقراطق من حرير ، بقدود واحدة : مئتين عن يمينه ، ومئتين عن يساره . وكان عنده يحيي بن اكثم كبير القضاة . فدخلت عليهما حمنة . فقال لهــا المأمون : « هل كان لابيك يا حُمَيْنة ، او لاحد من الخلفــاء ، مثل هذا الايوان ؟ » قالت : « متعك الله به وعمره بك . ان اجبت حمنة ، اجلستك في مجلس ، لم تجلس في مثله قط ، واصادتك صيداً لم تصد مثله قط » قال : « يا حمنة ، قد اجبتك الى ما سألتني ، وسآتي مع يحيي غداً . »

فلما كان الغد ، ذهب المــأمون ويحيي ظهراً الى دار حمنة . فاقبلت نحوهما بنفسها تستقبلهما . ومشت بهما الى بيت في بستان عظيم ، قد حُمل على اربعة اعمدة من الرخام . فدخلاه . واذا في صدر البيت اشعار غزلية منقوشة بالدر والجوهر ، وقد فرش بالفرش الارمني ، الموشى ، المنقوش باللآلىء . وفي جنباته مطارح الديباج الاخضر المحشوة بالريش . وكانت روائح المسك والعنبر ، والند والعود ، الموضوعة في اوان ذهبية فضية ، تفوح ، فيعبق اريجها . فدهش المأمون لجمال البيت وحسنه . فاستراحا . ثم اخرجتهما الى ميادين أنشئت حول البيت ، فيها انواع الرياحين من ورد وسوسن وبنفسج ، واذا بمائدة قد نصبت ، وعليها انواع المآكل الفريدة . فجلسوا يأكلون . واعجب المأمون فقال : والله مــا طعمت مثل هذا الطعام قط . ثم امرت بنوادر الفاكهة ، فحملت من البستان ، واقبلت جاريتان عليهما جبــاب الوشي المنسوج بالذهب ، وعلى رأسيهما تاجان مكللان بالجوهر . فجلستا تضربان وتغنيــان . فانتشى المأمون ، وصاح هذه هي الجنة . فلمــا طربا قال يحيي : يا امير المؤمنين ، ألا نطوف في البستان المجاور ؟ فقاما ومعهما حمنة . وكانت حمنة قد زينت هذا البستان باحسن ما تقدر عليه ، وحملت اليه الاشجار من جميع الاقطار ، ووشّته بازاهير شتى ، واعاشيب مختلفات . واتخذت فيه الواناً من الطيور كالهزار ، والعنــادل والشحارير ، والقماري ، وتبخترت في جنبــاته الطواويس .. فأخذوا يستروحون اريجَ الزهر ، ويمشون هوناً في حواشي البستان ، ويتمتعون بجمال دجلة . فقالت حمنة : ألا تصيد يا امير المؤمنين ؟ قال : بلى . وانفتل مع يحيي الى الصيد . وما كادا يتوغلان في البستان ليصيدا الطيور ، حتى ظهرت فجأة مائة وصيفة من وصيفاتها الحسان ، بطرر واحدة ، وشعور واحدة ، لابسات ثيابــاً موشاة كالازاهير . وفي اوساطهن مناطق الذهب ، فانطلقن ... كالعصافير بين الاشجار . واخذن يقطفن النوْر ويتضاربن بالرياحين ، ويرسلن الضحكات . فشده المأمون وزاغ بصره ، واعجب بما رأى . وهمّ يحيي ، قاضي القضاة ، ان يلحق بهن ، ففررن منه ، وعدون من هنا وهناك ، يختبئن تارة ويظهرن تارة ، في ظلال الكرم المعرّش بين الرمان والريحان .

وفتن المأمون بذوق حمنة ، وظرفها ، وبراعتها ، وبلوغها في التنسيق والترتيب الغاية فأمهرها من ساعته الف الف دينار ، واقطعها مائة من منتخبات الضياع ، واضحت زوجاً له[1]

هذي هي الوليمة كما وردت . سقتها لتروا ما فيها من البراعة والظرافة والذوق . ولكني احسب ان هناك ماهو اروع واحلى .

هناك الحفلة التي اقامها المتوكل على الله لاعذار (طهور) ابنه المعتز . وللمعتز كان محبباً الى ابيه للطفه وفرط جماله . وقد اقام المتوكل هذا الطهور في قصر اسمه بركوارا . وهذه كلمة فارسية معناها ، على ما قيل لي ، قصر الهنـــاءة . وكان من احسن ابنية المتوكل واجلها . بلغت النفقة عليه عشرين مليون درهم . فكانت حفلة الاعذار نادرة ، اقيمت في ايوان القصر ، وكان طوله مائة ذراع اي ما يقرب من خمسة وسبعين متراً ، وعرضه خمسون . فأمر المتوكل وزيره الفتح بن خاقان ان يلتمس في خزائن الفرش ، بساطاً لهذا الايوان يكون بطوله وعرضه . فلم يوجد في مكــان

---

[1] انظر كتاب : F. Brento. La Société au Moyen Age. (Flammarion)

[1] عن عيون التواريخ لابن شاكر (مخطوط في الظاهرية) .

الا فيما أخذ من امتعة هشام بن عبد الملك الاموي . وكان بساطاً من الحرير والذهب . قوّم بعشرة آلاف دينار . فمدّ في الايوان . ونصب للخليفة في صدره سرير يرى الناس منه . ومدّ بين يديه اربعة الاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر،فيها صور شتى من العنبر والمسك . وخصص لكل من المدعوين من الامراء ، والقواد ، والقضاة ، والشعراء ، والندماء ، مكان . ووقفت في صحن الدار، امام الايوان ، اربع مائة جارية . ونثر في الايوان ، وفي صحن الدار خمسة آلاف باقة نرجس ، وعشرة آلاف باقة بنفسج . فكان منظر الجواري الحسان ، والبساط الحرير الرفاف ، والنرجسات المحدقات كالعيون الفواتر ، والبنفسجات الدقاق اللطاف ، من ابهج المناظر وابهاها . وفي هذا كله من الذوق كثير .

وحمل التفاح من الشام الى بغداد لهذا الاعذار . فوضع في صحن الدار ، في الف سلة من خيزران ، هو والليمون والاترج . .

واقبل الناس . . فجاء الامراء ، كأولاد الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم . وتبعهم القضاة والقواد . ثم جاء الندماء ، وكان فيهم ، ابن المنجم ، وابنا حمدون . ثم اقبل المغنون والزامرون والدفافون ، كعمرو بن بانة ، وابي حشيشة الطنبوري ، وزنام الزامر ، وابن الحفصي . . واقبلت المغنيات لابسات متريقات ، وفيهن بدعة التي شريت بالاف الدنانير .

وامتلأ الايوان بالاشراف والكتاب والناس . فأكلوا مآكل غريبة . وكان امام كل رجل قفة صغيرة . فكان الخدم يطوفون فيملؤونها بالدراهم والدنانير . فيأخذها الرجل ، ويضعها في كمه أو جيبه ، وكلما فرغت ، ملأها الخدم فكان اذا أثقل الواحد منهم ما اجتمع في كمه ، اخرجه الى غلمانه ، فدفعه اليهم ، خارج القصر ، وعاد الى مجلسه يملأ جيبه وكمه مرة اخرى ، حتى اذا انصرف، اعطي ثلاثة اثواب ، وحمل على فرس او برذون الى داره .

واجتمع الجواري والخدم ، من البيض والسود ، والغلمان ، والقهارمة ، بعد انتهاء الوليمة ، فنثر عليهم عشرون مليون درهم . ثم اعتق المتوكل الف عبد ، ووهب قصر الهناءة للمعتز ، وانتقل الى الجعفري ، وكان ما وصل حرملة المزين ، ثمانون الف دينار ، سوى المصاغات والخواتيم والجواهر .

وكان ما انفق على هذا الاعذار ستة وثمانون مليون دينـار !
وقد كانوا يقولون : ان زفاف الرشيد هو دعوة الاسلام ، فلما شهدوا زفاف المأمون قالوا : بل هذه دعوة الاسلام . ولما رأوا طهور المعتز قالوا : هذه دعوة لم يكن قبلها مثلها ولن يكون .

على انه ان لم يقلدوا ما فعل المتوكل في هذا الاعذار ، فقد اخترعوا الواناً أخرى من المفاتن ، فاقت وليمة المتوكل . فقد كانوا كلما ازداد بهم الترف ، واستفاضت الثروة ، اوجدا اشياء لا تخطر على البال ، ولم تر او نسمع بمثلها . وقد يأتي بهذا من ليس بخليفة او وزير،بل متول من المتولين على الدواوين فقد كان للعباس بن الحسين دار يجتمع فيها دجلة والفرات . فانتهى خبرها الى احمد بن بويه ، فاحبّ النظر اليها فدعاه العباس واولم له .

عمد العباس بادىء بدء لداره ، فجدد فرشها كله ، واتى بالديباج السندسي المنسوج لها بقدر طولها وعرضها ، المثقل بالذهب . واتى بالارمني الرفيع وبالخز المرقوم ، وغير ذلك من الفرش

فلما فرغ من ذلك ، دعا احمد بن بويه . وكان الوقت زمن النيروز الفارسي وقد زادت المياه،وتكامل النبت، ونوّر الشجر، وطلع الثمر . وكان اصطنع في بستانه المحيط بالدار ، على البركة العظيمة التي يجتمع فيها دجلة والفرات ، قصراً مرتفعاً ذا أربع طبقات من السكر . وكان لهذه الطبقات نوافذ وابواب ، وكانت هذه الابواب تنفتح فتخرج منهـا صور من السكر على هيئة الجواري والغلمان ، بصنوف الملاهي ، في احسن الملابس . فكانت تدخل وتخرج ، وتذهب وتجيء . فلا يشك الناظر انه قصر صحيح . وجعل العباس على شرفات الطبقات صوراً من انواع الطير والوحش، كالعنادل والهزار ، والسباع والفيلة ، كل ذلك من السكر المموه بصنوف الاصباغ والنقوش والذهب . . . وكل طائر او حيوان يرسل صوتاً مثل صوته . فلما كان يوم الدعوة ، امر بان يجمع ما في بغداد من الورد . وجعل في اسفل دجلة حبلاً كالسد . واتى بالورد فنثره فوق دجلة ، حتى غمر صفحته اميالا . واقبل احمد بن بويه في سميريه يشق الورد ، فلم ير احسن من ذلك المنظر .

وتلقى العباس ، احمد بن بويه وبنيه ، فطاف بهم في جنبات البستان فاعجبوا بقصر السكر أي اعجاب . ثم أسمعهم المطربين والمسمعات ، ثم اطعمهم مآكل تفوق كل وصف .

ولما اراد احمد بن بويه ان ينصرف ، قدم له العباس آنيتين من ذهب وفضة في الاولى الف دينار ، وفي الثانية الف درهم ثم فرّق الاموال على القوّاد،ثم امر بنهب قصر السكر فنهبه الحشم والغلمان.

. . . فتلك صور ضاحكة لافراح بغداد وولائمها ، ترف فيها الحضارة ، وقد كنت اود ان انقل الكم صوراً اخرى اكثر روعة، ولكن الحديث طويل . .

دمشق — صلاح الدين المنجد

صوت من المهجر

الادب العربي بين اصمعي مصر واصمعي العراق

بقلم عبد الله بري

اذا جاز لي ان استعرض اميز الصفات الاجتماعية للامم ، فانما يجوز لي ان استعرض الادب الصحيح في كل امة بنوع خاص ، على ما لهذا الادب من علاقة فنية بالروح ، وعاطفة قومية في الشعور ، وظاهرة عقلية في الاخراج والانتاج ، حتى اذا ما خرجت هكذا من الاستعراض بنتائج مرضية ، ومن ذلك الاستقراء والاستقصاء باطمئنان قوي ، كان لي حق القول ان الادب في الامة هو حياة الامة ، وان الادب في الفرد والجماعة هو مرآة للنفس ينعكس عليها من انوار الثقافة ما يجعل افق الهيئة والمحيط الذي يعيش فيه الاديب وضاءاً وهاجاً ، فيه من سمو الفكرة احوال الرقي ينتظم بها المجتمع ، وفيه من نبل القصد اوضاع للنجاح تتميز بها الاخلاق والكرامه بالاعتداد والثقة ؛ اوضاع قد تدفع بالفرد فيصبح – بادبه – على رأس امة ، وقد تدفع بالامة فتصبح – بادبها – على رأس امم وقد يكون الاديب بهذه القوة الاجتماعية الدافعة اديباً لشعبه واديباً لغير شعبه ، لان الادب – كالحساب – هو لغة عالمية تختلف في النطق ولكنها تتحد في المعنى ، وتتوزع بالجنس ولكنها تتوحد في الهدف وتتنوع في الوضع والانشاء ولكنها تنسجم في الانبثاق العقلي انسجاماً تعاضده وحدة النظام والمدلول والاطلاق والشكل في استقلال دولة الادب – الانترنيشيونية – التي انشئت على اسمى القواعد الانسانية – من الروح والى الروح !

واراني بهذا الاستعراض للادب – بوجه عام – اضطر الى الرجوع لاستعراض الادب العربي بوجه خاص ، غير اني قبل ان ابدأ بشرح الاشياء والحالات – عن هذا الادب بالمقارنة – وسرد المعاني والاوضاع بالمقابلة يجدر بي ان اظهر ما بقلبي من كآبة وما بنفسي من اسف على ما يلقاه الاديب في حياته من الصعاب والمناوأة وما يجابه في محيطه من – معارضة وتسفيه رأى حتى اذا خطفت حياة الاديب يد الموت ومحت يد القدر اسمه من سجل الزمان وصفحة الايام عاد التاريخ فكتب لفكرة الاديب الحياة من جديد وجاءت الامة تكتب اسمه ثانياً ولكن على ضريح ، وتحي ذكراه ولكن برحمة فسيولوجية مقرونة بالفاتحة او الصلاة .

فاذا كان الاحياء للادب والاعتراف للاديب يأخذ شكله المعروف في قلوب الناس فيجب علينا ان نقوم بهذا الاحياء وذلك الاعتراف في حياة الاديب لا في موته ، لان لسان الاديب الناطق – اذا مات – يخرسه الفناء ، وقلبه الخافق – يفنيه العدم ، وسمعه المرهف وعاطفته الجياشة تصبح خرساء معطلة كأن لم تسمع – من بعد – الحاناً ، ولم تنطق – من قبل – بالفنون والروائع ، ولا تجيش بالبدائع والاشكال والالوان .

واذا جئت الان اقارن بين حياة اديبين عربيين كبيرين – اصمعي مصر الدكتور طه حسين واصمعي العراق – الاصمعي – ارى الاول في حياته يكاد يكون اعتزالياً يؤثر السكوت على النطق في بعث اللغة ، ويفضل الترك على الجد والنشاط في احياء الادب ، ذلك انه حاول – بتجارب كثيرة – ان يخرج الادب العربي من صبغته القديمة فيجعله قريباً بالملاءمة الى الشعور الجديد لحاجة الادب فاخفق بهذه المحاولة اخفاقاً اتهمه فيه «القديميون» بالتطرف ، ورمته فيه العقائديون بالالحاد ، وهو في التهمة الاولى كان جريئاً لا متطرفاً ، وفي التهمة الثانية كان مؤمناً وحراً نزيهاً لا ملحداً ، ونرى بعد ذلك ان سلطان العقيدة – عقيدة غيره بالطبع – يضع يد الدكتور طه حسين في قيد مقفل ولسانه في وثاق محكم ، حتى اذا كتب فانما يكتب على نمط يسير مع العقيدة ، واذا خطب فانما يكون خطابه كمن يخطب ود الناس لا كمن يتحرى موطن الضعف في نفوسهم فيطمس معالم ذلك الضعف بقوة الادب وعزة الانشاء .

والادب – على ما نعرف – هو ريحانة الاديب وزهرة قلبه ، يسقيها من دموعه وعصارة عقله وقلبه ، لكي يفوح شذاها ويزكى عطرها فاذا شمها الناس عبقت منها رائحة نفسه ، وانتشرت وتخضلت

فيها عواطف قلبه ، واذا طرحها المتعصبون فليست هي المرة الاولى التي تطرح فيها الازهار والورود بعد الشم .

ويتراءى لي – وانا بعيد عن الدكتور طه حسين – انه جاهد جهاد المتنبي والزهاوي – ليكون اديباً لامة فما نجح ، وجرب ان يكون اديباً لشعب فاخفق ، وهو في تجربته هذه وجهاده ذاك رأى في ادب الامة العربية ضعفاً ونقصاً فأراد ابدال القوة بالضعف ، وتغيير النقص بالكمال ، فناوأت طبقة من الامة العربية هذه الحركة التجديدية على اعتبار انها جاءت على غير الوجه الذي ترضاه هذه الطبقة ، ولقد غلط الدكتور طه حسين في منهاج حركته هذه غلطاً تناول فيه الادب الديني قبل ان يتناول الادب القومي ، في حين انه كان من واجبه – كزعيم للادب العربي – ان يترك الآداب العربية التي لها صلة بالدين ، ويتحرى الآداب الشعبية التي لها علاقة بالثقافة والطبائع والغرائز بدراسات فنية وافية يستعمل فيها مقارنات ومشابهات واضحة من علم النفس لينوع القابليات الاجتماعية في فهم حركته الاصلاحية الجديدة وقبولها ، وكما هو معروف سيكلوجياً – ان الناس يعرفون بمحافظتهم على التراثات القديمة اكثر من محافظتهم على المخلفات الجديدة ، ويودون ان يعتنقوا المذاهب ويؤمنوا بالافكار ويأخذوا بالاراء التي يرونها مناسبة لطباعهم وقابلياتهم لا المذاهب والافكار التي يجب اعتناقها والاخذ والايمان بها وهم – في هذه الحال – قد رأوا في آراء الدكتور طه حسين تهجماً لا نقداً ، وشذوذاً لا صحة ، ولكنهم سوف يرون غير ذلك عندما يموت اصمعي مصر الدكتور طه حسين – له العمر الطويل – اذ يرون حقاً ما كانوا يعدونه باطلاً ، ويرون صدقاً ما كانوا يعتبرونه كذباً ، ويرون ايماناً ما كانوا يرونه الحاداً !

ويجلو لنا من وراء الخصائص والميزات العلمية التي يتمتع بها الدكتور طه حسين ان التفاوت الثقافي يكاد يكون بينه وبين الاصمعي بيناً واضحاً ، على نحو ما عرف عن الاصمعي انه اثناء حياته في نصف القرن الثاني الهجري كان ينتقد الشعراء انتقاداً لاذعاً اخذه بالعادة عن النقادة العربي خلف الاحمر ، كما انتقد الدكتور طه حسين الشعر والشعراء ، وكان الاصمعي مستشاراً للمأمون يرجع اليه في الحكم بصحة القضايا الادبية والعلمية ، والدكتور



الدكتور طه حسين بك

طه بمركزه كعميد للآداب يرجع اليه الان – بالاستشارة – في امر الادب وقد الف الاصمعي تآليف كثيرة منها كتاب خلق الانسان وكتاب الاجناس وكتاب معاني الشعر وألف الدكتور طه حسين حديث الاربعاء والادب الجاهلي وما الى ذلك من مؤلفات قيمة ، الا ان التقارب في النظريات لم يمنع ان يكون الاصمعي في العراق اوسع خبرة واوفر معرفة في اطباع الناس اكثر من الدكتور طه في مصر – وان كان الدكتور اغزر ثقافة وعلماً منه – اذ كان ابو عبيدة معاصراً ومنافساً للاصمعي في اللغة والرواية



الاستاذ عبدالله بري

وكانت الاداب العربية تخضع لسلطان الخلفاء والامراء في السياسة ، وتخضع لسلطان الدين في العقائد – كما هو شان الدكتور طه بوجود المنافسين والمعتقدين – ولكن الاصمعي كان يعرف كيف يخرج بادب النقد من دائرة الجمود – بلباقة وحذاقة – الى حظيرة الحياة المتحركة ويعرف كيف يرد على الاسئلة التي توجه اليه بشأن الآداب الدينية فيقول قالت العرب وهذا رأي العرب ، مبتعداً بهذا التحايد عن سوء التهمة وقبيح الظن ، ولذلك فقد احبه الناس والامراء وقربوه الى قلوبهم ومجالسهم وشهدوا له بالفضل والعلم ، ولقد شعر كما شعر الدكتور طه حسين ان الشعر والاداب العربية تطغى عليها موجة من الادب الفارسي الذي يتمخض بالحزبية والعصبية والمنافسة ، فلم يعلن رأيه بهذا الادب وهذا الشعر كما اعلنه الدكتور طه ، بل ذهب يناضل الاداب المزيفة والدخيلة – نضالاً سلمياً – بقصص وروايات وشعر انشأها انشاءاً وخلقها خلقاً ، فاذا بشعر الاصمعي الذي انتحله لغيره انتحالا لو جمع لكان ملحمة ، واذا بروايات وقصص الاصمعي لو جمعت لكانت بمثابة مليون ليلة وليلة والف كليلة ودمنة .

ولقد كان الاصمعي يغتنم الفرص ويتحين المناسبات حتى اذا وجد فرصة لبث دعوته في نقد الادب دعا اليها بالتصحيح النزيه المجرد ، وجاهر فيها بالرواية واللغة والاثبات ولكن الدكتور طه حسين غير ذلك انه لا يعتقد بالمناسبة ولا يؤمن بالفرص فاذا ظهرت لوعيه

ومهمه فكرة عقيمة في الادب العربي بادرها بالتهجم العنيف ، وحاربها بالقسوة العلمية الشديدة والفكرة – بوضعها – هي الناس بذات الناس ، ولذلك يأتي النقد بنتيجة غير النتيجة التي يتوخاها الاديب ويجيء بمحصول غير المحصول الذي يرغبه الادب .

ولقد هاجم الدكتور طه حسين اوضاع القديم التي تسد الطريق على البعث الجديد مهاجمة فعالة ومحقة في زمن لم ينضج فيه العقل العربي وفي وقت لم ترتق فيه الاداب العربية ارتقاء ملموساً، وقد لقي لوماً وعتباً وقسوة وشدة بتلك المهاجمة – يومذاك – فرجع الى اعتداله ينشد لنفسه جواً ضيقاً يصعد فيه الزفرات والحسرات وانتقل بهذا الجو من اشتغاله بالادب – كأديب لامة – الى اشتغاله بالادب – كأديب لشعب

ونرى اليوم – الدكتور طه حسين – عندما يكاد العقل العربي يقارب دور النضج الفكري وعندما تكاد الاداب العربية – تتصل بظاهرة محسوسة من ظواهر الرقي والنمو يسكت سكوت من لا يعنيه الامر ، في حين ان الفرصة الاصمعية سانحة لنقد الوضع البيئي الذي يجب فيه فصل الادب عن العقيدة واخراج قوة الادب من ضعف الادب واخراج المعدوم من العدم – على حد تعبير علماء الكلام

ونرى الفرق – من جهة ثانية – بين الدكتور طه حسين والاصمعي ، ان الاخير اثناء اقامته في البصرة جعل للادب العربي قوة بعد ضعف ، وجعل لحكومة الثقافة سلطاناً بعد وهن ، واذا هو في الاداب العربية منشيء ومبدع ، واذا هو بالانشاء والابداع عميد ومؤلف وعالم ، ولكن الدكتور طه حسين حاول – في اقامته في مصر – ان ينشيء للادب دولة في الامة العربية فحسبها المتعرضون من الادباء دولة للسياسة فثلوا عرشها ، وحاول ان يبني مجداً للثقافة ، فجابهته العقائد بهدم هذا البناء ، ولو كان للادب العربي حظ غير حظ الاعتقاد بالقدر ، لولد الدكتور طه حسين في عصر الاصمعي ولولد الاصمعي في عصر الدكتور طه حسين

واذا كان ابو نواس قد فاضل بين الاصمعي وبين ابي عبيدة بقوله (ان ابا عبيدة لو امكنوه لقرأ عليهم اخبار الاولين والاخرين واما الاصمعي فبلبل تطربهم نغماته) فاننا نفاضل بالدكتور طه حسين عصر ابي عبيدة كله لا رجلاً ، ذلك انه – في عقيدتي – هو نغمة البلبل وكتاب حافل بعلوم الاولين والاخرين

عبدالله بري

ديبورن مشيغن – الولايات المتحدة المحرر في جريدة البيان

الاديب وكتاب الاديب

تطلب من المكاتب التالية

*

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضى
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد علي نظام والسيد عباس الروماني
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	« السيد عبد السلام السباعي
		« السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	« السيد حنا نصره
		« عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد منزلجي
طرطوس	«	« الاستاذ صالح علي
حلب	«	« السيد جان رزق الله كردي
الباب	«	« الشهباء للسيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر .	«	شركة فرج الله وعموم المكاتب والباعة
البرازيل	«	الاستاذ توفيق ضعون سان باولو ص.ب ٧٣١

•

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل. س. في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

متمرد !

لأنور العطار

دمشق

أنا ما عدتُ أستسيغ بكائي   مرَدَت مرّتي على الارزاء
نقيتُ مهجتي منَ الوهنِ المز   ري ولم تحفلِ الاسى حوبائي
ونفضتُ الاعياء عني وسهلٌ   ان يعيشَ الفتى بـلا إعياء
وتهزأتُ بالحيـاةِ وجابهـ   تُ الرزايا بالضحكة النكراء
وتقحمتُ غايتي غيرَ هيَّا   بٍ صروفَ الدجنةِ السوداء
وهي النفسُ ان تثر تركب الهو   لَ وتزحم مناكبَ الجوزاء
فاعصفي يا رياحُ هامتيَ اليو   مَ تفرّت عن صخرةٍ صلداء
واغضبي ياخطوبُ لن تثلمي الده   رَ اعتزامي ولا تعوقي مضائي
من هبوب السموم أنفاسي السحـ   ـمُ ومن مجّةِ الشموس ردائي
ما أبالي الرمضاءَ وهيَ تلظّى   بلهيبٍ يشوي حشا الغبراء
أنا من زأرة الاسود أناشيـ   ـدي ومن جأرة الرياحِ غنائي
أنا هذي الصحراءُ في عزمها الشد   تِ وفي هزئها من البأساء
أنا دُنيا من البشاشة والبشرِ   وكونٌ يضجَ بالاصداء
لستُ اختارُ ان اكون تبيعاً   أنا أخطو والمجدُ يخطو ورائي

*

يا دُموعَ الضعافِ خيرٌ وأبقى   منكِ في الدهرِ بسمةُ الاقوياء
ونعيم الحيـاةِ ملكُ الاشدا   ءِ فواهاً للمعشرِ الضعفاء

البيت المسكون

قصة

بقلم عبد الغني العطري



جاوزت الخامسة عشر من عمري، وانا ما زلت اجهل سر ذلك البيت القائم بجوارنا في حي الميدان .

لم اكن اعرف، لا انا ولا غيري من الاطفال او الفتيان شيئاً عن ذلك البيت، الذي يحيط به الغموض من كل جانب فاذا ما عن لواحد منا نحن اولاد الحي ان يسأل احد افراد اسرته عن ذلك البيت، وعمن يقيم به من الجيران، لم يجد لسؤاله من جواب، سوى شفتين مستديرتين وسبابة فوقهما تأمر بالصمت . ولا يلبث مجرى الحديث ان يتغير فاذا ما ألحف واحدنا بالسؤال والتوسل لمعرفة ساكن الدار سمع جواباً فيه طمأنينة واشفاق على الطفل من الخوف يقول :

— هنا يا حبيبي يسكن الولي !

— ولكننا لم نره يخرج، ولم نسمع له صوتاً

فيتذمر المسؤول ويجيب بعد تردد :

— انه يسبح ويصلي . ولا يلعب ويصيح كما تصنع انت وامثالك !

على ان هذا الجواب غير كاف ولا مقنع . فاذا كان الولي يتلهى عن اللعب والصياح بالصلاة والتسبيح، أفلا يأكل ؟ فمن اين يأتيه الطعام، وهو لا يخرج ولا يحمله احد اليه ؟

هنا يضيق المسؤول ذرعاً بفضول الطفل، ويصرفه عن السؤال بأكلة او لعبة ألذ من السؤال واشهى !

وهكذا ظل سر بيت الجيران محجوباً عنا نحن الاطفال .

*

في ذلك المساء كنت استعد لفحص نصف السنة، وكانت جدتي في جانب من الغرفة تشتغل في قميص من الصوف . قمت بعد ساعات من المذاكرة والدرس اتهيأ للنوم . فحانت مني التفاتة الى الخارج فلمحت « البيت » يخيم عليه سكونه الابدي وظلامه الدائم . فركضت الى جدتي اعيد على مسامعها سؤالاً طالما وجهته اليها، وطالما تملصت من الجواب باساليب شتى . ولكنها في هذه المرة لمست في سؤالي والحافي عزماً اكيداً ورغبة شديدة في المعرفة فقالت، وكأنها تريد ان تستوثق من جرأتي :

— ولكن سره رهيب يا حبيبي !

— وهل تريني صغيراً ؟! ان الذي يشاهد « فرانكشتين » في السينما، ويقرأ مغامرات « عنترة » لا يخشى بعدها شيئاً !.

فقطعت بذلك كل سبيل لاعتراضها . ونطق اخيراً ابو الهول :

— في آخر سنة من «السفربرلك» كان يسكن في هذا البيت رجل اسمه الحاج وهيب، الله يذكره بالخير ان كان حياً، ويرحمه ان كان قد ذهب لعند ربه . كان الحاج وهيب رجلاً تقياً ورعاً، ولكنه على ما يظهر كان عنيف الطباع، عصبي المزاج، شديد الحرص على متاع الدنيا، فقد قيل ان ابنته الصبية بينما كانت تغسل فنجان قهوة، ثميناً في نظره، سقط من يدها وتحطم، فأخذ ابوها يعدو وراءها يريد ان يؤذيها، وهي تركض حول بركة الماء وتستغيث . والتجأت اخيراً الى المرحاض تنشد الامن به، ولكنه اقتحم الباب وهو يرغي ويزبد، وانهال عليها ضرباً بالقبقاب !

نامت « حليمة » تلك الليلة، وكانت — على ما روت امها — تستيقظ فزعة بين آونة واخرى وتستغيث . وتغيرت عيناها منذ ذلك اليوم، واصبح مرآها مرعباً . وصارت « تقع بالساعة » واشتدت على « حليمة » تلك النوبات العصبية، وانتهت بها الى الجنون . كان جنونها غريباً، لانها كانت تجلس صامتة طول الوقت تفكر، ولكنها تهتاج وتصرخ كلما رأت رجلاً بعيداً كان او قريباً .

منذ ذلك الحين والحاج وهيب يقول ان البيت (مسكون) وان البنت قد أوذيت . واخذ يصنع لها التمائم ويرقيها كل يوم . ولكن الله لم يكتب لها الشفاء .

واستيقظ ابوها ذات ليلة على صوت غريب يخرج من حليمة فهب مسرعاً واشعل مصباح الزيت واقترب منها ليرقيها ويتلو لها شيئاً من القرآن يعيد اليها الهدوء، ولكنه حين دنا منها، وجد رأسها ملوياً في الفراش، وعينيها جاحظتين وهي تعض على لسانها والدم يتدفق من فمها غزيراً .

وكانت حليمة — يا حسرتي على شبابها — قد فارقت الحياة !

منذ ذلك اليوم قر في الاذهان ان البيت « مسكون » وان ملائكة الارض تخرج في

الليل فتعبث ببعض حوائج المنزل ، وتخفي بعضها، ثم ترجعها ، وان هذه الملائكة ، تدخل المطبخ وترمي الملاعق والسكاكين والصحون عن الرف وربما هزها الطرب فركضت وغنت باصوات مخنوقة كأنها خارجة من جوف الارض .

وكانت وساوس الحاج وهيب تزداد يوماً بعد يوم ، ولا سيما عندما يرخي الليل سدوله ، اذ يجلس في زاوية من الغرفة يستعيذ بالله من الشيطان ويبسمل ويحوقل ، ويتلو آية الكرسي وبعض سور القرآن ، كي يسكب على قلبه وقلب زوجته برد الطمأنينة والهدوء ، وكي يطرد تلك الملائكة التي لاتفتأ تقلق راحة البيت ، كلما جن الليل ، او غضبت السماء . وكلما قطع الليل مرحلة من مراحل حياته ، وخفتت اصوات الجيران ، وقلت حركة السير في الحي ، ازدادت مخاوف الحاج وهيب ، ولا سيما انه كان يستضيء في ذلك الوقت بنور السراج ، الذي يضاعف من وقار الليل ، ويزيد في رهبته . وكان اذا اذن العشاء ، تتمسك به زوجته من اذياله وتمنعه من الخروج الى جامع الحي ليصلي مع الامام قائلة :

— أيطاوعك قلبك ان تتركني وحدي ؟!

— ولكن الصلاة ... الصلاة يا امرأة في المسجد مع الامام باربع وعشرين !

— اذا كنت تحرص على صلاة الجماعة ، فقم وصل بي اماماً !

وهكذا تأمن ام حليمة على زوجها من الذهاب الى الجامع ، وان كان الحاج وهيب لم يعجبه الحل كثيراً ، ولكن الامل في الغد ... ليلة الجمعة الفضيلة ان شاء الله ، سيذهب الى الجامع قبل الاذان ويتوضأ من البركة الكبيرة ، دون ان يشعر بشيء من البرد، ثم يقف خلف الامام ويستمع الى تلاوة القرآن يرتلها الامام بنبراته العذبة الرزينة ... وتفعل ام حليمة غداً ما تشاء !!

وما كاد الحاج وهيب يقف للصلاة ويشرع بالاذان ، حتى سمع مواء قطة عضها البرد بنابه ، فاخذت تموء بصوت كريه ، فلوب فاختنقت في صدر ام حليمة صرخة ، كادت تكون حادة مدوية واصطكت ركبتاها . لقد اقبلوا . لقد جاءوا اليوم بشكل جديد ، بشكل هذه القطة السوداء التي تلتمع عيناها كأنهما مصباح . يا رب نجنا من شرهم . ألم تكفهم « المرحومة » ولكن الحاج وهيب اخذ يشد من عزيمتها ويحاول ان يهدىء من روعها وهو يكاد يسقط من الرعب ، وقرأ اخيراً آية الكرسي بصوت متهدج ، ثم نفخها على نفسه وعلى زوجته وصلى !

نامت ام حليمة في تلك الليلة وهي ترتعش . وكانت الريح تهب خارج الغرفة عاتية مزمجرة فتزيد الليل رهبة ولم تكد تنام ساعة من الزمن ، حتى سمعت النوافذ تهتز واحست بالغرفة كأنها تتراقص ، وفتحت عينيها في الظلام وهي في شبه غيبوبة فرأت شبحاً اطار العقل من رأسها - فاسرعت وغطت رأسها ، واخذت تهز زوجها النائم بجوارها في الفراش ، دون ان تجرأ على النطق بحرف . لقد عقد الخوف لسانها . ولكن الزوج لم يفق عند ذلك قرصته الزوجة في ذراعه فصرخ واخذ يستعيذ بالله ويبسمل .. فهمست الزوجة في اذنه بصوت متهدج :

— هس .. أسكت .. لا تعيط !

= ماذا بك ؟

= لقد رأيت (بسم الله الرحمن الرحيم) .. قدماه في الارض ورأسه في السقف !

= مارد !.. مارد !.. ماذا تنتظرين هنا ؟

وزفرت الريح ، واصطفقت النوافذ ، وسمع مواء قطة في المطبخ ، ووقع صحن من الخزف فتحطم !

وسمع الجيران في تلك اللحظة اصوات استغاثة كاد يقضي عليها الرعب . فاقبل بعضهم من الباب يطرقه ، ومد البعض الآخر رأسه من السطح يستطلع الخبر ، والبعض آثر دفء الفراش فتناوم! وتحامل الحاج وهيب وزوجته ، واستجمعا ما بقي لديهما من شجاعة مفقودة ، وفتحا الباب . ولم يجرؤ الجيران على دخول المنزل ، والتحقق من الامر ، لان المارد الذي رأته ام حليمة ، لم يبق في قلوبهم ذرة من الصواب .

وقضى الزوجان ما تبقى من ليلتهما هذه عند جارهم « ابي محروس » الذي كان اشدهم تحمساً للحاج وهيب واكثرهم طلباً لرضاه والتماساً لدعواته وبركاته .

وفي صباح اليوم التالي شاعت القصة في الحي ، واخذ الناس يتهامسون بها ، والرعب يملأ قلوبهم ، ولحقها ما يلحق سائر القصص من الزيادة والحواشي والمبالغات فقالوا : ان الجن كانت تملأ بيت الحاج وهيب ، وان المردة ، دخلت عليهما وحملتهما وكادت تذهب بهما الى بطن الارض !

وساد الرعب جميع اهل الحي عدا الاطفال ، لانهم كتموا الامر عنهم .

وعلى ضوء النهار دخل الحاج وهيب ونقل متاعه من البيت وهو يلعن الساعة التي سولت له نفسه فيها السكن فيه .

وتطاير الخبر عند العصر الى مسامع صاحب الدار (علي آغا)

فشتم الحاج وهيب على خفته وقلة عقله . اذ متى كانت الجن تسكن دار علي آغا ؟ وهل يجوز للحاج وهيب ان يشيع امام الناس مثل هذه الامور ، كي يسقط بيته من عيون الناس ، فلا يسكن احد فيه بعد اليوم ؟

— لقد سكنت فيه مع ابي وامي واخوتي عشرين سنة فلم نر لا جناً ولا عفاريت ، فمن اين جاء هذا العجوز الخرف بالجن الى بيتي ؟ .. الله يجازيك يا حاج وهيب !

وهنا همس احد الواقفين باذن الآغا قائلا :

ولكن يا آغا الحاج وهيب رأى الجن بعينيه وكانت زوجته الى جانبه، ورأت ما رآه زوجها ...

فقاطعه الآغا محتداً :

= انا لا اصدق هذه الخرافات ، وبيتي من قديم الزمان ، لا فيه جن ولا فيه شياطين ، وبالله والله وتالله لأنامنّ هذه الليلة وحدي في البيت ، وسأري هؤلاء المجانين ان بيتي لا تسكنه الجن وانما تسكنه « الذوات » .

وعندما اقسم الاغا على ذلك ، لم يكن يقدر في رهبة الليل ولا رهبة الدار في الوحدة والظلمة ، وفي خلال البرد والريح والبرق

وما كاد المساء يقترب حتى بدأ الرعب يتسرب الى الاغا . فذهب الى المسجد فتوضأ وصلى العصر ، وجلس قرب المحراب يتلو من القرآن ما يشد من عزيمته ويطرد عنه شبح الرعب . ولكنه عندما غادر المسجد كان ساهماً مضطرباً تتقاذفه شتى الهواجس والظنون . وكان يمشي متئداً وهو يدندن بألفاظ غامضة والسبحة في يده تكاد تناطح أديم الارض !

وعند ما وصل الى داره فتل شاربيه ونادى خادمه وامره ان يعد له فراشاً وثيراً وابريقاً من الماء ومصباح الغاز وساعة المنبه التي يضعها في غرفته ليأنس بها ، وان يحمل كل ذلك الى البيت . وكاد الخادم ان يتردد ويعترض فصرخ الآغا في وجهه، بعد ان فتل شاربيه :

— اتظن اني اخاف يا ابله ؟ انا اوزع الشجاعة على اهل بلدك كلهم يا احمق ! هيا .. واسرع

قال ذلك ، ومشى شامخ الرأس ، مرتعش الساقين ، يتأبط دلائل الخيرات ، ذلك الكتاب الذي لم تمسه يده منذ عشر سنوات

وعندما صار في البيت المنشود جلس يسلي وحدته بقراءة الفاتحة وبعض ما يحفظ من كتاب الله فاذا انتهى من ذلك انثنى الى سبحته يذكر الله ويحمده . ولما سمع اذان المغرب من مسجد الحي ، وقف يصلي ، فاذا انتهى من صلاته شرع يصلي بما عليه ، ويبتهل الى الله ان يهدئ روعه ، والا يشمت به الاعداء ، وان يطرد من بيته ملائكة الارض .

وما زال كذلك الى ان حان وقت العشاء فصلى ودعا وسبح وتلا شيئاً من القرآن ، ثم اندس في فراشه والرعب يكاد يعقد لسانه حاول ان ينام .. ولكن الخائف كالعاشق المتيم ، كلاهما لا يدغدغ الكرى اجفانه . اخذ الآغا يتقلب على فراش من الشوك . وكان كلما هبت الريح ، او اهتزت النوافذ وقف شعر رأسه وجسمه ، وخنق في صدره صرخة تكاد تنطلق عنيفة مدوية في ارجاء الحي

لقد ثقلت الليلة على صدر الاغا .. حتى كأنها دهر . ان اللحظة تمر كأنها ساعة والدقيقة كأنها ليلة . لم يكن يعرف علي اغا ان الليل اكثر من دقيقة . فهو عند ما يضع رأسه على المخدة ينام ويستيقظ صباحاً ، دون ان يأرق او يحلم بشيء ، فما باله الليلة لا ينام ؟ . ومن اين اتاه هذا الخوف ؟ ! ومتى كان ليله يطول او يجد فيه المنغصات ؟ لم يأرق في حياته كلها سوى ليلة واحدة ، وذلك حين صادر به موظفو جمال باشا قمح الموسم برمته وذهبت جميع وساطاته وتوسلاته ادراج الرياح . كان في تلك الليلة حزيناً مكتئباً يصب جام غضبه على « الباشا » وعلى استنبول التي ارسلت هذا الباشا ، الذي لا يعرف قلبه الشفقة ولا الرحمة . ولكن الحزن اهون من الخوف . فالحزين ينطوي على نفسه يبثها آلامه واشجانه اما الخائف .. يا لطيف .. حقاً ان الخوف شيء لا يطاق .. شيء لا يحتمل .. حقاً لا يحتمل .. اللعنة الله على الحاج وهيب .. انه السبب في اقلاق راحة الاغا . لولاه لما جرى كل ذلك .


الاستاذ عبد الغني العطري

ولكن ما غاية الحاج وهيب مما صنع؟ وهل رأى المردة ترقص في البيت وتغني ، وتظهر احياناً متلبسة بشكل قطة سوداء ؟ !

وارتعد الاغا في فراشه واصطكت اسنانه ، ولم يطق احتمال هذه الفكرة . ماذا يصنع الان لو فوجيء بمارد رأسه في السقف وقدماه في الارض ؟

وهبت الريح في هذه اللحظة عاتية مزمجرة ، فهزت ارجاء الغرفة هزاً عنيفاً ، واصطفقت النوافذ .

كيف ندرس المخطوطات

بقلم نور الدين بيهم

امين المخطوطات في دار الكتب اللبنانية

✻

لفهارس المخطوطات في دور الكتب شأن عظيم يشهد بذلك العناية الفائقة التي يبذلها « المفهرسون » لتأتي الادلة التي يضطلعون بها متوفرة فيها الشروط العلمية والاصول الفنية .

ولعلي لا اخفق كثيراً في ذكر بعض الاصول المتبعة في اعداد هذه الادلة والقواعد التي يسيرون عليها في وصف المخطوطات وفهرستها وما يقتضيه هذا العمل من الدقة العلمية والتحري في البحث والمقابلة والمقارنة بين النسخ الواحدة .

والمخطوطات اشكال وانواع منها ما كان غضاراً : آجراً او لبنـاً مشوياً بالقلم المسماري او برديا بالقلم الهيروغليفي او صفائح احجار وعظام واصداف وعاج وشمع ومعادن ورقوق وحرير وقطن واوراق شجرية او صناعية باقلام مختلفة غريبة . فكلها تصف لنا مدنية الشعوب التي خلفتها ودرجة رقيهم وحضارتهم واخلاقهم وعاداتهم وعلومهم ومعارفهم ومعتقـداتهم وفنونهم وصناعاتهم وحوادث تاريخهم .

وما لبثت ساعة المنبه التي كانت تؤنس ليله في الماضي ان سقطت على الارض وتحطم زجاجها ورن جرسها بعنف ! وماءت قطة على السطح مواء كريهـاً وهي تعدو على سطح الغرفة .

وهنا فقط ، لم يجد علي آغا للصبر مجالاً ، ولم يعد يطيق .. فصرخ باعلى صوته ، وانطلق يستغيث كالمجنون .. وقفز خارج الدار لا يلوي على شيء ..

* * *

وهنا نظرت اليّ جدتي ، والرعب يهزها ايضاً ، واستأنفت تقول ، بعد صمت لحظات :

= اعرفت الان يا ولدي ؟! .. منذ تلك الساعـة لم يفكر احد بالدخول الى هذا البيت . انه مسكون .. وهـل يمكن ان ينازع احد اهل الارض على مسكنهم ؟!

دمشق — عبد الغني العطري

وكانت هذه الاثار الكتابية بحسب درجة قابليتها موضوع عناية النساخ والوراقين فينصرفون الى ضبطها وتصويرها ووشيهـا وتحليتها وتجليدها فكان ما نشاهده من بديع المخطوطات واعلاقها ما يأخذ حسنه بالانظار ومجامع القلوب .

ولهذه المخلفات الفكرية مزايا جمة تزيد في قيمتها واثمانهـا بالرغم من تكاثر المطبوعات وانتشار الكتب بيننا . ومن تلك المزايا التي يتفرد بها المخطوط على المطبوع ان يكون « كاملاً » غير مخروم او ناقص وان يكون « قديم العهـد » ومضبوطاً اي مقروءاً على كبار العلماء ، ولا سيما المؤلف نفسه او احـد انسبائه الادنين « مدبجاً » بتعاليق وحواش وفوائد وضعها المؤلف او العلماء المحققون وعليه اسم الناسخ وتاريخ النسخة واسم مقتنيها او واقفها او مطالعها ولا سيما اذا كان من مشاهير العلماء وحسن الترتيب جيد الخط والورق والحبر وافضل الورق ما كان حريراً لعدم تسرب العثـاليه ، او رقاً ومصوراً او موشى محلى بالذهب والالوان البديعة وذا زيادات وتصحيحات وشروح لا توجـد في غيرها في مخطوط او مطبوع ومخطوط المشاهير كابن عجلان والاحول ومالك بن دينار وقطبة وابن مقلة وابن هلال المعروف بابن البواب وياقوت الحموي وياقوت المستعصمي وابن حزم الاندلسي والولي العجمي والرياض البغدادي وزكريا الافريقي وعبد الرحمن الصائغ وابن ابي الجوع وغيرهم من مشاهير الخطاطين والنساخ وان يكون بديع التجليد ذا قطر اي بيوت ومحافظ موشاة ومرصعة باناقة وفن وذا انواع من الخطوط البديعة .

فاذا اجتمعت كل هذه المزايا او بعضها وتوفرت في المخطوطة كل هذه الخصائص او جلها او احدها كان الكتاب مما يجب ان تتجه اليه الانظـار وتحن عليه ضلوع المكتبات .

واما القواعد العامة المتبعة في صنع فهارس المخطوطـات فانهـا تهدف الى التعريف بالكتاب واظهـار ما خفي او غمض من معالمه ومقدماته فهي ترمي الى اظهار مضمون الكتاب بغية صيانته كما انه يجب ان ترمي الى الايضاحـات والشروح والتعاليق التي نضعها في وصف المخطوط الى تحقيق هديته واستبانتها ويتم ذلك اذا استعرضنا مصدر الكتاب والمجاميع التي دخل فيها وما تقلب عليه من صروف الزمان والمكان وجنس المادة المستعملة في الكتابة أهي من البردي او الرق او الورق وعـدد اوراقه وسماكته وعدد الاسطر في كل صفحة من صفحاته فتضمنه فروق وميزات وخصائص كالتلوين والتصوير والرسم والتجليـد وانواع

الجلد وما اليها من نقوش وزخرفة وتزميك وتزويق .

الا انه من المستحب جداً ان لا نشغل باستطرادات وتفاصيل لا طائل تحتها . وان كان لا بد منها ان نرشد الباحث الى طبعة جديدة للمخطوط المدروس او ندله على مصـدر آخر من مصادر المراجعة والتقصي العلمي يجد فيه من الشروح والتعاليق والنقد ما انت في حل من اثباته في ما اختير في فهرسه .

تحوي البطاقة الخاصة بفهرس المخطوطات العناصر الرئيسية التالية :

اسم المؤلف – عنوان الكتـاب – مضمونه – الاشارة الى المراجع والمصـادر – الرقم العلمي لموضوع الكتاب – الرقم « الاداري » . نذكر هنا أهم ما يجب كتابته على البطاقة .

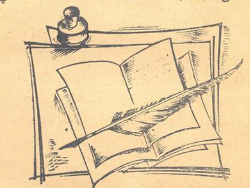
العنوان : يرسم عنوان المخطوط على سطر واحد بحرف بارز وبلغة المخطوط نفسه . ولا يعتمد في ذلك على العنوان الذي كتبه المجلد او المؤلف على ظهر الكتاب فقد يكون مجزوءاً او مخروماً او مغلوطاً فلا يصح الركون اليه ولا اثباته على علاته .

قد يحوي المخطوط الذي تأخذ في درسه عـدة مؤلفات لمؤلفين مختلفين فالعنوان يكون – والحالة هذه – عنوان القسم الاهم من المجموعة التي يتضمنها المخطوط ثم تشير الى الابحاث الاخرى بايجاز .

اما اذا تعادلت اقسام المجموعة التي تحويها المخطوطة اتساعاً واهمية فيجب ان تذكر متتالية بحسب ورودهـا مع الاشارة الصريحة الى عدد صفحاتها وموقعها من المجموعة الموصوفة

اذا كان المخطوط مجموعة من المختارات والمقتطفـات وجب تعريفه بوصف خاص فنقول : مختارات تاريخية او ادبية او علميـة او فلسفية الى غير ذلك من النعوت التي تعرف القارىء تعريفاً اوليـاً .

وعلى الاجمال يجدر ان تذكر كل الاوصاف والافادات التي



من شأنها ان تزيد القارىء تعريفاً بالمخطوط ويجدر ايضاً ان يشار الى الاقلام التي يحتويها والحبر ومادته ونوعه وحالته .

كذلك ان تقابل النسخة التي لديك من المخطوط الذي انت آخذ في درسه بغيرها من النسخ التي سبق فوصفهـا المفهرسون في الادلة التي وضعوها للمخطوطـات في خزائن الكتب في الشرق والغرب مع الاشارة الى الرقم الذي يحتله في الخزانة المذكورة .

وعلى المفهرس ان يشير فيما اذا كان المخطوط الذي يعنى بوصفه مطبوعاً ام لا فاذا كان سبق نشره ذكر اسم الناشر وتاريخ النشر ومحله وعدد الصفحات في النسخة المطبوعة واسم المطبعة وسنة النشر

واذا كان المخطوط مؤرخاً بذكر السنة الهجرية ام الميلادية ذكرت السنة في البطاقة الفهرسية والا وجب تحديد تاريخ المخطوط المذكور بالاستناد الى ما فيه من عناصر الورق والخط والقلم وانواعه والحبر والتجليد او ما تعرفـه من تاريخ المؤلف او الناسخ وحياته وعصره .

كذلك قد يكون سبق لاحد الادباء نشر بعض فصول المخطوط المذكور فيجب الاشارة الى ذلك في اسفل البطاقة والتنويه بظروف النشر وما رافقه من دروس وتعاليق ادبية نقدية .

كان من عادة الاقدمين في الكتابة ان لا يرقّموا الصفحـات فيستعيضون عن الارقام بالتصفيح وهي ان يثبت الكاتب في بدء الصفحة التالية الكلمة الاخيرة من الصفحة الـتي قبلها فاذا توالت الصفحات مضبوطة التصفيح كان المخطوط كاملاً والا فهو ناقص او مجزوء .

ويجب ذكر المؤلف وذكر ما عرف بـه من شهرة او لقب وان يشار الى سنين حياته بالتاريخ الهجري والميلادي وهنـا يجب الاستعانة للتعريف بالمؤلف بكتب السير والتراجم والطبقات وما جاء فيها عنه والتحقيق بالرواية لاستخراج الحقيقة العلمية الصحيحة

وقد سار على هذه القواعد العلمية العامة في وصف المخطوطات كبار المفهرسين من علماء الشرق والغرب ولا سيما ائمة المستشرقين ممن عنوا بوصف المخطوطات العربية في الخزائن الغربية . وقد بلغ المرحوم « اهلورد » القدح المعلى في هذا الفن الشاق بوضعه الدليل الكبير للمخطوطات العربية في مكتبة برلين الاهلية . والدليل المذكور يقع في عشرة مجلدات ضخمة من الحجم الكبير تولى فيها وصف ما يربو على عشرة الاف مخطوط عربي بصورة فنية دقيقة تعجز الكثيرين من المتمكنين في هذا الفن

نور الدين بيهم

ثمالات

بقلم الياس خليل زخريا

للنفس العربية هذا الشراع العجيب نهم دائم الى الابحار وشوق أزلي عميق الى الترنح على الذرى ، والقباب، وخفقان حران لا يرتوي بماء السفوح، ولا يبرد في طمأنينة الا طمأنينة العظمة والخلق والمحبة .

هي كالنسر ، أبو الابرد ، كلما حط قدمه على القمة او شق صدر الافق سأل قوافل الفكر العابرة الى الغيب السحيق .. أين ترى هي سدرة المنتهى ؟!

وحكاية الزمن والارض في رقاع النفس حكاية قديمة عقدت حلقاتها انوال القدر بخيوط الجلد الازرق وحبكت لها في جوانبها ، اجنحة دونها في الطواف اجنحة الاعصار .

وصدق من قال : النفس مُناخ شأنها شأن هذه الكواكب ذات المصاعد والمنازل والممرات والسحب ، والاعمار المديدة ، والجُبن الواضحة ، وجدة ابدية لا تعرف في جوهرها غبار القدم، او تعفي الوشم ، وشم النور في الاسارير .

تراها فتحسبها من مواليد البارحة القريبة . أفلم تسمع الديكة في كل صباح تستقبل بمناقيرها الشامخة ، تباشير ، اختنا ، ذكاء ، على افواد المشرق .

ويوم بنى الصينيون السور العظيم حوالي بيوتهم قيل نسوا قطعة من ارضهم في الهند ، فدب جذع شجرة عظيمة من تحت السور الجبار ، الى ارض « فور » ثم سرى فيها ونما وأورق واثمر وتطلع الى حجارة السور الضخم يفيي. عندها ويرد عنها حمة الزمن الى ان قال الصيني للصيني : إي أخي ان الحجر ليس رتاج البرج ولا سد الطريق .. ، اعطني يدك وامش .. الى فوق ... الى القمة

ولا يعني هذا ان النفس ذوبان ، وميع ، وترهل وسيح غدران على وجه الارضين ، واستقاء من آبار الاعاجم ، سدنة النفط ، والفولاذ ، والرياء ، ولكنه يعني ان النفس جذور تتغذى بارضها وزمنها وتنفس المناخ حولها ثم تكبر فترتفع فتنتصب في حديقة الخير سروة شامخة تعشش في اكنافها اسراب النسور .

وصورة الامس في عين النفس طيف الآتي ، أوليس الربيع العابر امل الربيع المنتظر ، أوليس السهل الممدود صدر القمة الشامخة ، والخبب اوائل العدو ، والتأمل طليعة الوثوب .. وهذا العقد الجديد الذي عقده العرب البارحة على ضفاف نيلهم وفي ظل اهرامهم ، انما هو نفسه عقد تأمل بعد ألف حجة بنت حولنا الف سور ، وفككت دائرة نغمنا العظيم الى الف دائرة ، غير ان النفس العربية اليقظى كانت دائماً كشجرة الصين كلما قطع القاطع غصناً منا او نسي الناسي ارضاً خارج الدائرة من ارضنا ، مدت في خلايا السور ، في رفات اجدادنا ، ودماء ابائنا ، وحناجر قلوبنا ، الف جذع وجذع . ويتساءل الناس الاغراب كيف يأتلف هؤلاء العرب وهم متنافرون متشاحون متقاطعون، متناحرون ، متباينون ، من جمع ابن مكة « واد غير ذي ذرع » بابن لبنان ابي الخصب والندى بابن الزوراء بابن القاهرة فصنعاء فدمشق فحلب الشهباء ..

حقاً انها لعجيبة العجائب في عبقرية النفس العربية الشاملة الموحدة .

وقديماً عندما خرج ابن يثرب والطائف وام القرى، الى مشارف الشام ، والعراق ، الى ارضهم ، الى مياههم ، الى اخوانهم الغساسنة والمناذرة ، قال كسرى وقيصر ما يقول اليوم ذوو الدهشة والحيرة والتساؤل

اما نحن ، هنا ، فلم ندهش ، وله الحمد ، ولم نتقلص تقلص الارتياع ، ولم ننتش طفاح النشوة ، بل مددنا يدنا الى قلوبنا فاذا بالعروق سائلة تنتظر المواسم الخيرة لتورق ، وتظلل ، وتملأ الارض زهراً وثمراً .

ليس العقد الذي عقده العرب امس على ضفاف وادي الكنانة بصفحة عابرة في تاريخ البشر ، ولكنه الحرف الاول في فاتحة الكتاب العربي . اللهم ، ان القافلة التي لا تشرب النور من كتابنا

اوهام واقدار

بقلم عبدالله العلايلي

لم تعد تائهاً ايها العربي — بعد اليوم . انك فتحت عينيك على الحقائق وقلبك للمبادىء ، وحررت عقلك من ثقل القيود وانارت شعلة الحرية نفسك .

ففي عينيك ضياء مبعثه الحياة والتطلع والامل ، وفي عزيمتك مضاء مبعثه الايمان ووفور الذاتية والثقة .

لم يعد ذلك اليوم الذي كان يقال فيه « اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون » ، يوماً لك ولا عصراً لاستعدادك ومنطقك . وانما يقضي عليك يومك ان تقول « ليكن ما اريد فقط » ، فان العالم تصور وارادة ، واما ذلك الاتكال والاستسلام فانه خرافة من خرافات العصور ..

ان الاقدار التي ابرزتك من منطقة القوة ، لتكون كانما فيك صفة القوة ، لم تكن لتضع في طريقك المشكلة . وانما المشكلة في حدود تصوراتنا واوهامنا ، فاعرف نفسك — ايها العربي — وبدون هذه المعرفة ان يكون لك تفكير صحيح .

(اعرف نفسك) هذه وصية سقراط الخالدة ، فان النفس عالم يمور بشتى الاستعدادات والقوى ، وان معرفة الانسان كفاءته كفاءة اخرى ، او هي روح كل كفاءة .

ان عصر الاقدار خلفناه في مدافن الآباء حيث يقوم هيكل الماضي الصامت ، الذي تجري به عجلة الكون مسرعة الى الابديات المبهمة ، وتترك في اخيلتنا آثاراً من سيرها : مشرقة واخرى قاتمة . ونحن الذين نتلع جيدنا الى مواكب المستقبل الزاهرة ، يجب علينا ان نمحو كل اثر قاتم لا يزيد افق حياتنا اشراقاً والتماعاً .

ان النجم الذي تبرد حرارته يتلاشى ويأخذ طريقه الى الفناء السحيق ، وحرارة الكائن قمينة بحياته ، وحرارة الجماعة قمينة بحياة المجتمع . فالحياة حرارة تبعث القوة والارادة الماضية وتهب الحركة المطردة الى الامام . ان الاقدار ليست شيئاً يصارع الكائن في الطريق ، وانما هي شيء متجسم في الاوهام ، يحرك نوء الخيال عاتياً حتى يغرق صاحبه في طوفانه ، وهو لا شيء وراء انه حلم من احلام اليقظـة .

ان الاقدار على الشكل الذي تفهمه لا تخالط عقل الكائن الكامل ، لانها انحراف عقلي مبعثه الضعف والتخوف ، هذا الانحراف الذي — اذا تزايد — عبر عن هستيريا تصورية حادة .

ايها العربي : الّف عناصر عقلك من الذاتية والارادة والثقة ، وعن الارتباط السببي في تفهم الحياة ، تكمل شخصيتك وتمضي قدماً في سبيل النجاح .

لا تسم ما نحن فيه قدراً ، فان القدر شيء تصوغه من نفسك وتشتقه من اوهامك ، وان العصر الذي كانت الآلهة تداعب فيه الناس على قوارع الطرق قد انقضى ، وحل محله العصر الذي يسيطر فيه الانسان وحده ، هذا الكائن المبدع الذي خلقه الله على صورته — كما ورد في الاديان — واودع فيه قدرة مشتقة من قدرته الشاملة . . كل ما على الارض من صنع الانسان ، فليس في حدود الحياة الامكانية منتج الا الانسان وحده . فما الحظ الا القوة وما النحس الا الضعف ، والاقدار ليست الا من اقدار النفوس ، وقديماً قال المتنبي :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ان كل تصوراتنا واوهامنا في الاقدار ، ترجـع الى الدور الميتافيزيقي من ادوار النشوء العقلي وتنبع منه ، فلنتطهر من ادران العقل المنحرف . فان ما علق باذهاننا عن الاقـدار يجعلها قيوداً الاهية ، والله قد منح الحرية المطلقة للانسان ولذلك كلفه على لسان الانبياء ، فما ثبت في تصورنا عن الاقدار باطل والا فهو تهافت

ولا تتسلق الارض بسواعدنا لن تصل الى الصباح وستظل تضرب في العتمة والحقد ، على الدم والحديد ، لا رحمة تتكىء عليهـا ولا عدالة ترقى اليها ، ولا اخوة بشرية تخرج عمر العظيم في الليل والقر ، يتفقد الضعفاء ، والمصابيح الشحيحة ، ويوقد النار بفمه ، بنفس قلبه ، بقطع من وجهه ، بحبات من دمه ، لينضج الطعام ، طعام الاخوة العربية ، وتأكل الصبية ويزيح عن عاتقيه القويين ، ثقل الظلمة ، ونهرة الضمير وحقد الرعية .

الياس خليل زخريا

في المنطق ...

ان الاقدار على الشكل الذي كنا نفهمه يقضي على كل مجتمع بالتفسخ مهما يبلغ من قوته ، انه عامل انحلال ذريع . فيجب بعد اليوم ان لانصغي الى شاعر يقول :

لا تلم كفي اذا السيف نبا   صح مني العزم والدهر ابى
رب ساع مبصر في سعيه   اخطأ التوفيق فيما طلبا

والحقيقة في حكاية الشاعر ، ان الدهر لم يأب ولكن لم يصح منه العزم ولذا نبا سيفه ، وساعيه اخطأ التوفيق لانه لم يكن مبصراً في سعيه ، ان الدهر غير مسؤول لانه ليس محلاً المسؤولية وانما المسؤولية في حدود انفسنا .. ان انانيتنا هي التي تجعلنا نغطي فشلنا بالحملة على الاقدار ، والحقيقة ان النجاح والاخفاق مرهونان بالكفاءة وعدمها ، فاخفاق الفرد او الجماعة يعود الى ان كلاً منهما لم يستجمع كافة عناصر النجاح، فمجتمع يخفق لانه خليق بالاخفاق بما اجتمع فيه من عوامله ، ومجتمع ينجح لانه خليق بالنجاح بما اجتمع فيه من عناصره .. قال الشاعر الغيبي « الميتافيزيقي » بشار بن برد :

طبعت علي ما في غير مخير   هوايَ ، ولو خيرت كنت المهذبا
اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد   وقصر علمي أن انال المغيبا ...

هذه مغالطات مبعثها السذاجة النظرية والطابع العقلي ، اما انها سذاجة : فلانه يأخذ الظواهر بغير اسبابها الحقيقية ، فهو لم يكن المهذب بسبب الانحرافات التي حالت دون توفر كافة الصفات التي تجعله كذلك وان تخيل توفرها لديه ، واراد شيئاً الا انه لم يوفر اسباب الحصول عليه فلذلك لم يعطه وان تمناه وارده ، ووفر اسباب شيء بصفة غير شعورية وناله ، فتوهم انه اعطيه بدون ارادة منه . فكونت سذاجته مقدمة فاسدة « وقصر علمي ان انال المغيبا » ، ه لا مغيب في محيط النواميس ذات العلاقة السببية ، ونتيجة اكثر فساداً « طبعت على ما في غير مخير هواي » .

واما انه طابع عقلي : فلان الاسيويين كالفارسيين والهنود تميزوا بهذا النوع من العقلية الاستنتاجية الخالصة ، ولذلك لا نقف على اثر لهذه الافكار عند العرب الى ما قبل ذوبان هذه العناصر فيهم .

ورغم ان العربي اسيوي ، فقد كان في طابعه العقلي اثباتياً استقرائياً بعلة الخلو الذهني في الصحراء ، وهذا الخلو ساعده على التفكير المنطقي السليم ، ونضوب الخيال لديه الا في حد محدود جعله واقعياً جداً . واليك الشاهد عند تأبط شراً ، حيال حادث مثل الذي عرض لبشار :

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده   اضاع وقاسى عمره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً   به الخطب الا وهو للقصد مبصر
فذاك قريع الدهر ما عاش حول   اذا سد منه منخر جاش منخر

... ان مرد صفة الاستنتاج في العقلية الاسيوية على ما ارى، راجع الى تعاليم الادوار الاسطورية الطويلة التي تلبدت فيها وملأت ذلك الخلاء الطبيعي في جو النفس ، وكانت فلسفات غيبية تركت في العقلية ذلك اللون الخاص الذي كان لها طابعاً لازماً .

وشاهد هذا ظاهر في الامم الاوربية نفسها ، فانها متفاوتة في الصفة الاستقرائية ولا تخلو ايضاً من الصفة الاستنتاجية . وذلك راجع الى تفاوت كمية الميراث الاسطوري وقيمته الذي ملأ خلوهم الذهني ، وعلى ذلك نجد ان الامة كلما كانت اقل حظاً من هذا الميراث كانت اقرب في انتاجها الى الصفة الواقعية الاستقرائية . فالشعب الاميركي الذي يعتبر شعباً حديثاً ليست لديه منابع اسطورية متلبدة ، اقرب الى صفة الاستقراء ، والشعب اليوناني الغني بالاسطوريات المتلبدة ، كان وسيبقى اقرب الى صفة الاستنتاج .

والشعب اذا صادفه في ابان نشوئه العقلي تعليم منطقي وهو فقير من الاسطوريات المتلبدة يثبت على صفة الاستقراء كالشعب الانكليزي، بينما نجد الشعب الافرنسي يميل الى التعميم والاستنتاج رغم ما مر به من تعاليم منطقية ، لانه تبنى الاسطورة واذابها في عقليته .. واما ان الاستقراء والاستنتاج صفتان طبيعيتان في العقليات تبعاً للجغرافية ، فانه تقرير ميتافيزيقي خالص ، والحقيقة ان الجغرافية لها اثر ولكن لا بهذا المقدار من الاختلاف الكمي الذي جهلوا اسبابه ..

ونحن اذا درسنا شخصيات الفكر عند العرب نجدهم استقرائيين بصورة بحتة ، ونجد ان اكثر ما انصرفوا اليه كان من النوع التجريبي واما التفكير الغيبي فقد ابتدأ بالدخلاء على الفكر العربي ثم اتصل بالعرب بالعدوى المحضة .

وهذه وجهة نظر اعجب لدارسي تطور الفكر العربي كيف غفلوا عنها ، وهي التي توضح كثيراً من الخوافي وتضع حداً لفوضى الدراسة في هذا الجانب ، وبالاخص في الدائرة الادبية .

فهذه ميزة نقدية تعرفنا بالشاعر العربي الصليبة بدون تصعب كبير ، وتحدد نوع الدخيل من الافكار والاشخاص . خذ شاعرنا العربي المتنبي ، تجده شاعر الحس والواقع . وخذ الخليل ابن احمد ، تجده رجل الاستقراء فيما انتج من عروض وصرف ونحو واشتقاق ، فقد كانت طريقته تقوم على الاستقراء فالمقارنة فالتعميم .

هذان شخصان من الدائرة الادبية ، وفي الدوائر الفكرية الاخرى تجد جل العرب الخلص كانوا رياضيين او كيمائيين تجريبين .

وهذا الرأي في صفة العقلية العربية يرشدنا الى ان الذي افسد الفكر العربي هم الدخلاء ، وهم الذين اعطونا هذه الاوهام في القدر ايضاً ، وينبغي ان نشرح رأينا هـذا في القدر على ضوء المنطق والواقع :

هذا الرأي الذي ندعوه « بالتفسير الطبيعي للقدر » يستمد من نظرية ابن رشد الفيلسوف العربي الصليبة ، في علاقة الله بالكائنات وهي تلخص : بان علاقة الله بدائرة الكون تشبه علاقة الملك بما يجيء من تصرفات الهيئة الحاكمة ، فالهيئة الحاكمة تفعل وهو ينسب الى الملك في ضرب من الغاء الوسائط . والله رتب النواميس في محيط الكون واودع فيها اعمالها ، وكذلك قل في خاصيات الاشياء .

هذه نظرية ونحن نجعلها « مقدمة اولى » لتفسير القدر وتحديد مسؤولية الانسان فيما يعمل، ونجعل النظرية السببية « مقدمة ثانية » . ونتيجة هاتين المقدمتين : ان القدر هو الارتباط السببي في دائرة الكون والفساد ، فترتب المسبب على السبب تقدير إلهي وتنظيم القدرة المبثوثة في محيط هذا الوجود .

فالاحراق مسبب عن النـار وهي سبب طبيعي ، والاخفاق مسبب عن نقص الكفاآت او عن قيام المجتمع على اسس خاطئة واوضاع فاسدة ، والضعف الاخلاقي سبب للانحلال او لسقوط الفرد والجماعة ، وحيلولة الارض علة في الخسوف وتواكل الامة سبب في ضعتها واسفافها ، والحزم سبب للضبط . فهذه الاسباب الكونية والمعنوية اسباب طبيعية وهي تنتج نتائجها الحتمية ، وتلك الملازمات بين الاسباب والمسببات هي الاقدار ، وليس للاقدار معنى وراء ذلك .

والفرق بيننا وبين الطبيعي ، ان هـذا يصل المسبب بالسبب القريب فالقانون الاعلى « لواسيبرم » في حدود الطبيعة ويقف، واما نحن فنصل المسبب بالسبب الطبيعي القريب فالقـانون الاعلى في حدود الطبيعة فالقدرة الآلهية التي بثت هذا النظام الكوني .

والفرق بيننا وبين اللاهوتيين ، ان هؤلاء يلغون الاسباب الطبيعية القريبة وبعبارة اصح يلغون صفة الحتمية فيها ، ويضيفون الحادث الى القدرة مباشرة . وكأن خيال هؤلاء انصرف الى ان الله اوجد هذه الاسباب ثم النعى عملها وهم ملزمون : اما بالقول بالبداء اي بدا لله شيء بعد ان فعل فعدل عنه، واما بالعبث بالنظام ، وكلاهما تهافت وخلف، فلم يبق الا القول بالتفسير الطبيعي للقدر .

ولنوضح وجهة هذا النظر : ان الفلسفة تبحث في جملة مسائلها « لماذا كان هذا السبب صالحاً لاحداث هذا المسبب وبعبارة اخصر ما سر هذه الكفاآت التكوينية » . والاديان تجعل سرها الاقدار الآلهية التي ربطت هذا الربط واقتضاه النظام، واودعت في الاسباب القوى والخاصيات . . وعليه فان الحلقات المتتابعة التي تتكون منها سلسلة الظاهرات الكونية ، وما يدخل عليهـا من اشكال التغاير في الجماعات والافراد تعلل باسبابها الطبيعية فقط ، ولكن هذه السلسلة المتشابكة كمجموع ووحدة غير متحللة ولا منفصلة الاجزاء، تعلل بالاقدار التي بثت قوة التأثير في الاسباب واودعت هذا الترابط . وامـا الحادث نفسه فلا يخضع للقدر في شيء وانما يخضع لسببه الخاص ، والغـاء الاسباب المترتبة القريبة والتعليل بالسبب الخفي سفسطة خطيرة . واليك المثال :

قبل ان يكتشف قانون جاذبية الثقل ، اعتقد كبلر الفلكي ان حفظ السيارات في افلاكها راجع الى الارواح الموكلة بها اي انه نسب السبب الطبيعي الى ارادة شبيهة عندمـا اعوزه السبب الذي تعود اليه الحركة ، فلما عرفت جاذبية الثقل سكن العقل البشري اليها . فحفظ السيارات في افلاكها بواسطة جاذبية الثقل تقدير إلهي ، فالقدر هو هذا فقط وهكذا قل في كل حادث . . .

ايها العربي صحح فكرك على هذا الشكل ، واغسل ادران التقـاليد المتلبدة فانها قيود تحد مدى عزيمتـك وقدرتك على العمل ونشاطك على الانتـاج ، وتجعل حياتك رهينـة الصدف والظروف اي نتيجة اللااختيار .

لا صدفة في دائرة الابـداع الآلهي ، وانما هي سنن متشابكة ، والحياة في مجموعها جانب من دائرة الابداع ، فهي تصور وارادة

جولة الأديب في شهر

بوادر النهضة في العراق

بقلم واصف بارودي
مفتش عام المدارس الثانوية في لبنان

*



على الامم العريقة في المجد والحضارة ادوار عدة في تاريخها، ابرزها بنظري ثلاثة هي: اولاً الانطواء والنوم . ثانياً الوعي والتأمل ثالثاً النهضة والعمل .

ففي الدور الاول تغرق الامة في سبات عميق فلا تعي شيئاً .

وفي الدور الثاني تستيقظ من سباتها، فتتأمل في حاضرها وفيما هي عليه من خمول وتقهقر، فتتألم ثم ترمي بنظرها الى الماضي؛ فان كان فيه من كواكب العظمة ونجوم المجد والفخار ما ينير لها الطريق، وكان في حاضرها من التنبه والادراك والعزم ما يستفزها الى العمل، انتقلت الى الدور الثالث ونهضت تعمل للمستقبل ؟ والا فانها تعود الى سباتها، وربما الى فنائها .

وقد مرت الامة العربية بهذه الادوار في العصور الاخيرة، وهي الان في دورها الثالث تعمل لمستقبل يعيد امجاد الماضي الزاهر، والنهضة وثابة، والوسائل متيسرة، والوعي، ان شاء الله، صحيح .

ولا ادل على ان هذه الظاهرة هي حقيقة واقعية، من اهتمام الاقطار العربية جميعها بنشئها وشبابها، وهم الامل، وهم المستقبل .

وقد شاهدنا، في رحلتنا الاخيرة مع نخبة طيبة من شبابنا اللبناني الى بغداد، بوادر هذه النهضة المباركة ظاهرة جلية في القطر العراقي الشقيق . فارتاحت لذلك قلوبنا وطابت نفوسنا، لاننا نعتقد اعتقاداً جازماً ان ليس لهذا الشرق العربي مستقبل مضمون في عالم الحضارة والتقدم الا بنهضة جميع اقطاره، وتعاونها تعاوناً وثيقاً .

فكيف لا تغمر الغبطة نفوسنا وقد لمسنا لمس اليد ذلك الوعي القومي الصحيح، وتلك النهضة الثقافية المفكرة ؟

فالواقع الراهن، وما تحضره وزارة المعارف العامة من تصاميم لمشاريع ثقافية، وما تفي به الحكومة من تربية عسكرية، وهي ما يدعوها المربون بالتربية العالية، تنطق بمبلغ عنايتها بالنشء العراقي

ولا محل للصدفة فيها .

نحن نزيدك انك لا تخرج، باوهامك في الاقدار الى الحياة، فانك سرعان ما تمرد الى الانحلال والشكوى، لانك لم تطهر نفسك من ميكروب الاعتقاد النغل .. ان عقيدتك في الاقدار عامل انحلال فظيع، انها عامل تواكل واستسلام ينقل الاسترخاء الى عزائمك، ويهدم بناءك الارادي ويفلل قواك المعنوية، ثم يتركك تائهاً في بوادي الحياة وهائماً متخبطاً في مفاوزها، التي تتطلب منا الجهد الذاتي والثقة بالنفس .

نحن نحارب صفة التواكل التي هي جرثومة اجتماعية مبيدة، ولسنا نحارب صفة التوكل التي هي اطمئنان وتأمل يزيدك قوة الى قوتك وبصيرة على بصيرتك . فان الاولى صفة تقوم على التفويض، والثانية صفة تقوم على الارادة البصيرة .

ايها العربي: انك تنجح على مقدار وثوقك بنفسك وحظك من التربية الارادية الفعالة، والاقدار على الشكل الذي كنا نفهمه عدو ألد للصفة الارادية التي لا يتملك النجاح الا بها، عدو ألد للصفة الذاتية والتصميم، هذه الصفة التي هي معوانك الاكيد على الظفر ..

فهدفنا الاعظم ان تبني نفسك بناء استقلالياً، فانك اذا بنيت نفسك هذا البناء، تنقلب كائناً لا يعرف اليأس، مهما اجتمع في طريقك من عوامله، بفضل قواك المعنوية التي بنيتها بناء صلباً متماسكاً لا استرخاء فيه .

يجب ان نعلم ان الاجتماع لا يسير في مراحل اطواره سيراً آلياً، بل بنفسية الجموع وما توافر فيها واجتمع عليها، وهو لا يشذ ابداً عنها، فاذا لم نصحح النفسية اولا تصاب بالانحطام السريع السحيق .

فالنفسية وما ثبت فيها تسير بالمجتمع كما تسير القاطرة بالقطار، والقاطرة اذا توقفت تمدد القطار كجثث مترابطة في نسق .

يجب ان نجعل صفاتنا النفسية تسير وفق صفاتنا العقلية او قريباً منها، فان مقياس نجاح المجتمع، هو ان يشعر كما يفكر او قريباً مما يفكر .

عبد الله العلايلي

منذ طفولته الى استكمال رجولته او انوثته .

فعناية الحكومة تشمل الجنسين في المؤسسات المختلفة ، الحدائق والمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العالية والثكنات العسكرية للشباب، واهتمامها لا ينحصر بالكمية عددياً ، بل ان جله يتعلق بالكيفية باستخدام وسائل علمية تتفق مع مبادىء المدرسة الحديثة التي قال عنها احد علماء الاجتماع في اوروبا : امنحوني وسائل فعالة لتحقيق هذه المبادىء فاغير وجه اوروبا في اقل من ربع قرن . ونرجو ان يوفق رجال العراق الشقيق الى تطويره تطويراً صاعداً يتفق مع مقتضيات العصر الحاضر في التقدم والرقي باقل من ذلك ، بفضل هذا الاتجاه التربوي المعتمد على مبادىء المدرسة الحديثة التي تستمد وسائلها من قواعد العلم الصحيح .



وللمدرسة الحديثة مبدأ اساسي تبنى عليه كل مبادئها واصولها، الا وهو مبدأ التكييف المعتمد على الاختبارات العلمية في الوسط الذي تعمل على تحضيره للحياة . وها هو العراق يجعل من بعض مدارسه مختبرات لتجربة الطرق المختلفة ، ليتسنى لرجال التربية الاخصائيين اختيار الانسب لحياته وحاجاته واستعداد بنيه ، فترى في احدى تلك المدارس شعبتين لقسم واحد تجرب في كل منهما طريقة من الطرق في تدريس مادة من المواد . وهذا ما شاهدته في المدرسة المأمونية مثلاً حيث يقسم الصف الاول الى شعبتين تجرب الطريقة الصوتية في احداهما والطريقة الجملية في الاخرى

وقد ذهبت الوزارة في الاختبارات المدرسية الى ابعد من ذلك فهي تجرب التعليم المختلط في المدارس الابتدائية في بعض الاوساط التي تساعد درجة رقيها وثقافة الاهلين فيها وتربيتهم على ذلك . وهي تعتقد ان التجربة قد اصابها كثير النجاح . وكنت اتمنى لو ساعدني الحظ على البقاء في بغداد مدة اطول لاتحقق النتائج بنفسي وقد زرت بعض هذه المدارس وكان انتظامها يثير الاعجاب .

وقد فكرت الوزارة بضرورة العناية بتحضير المربين والمربيات أكثر من العناية بالمناهج وتبديلها ، فاكثرت من دور المعلمين الريفية التي يهيأ المربون فيها في الارياف ووفقاً لنظام يتفق مع امكانيات التوجيه الزراعي العملي . وهناك دور المعلمين للمربين في المدن ودار المعلمين العالية لتحضير الاساتذة . وهذه تدخل في كيان الجامعة العربية العراقية التي تتألف من كليات الطب والهندسة والحقوق ، وتمنح هذه الدار شهادات الليسانس في الآداب والعلوم والاجتماع .

ولما كان الاهتمام بالرياضة البدنية لتربية الجسم وتمرينه وبعث الروح الرياضية الصحيحة يقتضي عناية خاصة ، فكرت الوزارة بتحضير اساتذة لها ، لا يكتفون بمعرفة بعض الالعاب والتمارين ، بل يطلعون على قواعد التربية الحديثة وعلى العلوم التي تتطلبها ضرورة الانسجام في تربية عامة موحدة ، فانشأت مدرسة خاصة بتحضير اساتذه للتربية البدنية . وهكذا فانها تعمل في كل حقل وتفكر في كل ناحية .

أفلا ترى معي ، ايها القارىء الكريم ، وقد اوجزت بتعداد ما تمكنت من مشاهدته في تلك المدة القصيرة ، وهي عشرة ايام شغل اكثرها بالحفلات والدعوات، ان في العراق بوادر نهضة صحيحة تستمد من الماضي نوراً وقوة ، ومن الحاضر تنبهاً وعزماً وتعمل لمستقبل زاهر يستحقه شعب عربي كريم كالشعب العراقي النبيل . .

بلى ، وايم الحق ، فليهنأ العراق بنهضته — وليهنأ برمزها المتمثل بشخص جلالة المليك المحبوب وسمو الوصي الملكي المعظم .

واصف البارودي

كيف ننقذ فلسطين ؟

•

يعتبر صديقنا الاستاذ عيسى العيسى حجة في شؤون فلسطين . وجريدته « فلسطين » ما زالت منذ تأسيسها في سنه ١٩١١ حتى الان تنذر بالخطر الصهيوني وتحذر البلاد العربية منه .

ولما كان انقاذ فلسطين من ذلك الخطر يتوقف على انقاذ اراضيها فقد ارسل الاستاذ العيسى الى سعادة عبد الرحمن عزام بك امين جامعة الدول العربية بهذا الاقتراح القيم الذي نرجو ان يكون له اثره العاجل :

حضرة صاحب السعادة عبد الرحمن عزام بك

امين السر العام للجامعة العربية — القاهرة

سيدي

السلام عليكم ورحمة الله . . وبعد لما كانت جامعة الدول العربية قد اعترفت باهمية مشكلة فلسطين ورأت ان الجهود يجب ان تتضافر لانقاذها من الخطر الصهيوني المحدق بها والذي يتهدد



بالتالي البلاد العربية جميعها في الشرق الادنى ، فقررت انشاء مكاتب للدعاية في لندن واميركا ، كان لا بد بعد ذلك من القيام فوراً بالعمل على انقاذ اراضيها التي تتسرب يوماً بعد يوم الى ايدي اعدائها .

ولما كان صندوق الامة في فلسطين قائماً اليوم على التبرعات ، وهي مهما بلغ مجموعها وتحمس القائمين بها لا تكفي لانقاذ اليسير من تلك الاراضي المعرضة للضياع اما لعوز اصحابها او طمعاً بمغريات الاموال الصهيونية ، كان لا بد من ايجاد اداة فعالة اخرى غير صندوق الامة تحمل الناس على البذل لها بطريقة يستثمرون فيها اموالهم ولو لقاء فائدة قليلة فيفيدون ويستفيدون .

وقد كتبت جريدة فلسطين قبل اليوم ، ولا تزال مقالات طويلة تحث فيها القائمين على صندوق الامة بتحويل هذا المشروع الى شركة مساهمة ، لا تقوم على التبرع فحسب بل على اصدار اسهم يرصد ريعها على مشترى الاراضي ثم تقسيمها على صغار المزارعين على ان يستوفى ثمنها مع الفائدة بالتقسيط ، وبذلك يتيسر لكل فلاح ليس له ارض ان يصبح ملاكاً ذا ارض دون ما خوف من ان يبيعها بعد ذلك لان الصهيونيين لا يشترون من الاراضي غير الصفقات الكبيرة ، هذا اذا كانت الاراضي صالحة للزراعة ، اما اذا كانت صالحة للبناء فتتولى الشركة بناء مساكن فيها توجرها لمدة معينة وتضيف الى الاجارة السنوية مبلغاً لاستهلاك الثمن فيصبح من ليس له بيت علكه صاحب بيت بعد ذلك كما يفعل الصهيونيون الآن .

واحمد الله ان الناس تنبهوا اخيراً الى هذا الامر ، فان رؤساء الاحزاب في فلسطين قد اجتمعوا في الاسبوع الماضي وقرروا انشاء شركة لانقاذ الاراضي برأسمال قدره مليون جنيه مقسم الى مليون سهم ثم تلا اجتماع رؤساء الاحزاب هذا اجتماع مجلس ادارة صندوق الامة فقرر هو الاخر انشاء شركة ثانية بمليون جنيه اخرى مقسمة الى مليون سهم للغاية نفسها .

على ان انقاذ اراضي فلسطين لا يكفيه ما في صندوق الامة ولا ما يمكن ان يكتتب به المساهمون في الشركتين ، وانما هو في حاجة الى عدة ملايين فكيف السبيل الى جمعها وماهي الطرق المؤدية لذلك .

السبيل لذلك ان توحد الشركتان في فلسطين وان يضم المال الموجود الان في صندوق الامة الى تلك الشركة الموحدة وان يقتصر عملها على فلسطين وشرق الاردن موقتاً .

وعلى مجلس جامعة الدول العربية الذي اتخذ على عاتقه مهمة توحيد هذه الدول وجمع كلمتها والدفاع عن فلسطين ان يسعى هو الاخر لتأليف شركة لانقاذ فلسطين تساهم فيها مصر والعراق والمملكة السعودية وسوريا ولبنان وغيرها من البلاد العربية والاسلامية كالهند ، ويكون مجلس ادارة هذه الشركة مؤلفاً من اعضاء اخصائيين من كل بلد مساهم وبهذا يتسنى جمع اكثر من خمسة ملايين جنيه . ومن السهل بعد ذلك ان تدغم هذه الشركات الثلاث في شركة واحدة لها مجلس ادارة مختلط يكون مركزه القدس . فيتولى شؤون مشترى الاراضي وتقسيمها او رهنها او تحسين زراعتها وايجاد وسائل الري فيها واستثمارها على احسن وجه .

اما مكاتب الدعاية التي تقرر انشاؤها (ويجب ان يكون لها فروع في عواصم البلاد العربية) فعليها ايضاً الترويج لهذه الشركة بتشويق الناس للمساهمة فيها وبيان منافعها وما يتهدد كل البلاد العربية من الخطر الصهيوني على متاجرها ومصانعها ومرافق حياتها .

ان المانيا لم تضطهد اليهود الا بعد ان ثبت لها خطرهم على اقتصادياتها . وانكلترا لم تقطع لهم وعد بلفور الا حباً بالتخلص منهم . وليست اميركا باقل شعوراً من المانيا وانكلترا بخطرهم ، وما تظاهرها بالعطف عليهم وقد انتشرت اللاسامية فيها انتشاراً كبيراً الا لدفع الاذى عنها والحاقه بغيرها .

هذا ما رأيت ان اعرضه على سعادتكم ليقيني باخلاصكم وتفانيكم في حب العرب والعروبة . ولا شك بانكم توافقونني على ان العمل لانقاذ اراضي فلسطين هو اول ما يجب القيام به لبقاء فلسطين عربية ، ودفع الخطر المتوقع عن شقيقاتها البلاد العربية المجاورة . لا زالت مساعيكم موفقة ان شاء الله .

عيسى داود العيسى



مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

٢٩ آذار ١٩٤٥ – وافقت الدول الاربع الكبرى على انضمام سوريا ولبنان الى الامم المتحدة وعلى حضورهما لمؤتمر سان فرنسيسكو .

وصل الجيش الاحمر الى حدود النمسا .

٣١ – نزلت القوات الاميركية الى البر في جزيرة ناغروس الكبيرة التابعة للفيليبين والواقعة بالغرب من سيبو .

٢ – احتلت القوات الحليفة مدينة كاسل .

٣ – احتل الروس مدينة فينر نيوشتادت في النمسا على بعد ٣٢ ميلاً من فينا جنوباً واحتلوا ثلاث مدن اخرى هي ايزنشتادت عاصمة مقاطعة بورغنلاند ، ونوينكرخن وغلوغنتز .

٤ – استولت القوات الاميركية على الطرف الجنوبي من ارخبيل سولا عند تاوي ، وكذلك استولت على سان باولو عاصمة ولاية لاغو في جنوبي شرقي لوزون .

احتلت الجيوش الروسية براتسلافا عاصمة سلوفاكيا .

٥ – استقالت وزارة سوريا التي يرأسها السيد فارس الخوري .

سلمت الحكومة السوفياتية السفير الياباني في موسكو مذكرة تتضمن عزمها على انهاء ميثاق الحياد السوفياتي – الياباني المعقود في ١٣ نيسان ١٩٤٤ .

قدمت وزارة اليابان التي يرأسها الجنرال كونياكي كويسو استقالتها الى الامبراطور .

٨ – اصبح الروس يسيطرون على ربع مدينة فينا .

٩ – احتل الجيش الاحمر كونيغسبرغ عاصمة بروسيا الشرقية .

صدق مجلس النواب اللبناني بالاجماع ميثاق الجامعة العربية .

اعاد دولة فارس الخوري تأليف الوزارة السورية . ونالت الثقة من مجلس النواب السوري .

اعترفت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وكندا والجمهوريات الاميركية بحكومة الارجنتين، بعدان اعلنت الارجنتين الحرب على المحور .

١٠ – دخلت قوات الجيش التاسع الاميركي مدينة هانوفر ، وهي مدينة صناعية هامة .

اعترفت حكومة الحبشة بالحكومة الفرنسية الموقتة .

١١ – دخلت وحدات الجيش التاسع الاميركي مدينة برنسويك .

١٢ – توفي الرئيس روزفلت فجأة بعدظهر اليوم من نزيف في الدماغ ، وذلك في مدينة الينابيع الحارة في جورجيا .

اصبح الشيخ هاري ترومان نائب الرئيس السابق ، رئيساً لجمهورية الولايات المتحدة بعد وفاة الرئيس روزفلت .

اغارت القلاع الطائرة الاميركية على طوكيو ، وقد انطلقت في اسراب كبيرة وقوية جداً وهاجمت طوكيو واهدافها الصناعية في وضح النهار .

قطعت الحكومة الاسبانية علاقاتها الدبلوماسية مع اليابان . ويقول البيان الذي اعلن فيه هذا النبأ انه من الاسباب التي دعت الى ذلك ان الجنود اليابانيين هاجموا القنصلية الاسبانية العامة في مانيلا وذبحوا جميع موظفي القنصلية .

١٤ – اعلن المارشال ستالين في امره اليومي احتلال الجيش الاحمر لمدينة فيينا عاصمة النمسا .

اسر الحلفاء فون بابن رئيس الوزارة الالمانية الاسبق وسفير المانيا السابق في انقره .

١٦ – القى المستر ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة اول خطبة له امام الكونغرس واعلن انه سيتبع خطة الرئيس الراحل نفسها من حيث العزم على مواصلة النضال .

١٨ – وصلت قوات المارشال مونتغمري الى نهر الالب في عدة جهات .

١٩ – فتح الروس ثغرة في شمال شرقي مرمبرغ على بعد ٤٠ ميلاً من درسدن .

نسف الالمان قبل انسحابهم من شمال هولندا سد البحر في الطرف الغربي عبر مصب زويدرسي فجعلت السيول العرمة تنحدر جنوباً نحو امستردام .

٢٠ – اصبحت قوات الجيش الاحمر على ابواب برلين . وتدور المعارك في ضواحيها بعنف بالغ .

٢١ – تسقط قنابل المدفعية الروسية في قلب عاصمة الريخ .

٢٢ – اخترقت القوات الروسية حصون الدفاع الالمانية التي تحمي برلين من الشرق واحتلت ثماني ضواحي جديدة كما استولت على فرنكفورت على الاودر المعقل الالماني الهام شرقي العاصمة الالمانية .

٢٣ – اخترقت جيوش الجبهة الوسطى بقيادة المرشال كونياف احهزة الالمان الدفاعية ودخلت برلين من الجنوب .

٢٤ – دخلت معركة برلين في يومها الثالث دون ان تفقد شيئاً من عنفها وهولها . وتقول الانباء ان ثلث برلين اصبح في يد القوات السوفياتية .

طلب المرشال بتان التصريح له بدخول سويسرا ليستطيع ان يسلم نفسه الى المجلس الحربي الاعلى في باريس لمحاكمته .